١٤٧

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ
لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

أولياء الله

الجزء الثاني

الشيخ فوزي محمد أبوزيد

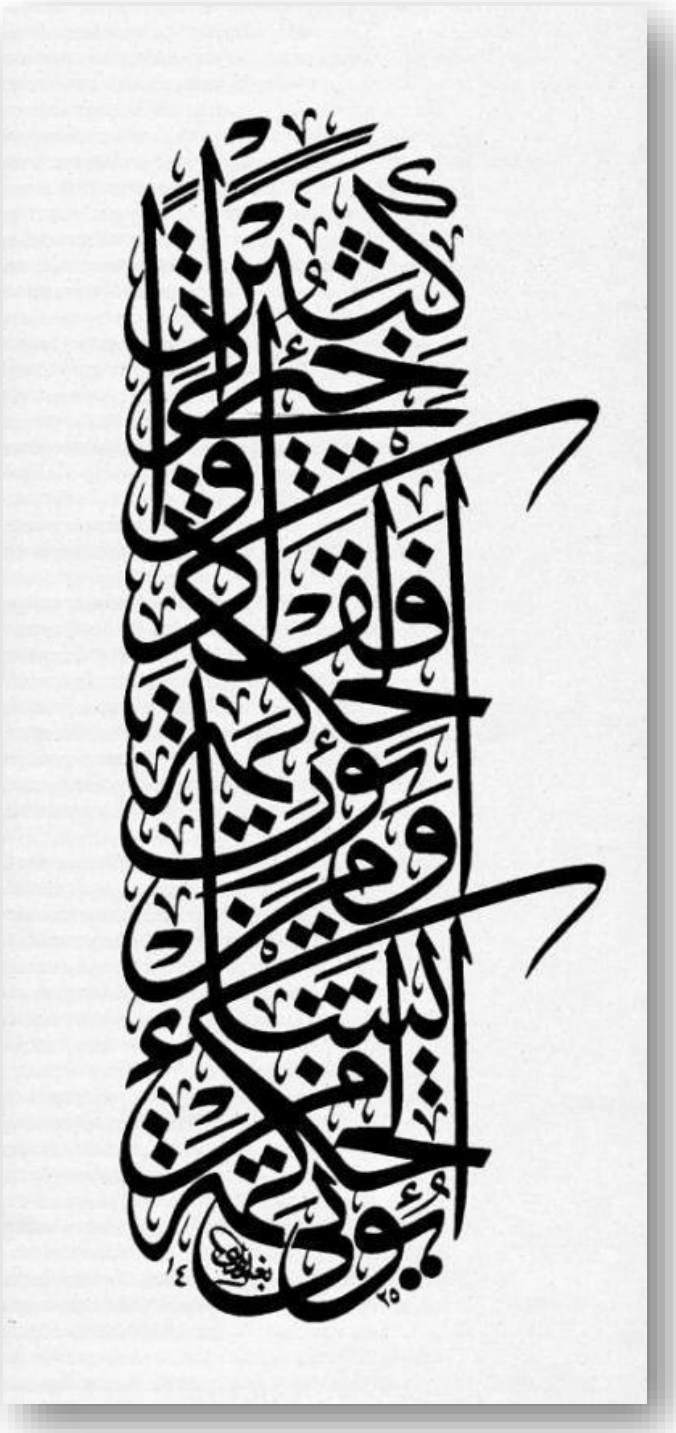

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

الكتاب	أولياء الله ج٢
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة الأولى	١٥ يناير ٢٠٢٤م، ٢٩ جمادى الآخر ١٤٤٥هـ
كتاب رقم	مائة وسبعة وأربعون
سلسلة	من أعلام الصوفية – الكتاب التاسع
الداخلى	٢٥٦ ص*٨٠جم /١٤*٢٠، ١ لون
الغلاف	كوشيه مط*٣٥٠ جم*٤ لون، سلوفان مط
إيداع محلى	٢٠٢٢/٢١٥٠
ترقيم دولى	٩٧٨-٩٧٧-٩٤-٨١٦٣-٠
باركود	9 789779 481630 02150
طباعة	مطابع النوبار بالعبور

متوفر الآن
أول تطبيق لفضيلة الشيخ
فوزي محمد أبوزيد
على متجر جوجل بلاي
بادر بالتحميل لمتابعة كل جديد

GET IT ON Google Play

https://qrgo.page.link/FKDJS

مُقَدِّمَة

الحمد لله فاتح كنوز الفضل الإلهي لعباده المخلصين، والصلاة والسلام على نور الصدق واليقين وبحر الوصول للأفراد والمتمكنين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

وبعد،

إن في قراءة أو سماع حكايات الصالحين تأثير عظيم في قلوب الصادقين والمخلصين، فهي تشد المرء من الحياة الكونية وتجذبه إلى الآفاق العلوية وتجعله يسعى ليتخلص من لبسه ومن عيوب نفسه ويصحح وجهته ويستعين بمولاه على خلاص قلبه من الأغيار لتفد على فؤاده الأنوار وتتنزل عليه الأسرار، قال الإمام أبوالعزائم رضي الله عنه:

تجذب الروح الهياكل في الصفا أعلى المنازل
إن أداروا الراح صرفًا أسكرت عالٍ وسافل

وهذا هو الذي دعانا الله من أجله إلى مصاحبة الأخيار ومصادقة الصالحين والأبرار فقال لنا ﷻ في ذلك:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (التوبة ١١٩)

وقال أيضًا: ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ (لقمان ١٥)

وهذا ما دعانا إلى أن نذكر في دروسنا ومحاضراتنا بما ثبت صحته من قصص الصالحين وأحوال العارفين.

غير أن هذا لم يشفِ قلوب المشتاقين والتواقين من السالكين والمريدين فطلبوا منا أن نذكر لهم بعض أحوال الأئمة والأفراد الوارثين من الصالحين وحياتهم ليقتدوا بذلك في سيرهم وسلوكهم إلى الله ﷻ، وقد فعلنا ذلك مع التركيز على ذكر كيفية مجاهدة هؤلاء الأتقياء الأنقياء لنفوسهم وتغلبهم على عوائق الطريق حتى وصولهم إلى مرادهم، وذكرنا كذلك بعض الفتوحات الإلهية التي مَنَّ الله ﷻ عليهم بها ولم ننس أن نُذكّر بكيفية تربيتهم لمريديهم على الشرع الحكيم والمنهج القويم.

ولما كان هذا المجال؛ مجال الصالحين فسيح وواسع فقد قررنا أن نصدره على أجزاء واخترنا له عنوان (أولياء الله) فتم طباعة الجزء الأول وإصداره في العشرين من أبريل ٢٠٢٢م الموافق ١٩ من رمضان١٤٤٣هـ.

وها نحن ذا انتهينا من الجزء الثاني.

ونسأل الله ﷻ أن يعيننا على طباعته ونشره.

ونسأل الله ﷻ أن يوفق كل من قرأه على التأسي بالصالحين وحسن الاقتداء بسيد الأنبياء والمرسلين.

وأن يكون الشرع الشريف هديه ونهجه في كل أطوار سيره وسلوكه إلى معرفة رب العالمين.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وآله الغر الميامين، وصحابته المباركين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

آمين ...

الجميزة – طنطا- محافظة الغربية

١٥ جمادى الأولى ١٤٤٥هـ، الموافق ٢٩ من نوفمبر ٢٠٢٣م

البريد: الجميزة، محافظة الغربية، جمهورية مصر العربية

تليفون: ٠٠٢٠-٤٠-٤٣٤٠٥١٩

موقع الشـيخ على الإنترنت

WWW.fawzyabuzeid.net

تطبيق موقع الشيخ على جوجل بلاى للموبايل

https://qrgo.page.link/FKDJS

البريد الإليكترونى

fawzy@fawzyabuzeid.com, fawzyabuzeid٤٨@gmail.com

fawzyabuzeid@hotmail.com, fawzyabuzeid@yahoo.com

لينكات صفحات الشيخ: لحضور مجالس ودروس العارف بالله فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد لى الهواء مباشرةً وللبثِّ الحيِّ وللتواصل؛ يمكنك الدخول على أى من: (الفيسبوك)، (اليوتيوب)، (الموقع الرسمى)، (تويتر)، (البلوجر)، (جوجل بلس)، (إنستجرام) وغيرها، بكتابة عنوان صفحة الويب أو بمسح رمز الإستجابة السريعة:

الموقع الرسمى لفضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد بالعربية والإنجليزية
https://www.fawzyabuzeid.net

صفحة الفيس بوك الرسمية للشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://www.facebook.com/fawzy.abuzeid

صفحة الفيس الإنجليزية للشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://www.facebook.net/fawzyabuzeid٢

مكتبة كتب ومؤلفات الشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://www.facebook.com/fawzyabuzeid.library

صفحة الخطب الإلهامية العصرية
https://www.facebook.com/khotab

صفحة قضايا الشباب المعاصر
https://www.facebook.com/shbabmoaser

صفحة المؤمنات القانتات
https://www.facebook.com/qanetat

صفحة التربية الصوفية فى القرآن والسنة
https://www.facebook.com/alsoufia

صفحة إشارات العارفين
https://www.facebook.com/esharatelaarfeen

قناة اليوتيوب ١
https://www.youtube.com/c/fawzyabuzeid١

قناة اليوتيوب ٢
https://www.youtube.com/user/eadase

إنستجرام الشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://www.instagram.com/fawzyabuzeid٤٨/

البنترست الشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://www.pinterest.com/fawzyabuzeid/

تويتر الشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://twitter.com/fawzyabuzeid

المدونة الرسمية للشيخ فوزى محمد أبوزيد
https://www.fawzyabuzeid.blogspot.com/

تطبيق موقع الشيخ فوزى محمد أبوزيد على جوجل بلاى للموبايل
https://qrgo.page.link/FKDJS

لقاء الشيخ فوزى محمد أبوزيدعلى تطبيق زووم Zoom
كود اللقاء: ٢٣١٦ ٢٣٦٧٩ ، رقم السر: ١٢٣٤٥

أولياء الله

الجزء الثاني

١. سيدنا أويس القرني
٢. الإمام القشيري
٣. الإمام الغزالي
٤. أبو مدين الغوث
٥. الحلاج الشهيد
٦. سلطان العارفين: أبو يزيد البسطامي
٧. أمير أهل الورع: إبراهيم بن أدهم

٠٨ سيدي محي الدين بن العربي
٠٩ سيدي جلال الدين الرومي
١٠٠ الإمام سهل التستري
١١٠ عبد الله بن المبارك ملك العلماء
١٢٠ الإمام الحكيم الترمذي
١٣٠ أمير أهل الحديث: الفضيل بن عياض
١٤٠ الإمام أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري
١٥٠ سلطان العاشقين: عمر بن الفارض

٠١ سيدنا أويس القرني

١- سيدنا أويس القرني ﷺ ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
أهل الاصطفاء..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
أهل الجذب وأبو ذر الغفاري ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
أويس القرني ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
تنبيه ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
في الكوفة بالعراق..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
مع هرم بن حيان ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
زهده وورعه..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
وفاته ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
تنبيه ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.

قال أويس رضي الله عنه:

{ كيف الزمان على رجل؛
إن أصبح ظنّ أنه لا يمسي؛
وإن أمسى ظن أنه لا يصبح،
فمبشر بالجنة ومبشر بالنار }

١ - سيدنا أويس القرني رضي الله عنه [١]

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي اصطفانا واجتبانا وجعلنا من عباده الصالحين، والصلاة والسلام على إمام المقربين وسيد المقبلين على رب العالمين في كل وقت وحين؛ سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

ولاية الله ﷻ لعباده اصطفاء من الله، فالأنبياء اصطفاهم الله من الأزل:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٣٣آل عمران)

والولاية اصطفاء مستمر إلى يوم الدين لأن الله ﷻ قال فيها:

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (٧٥ الحج)

يصطفي بالفعل المضارع، فالاصطفاء على الدوام من الله ﷻ لمن اختاره من جملة المقربين إليه من الأنام.

أهل الاصطفاء

وأولياء الله ﷻ شاءت إرادة الله ﷻ أن يكونوا صنفين، صنف جعل الله ﷻ حقائقه الباطنية مؤهلة للمشاهد العلية، كأنها أجهزة مجلية لا تحتاج إلى جلاء ولا غيره.

وصنف يجاهدون أنفسهم على كتاب الله وعلى سُنَّة رسول الله ﷺ فيكرمهم الله ﷻ بعد الجهاد بنيل المراد:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ ﴾ (٦٩العنكبوت).

تحدث الله عن الصنفين فقال:

﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (١٣الشورى)

يجتبي يعني يختار لأمر يعلمه العزيز الغفار في نفوس هؤلاء الأطهار والأبرار فيأخذهم بغتة وهذا ما يسمى في مصطلح القوم (جذبة).

فيكون الإنسان ماشيًا وتأتيه جذبة في أقل من لمح البصر من الله، تختطف عيون قلبه أنوار الملكوت، وتختطف أسماع فؤاده عوالم الله ﷻ في الملكوت الأعلى فيرى ويسمع

---

١ المقطم – مجمع الفائزين الخيري ٢٤ من شوال ١٤٤٣ هـ ٢٠٢٢/٥/٢٥م

بدون جهاد ولا تأهل، وهؤلاء لا يصلحون للتربية، هم أولياء لحكمة يعلمها الله، وكل واحد منهم له وظيفة في الكون يوظفه فيها الله ﷻ، منهم من يُهيؤه لشفاء الناس من الأمراض، ومنهم من يتحمل عن الناس الأحمال الثقيلة التي تنزل عليهم، ومنهم ومنهم، لكن ليس منهم من يرشد الخلق إلى الله على منهج رسول الله ﷺ، لأنه بلغ درجة الولاية، والولي المرشد غير الولي العادي، ولذلك يقول الله ﷻ:

﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (١٧الكهف)

وولي مرشد يعني معه العلم ... ومشى في الطريق ... فعرف عقباته ... وعرف دروبه ... وعرف مسالكه ... !

ونستطيع أن نشبه الإثنين تشبيهًا يوضح الحقيقة ...

مَن ركب الطائرة من القاهرة إلى أسوان، لو سألته عن الطريق هل يعرف كيف يصفه؟ لا، لأنه استغرق ساعة أو أقل ووصل إلى أسوان ... لكن الذي قطع الطريق ماشيًا يعرف أن هنا بلدة كذا وأهلها كذا، وهنا بلدة كذا وأهلها كذا، فيستطيع وصف الطريق وصفًا دقيقًا، كذلك من مشى وجاهد في هذا الباب، لكن هذه أسرار وليس لنا فيها اختيار.

يعني كثير منا يقول: نريد أن نأخذ هذه الولاية التي ليس فيها تعب ولا شيء، والإنسان إذا جاءته الجذبة فلا يشعر ببرد ولا حر ولا جوع ولا عطش، وتجده أحيانًا يمشي حافيًا، وأحيانًا يظل الليالي الطوال لا ينام ولا يأكل ولا يشرب.

الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه أراحنا في هذا المقام فقال:

(الجذبة تمناها كبار الأولياء،
لكن الله ارتضى لكُمَّل أوليائه أن لا يصلوا إليه إلا بطريق المجاهدة)

لماذا؟

حتى يعرفوا كيف يشرحوا للناس الطريق، ويعرفوا كيف يشرحوا لهم السبيل، ويوضحوا لهم ما يلاقونه في هذا الطريق من عقبات ومن كذا وكذا، !!!

لأنهم سلكوا طريق الجهاد.

لكن لا يخلو الكون من هؤلاء الآخرين.

أهل الجذب وأبو ذر الغفاري

الكون مليئ بأولياء الله؛ وكل وَليّ على قدم نبي.

أهل الجذب على قدم نبي الله عيسى.

وسيدنا عيسى كان مجذوبًا، فقد كان يمشي ولا يبحث عن طعام ولا شراب، ويقضي الليل في العبادة، والنهار كله في الزهادة، وكان هذا مسلكه.

وأول هؤلاء في رحاب الحضرة المحمدية كان سيدنا أبو ذر الغفاري ﷺ ..

ولذلك قال ﷺ:

{ ما أَظَلَّتِ الخَضرَاءُ، ولَا أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ مِن ذِي لَهجَةٍ؛ أَصدَقَ ولَا أَوْفَى مِن أَبِي ذَرٍّ؛ شَبَه عِيسَى بنِ مَريمَ }[٢]

فكان حاله كحال عيسى بن مريم.

وأبو ذر من البداية عندما سمع عن رسول الله ﷺ وكان في مكة ولا يزال في مكة، فأرسل أخاه وقال له: تعرَّف على هذا الرجل وما أخباره؟

فذهب أخوه وسأل عن حضرة النبي ﷺ، وعاد فأخبره بأنه رجل صادق في نبوته وفي دعوته واذهب إليه، لكن أوصاه بوصية فقال له: إن قريش يحاربون حربًا شعواء كل من يذهب ويتعرف عليه فانتبه جيدًا.

فذهب أبو ذر إلى مكة ليتعرف على حضرة النبي، ولأنه لا يعرف أحدًا في مكة ذهب إلى البيت الحرام، وعاش على ماء زمزم، فيقول:

مكثت شهرًا في بيت الله الحرام ليس لي طعامٌ ولا شرب إلا ماء زمزم، إلى أن تعرف عليه الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وكرَّم الله وجهه، وتوسم فيه الخير، وقال له: الرجل ضيف؟ قال: نعم، قال: اتبعني.

وهنا يعلِّمنا الأدب الذي علَّمه لهم رسول الله ﷺ، فأخذه بيته وأكرمه وضيفه ونام عنده، وفي الصباح ذهب إلى البيت الحرام ولم يسأله من أنت؟ ولا من أين أتيت؟ ولِمَ قدمت؟ لأن هذا كان عندهم من إكرام الضيف، فالضيف لا يُسأل عن ذلك إلا بعد ثلاثة أيام: وفي اليوم التالي ذهب الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وكرَّم الله وجهه إلى الحرم.

---

٢ جامع الترمذي وابن حبان عن أبي ذر ﷺ

فقال له: أما آن للرجل أن يعرف بيته؟! اتبعني؛ وبعد اليوم الثالث قال له: لم جئت؟ قال: جئت لأتعرف على النبي الذي بُعث في قريش ويدعو إلى دين جديد، فقال له: على الخبير سقطَّت، هيا بنا نذهب لرسول الله ﷺ.

وكانت الدعوة في هذا الوقت سرية وكانت في دار الأرقم بن أبي الأرقم.

وكان النبي ﷺ قد درَّب أصحابه على دقَّة محددة للباب، وصاحب المنزل جهز أماكن للإختباء في داخل المنزل، إذا دقَّ أحدهم الباب الدقة المعروفة لهم، يظل كل واحد كما هو، ويذهب صاحب المنزل يفتح الباب، وإذا دق الباب بدقة مختلفة يعرفون أنه واحد أجنبي، فيختبئون، ويذهب صاحب المنزل فيفتح الباب، واستمع أبو ذر إلى القرآن فأسلم، فقال له ﷺ:

{ يَا أَبَا ذَرٍّ اكْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَجَاءَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَقُرَيْشٌ فِيهِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ، فَقَامُوا فَضُرِبْتُ لِأَمُوتَ فَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: وَيْلَكُمْ تَقْتُلُونَ رَجُلًا مِنْ غِفَارَ وَمَتْجَرُكُمْ وَمَمَرُّكُمْ عَلَى غِفَارَ، فَأَقْلَعُوا عَنِّي، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الْغَدَ رَجَعْتُ فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالْأَمْسِ فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ، فَصُنِعَ بِي مِثْلَ مَا صُنِعَ بِالْأَمْسِ وَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ وَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالْأَمْسِ }[٣]

كان مجذوبًا، فلا يسمع كلام لأحد، وفي النهاية أخذ النبي عليه العهد أن يرجع إلى قومه ويكتم سره ولا يأتي إلى الرسول ﷺ إلا بعد أن يعلم أنه هاجر إلى المدينة المنورة.

فهذا أول رجل تجمَّل بحال الجذب من المسلمين.

كلنا عندنا حالة الجذب، ولكن الرجل الكامل جذبه في قلبه، ويسيطر على عقله وجسمه، ولا يسمع إلا ما يرضي ربه ﷻ.

وقد قالوا في ذلك:

(ليس الرجل من ملكه حاله – يعني يتصرف فيه – لكن الرجل من ملك حاله).

---

٣ صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما

هو يملك الحال ولا يُظهر شيئًا أبدًا، حتى أن الناس عندما يرونه لا يعرفوه، ولا يعرفه إلا القريبون منه الذين يعرفون أحواله، ولكنه لا يظهر عليه شيء من الأحوال الأخرى كما نرى الآن، يعني لا يصرخ، ولا يُخرج أصوات، ولا يفعل أفعال الناس يتعجبون منها كما يحدث للمجاذيب، فليس له علاقة بهذا الكلام كله، بل رجل ثابت وراسخ وعاقل.

سألوا الإمام الجنيد ﷺ وأرضاه: نحن نرى الذين حولك عندما يسمعوا المنشد ينشد بعض القصائد فلا يملكون أنفسهم، فمنهم من يهيج ومنهم من يرقص ومنهم من يصرخ، وأنت لا يظهر عليك شيء أبدًا، فقال ﷺ وأرضاه:

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ ﴾(٨٨النمل).

يعني لا يغرك الذين يصرخون، فمن يصرخ فهذا ماعونه ضيق، فعندما يدخل فيه قليل من هذا يملأه ويطفح على الفور، لكن من كان ماعونه واسع فلا شيء يؤثر فيه.

وشبههم الإمام أبو العباس المرسي ﷺ وأرضاه فتكلم عن الإثنين فقال:

(مثل أهل الجذب وأهل الكمال كالمطر عندما ينزل في كوب فعلى الفور يمتلئ، وهذا كأهل الجذب، وأهل الكمال مثلهم كمثل البحر فلو أمطرت السماء ليل نهار أيامًا متوالية، فلا يحدث له شيء)

كذلك نفس الأمر:

الأول لا يستطيع أن يستوعب لضيق ماعونه وقلبه!!

لكن الآخر يسع كل شيء ولا يظهر عليه في ظاهره شيء، لأن هذا الأكمل في نظر الله وفي نظر رسول الله ﷺ.

فسيدنا أبو ذر هو أول واحد تجمل بهذا الحال، وهو شبيه عيسى بن مريم.

وأبو ذر هذا رأى رسول الله ﷺ وحضر معه ولذلك يُقال له: صحابي.

لكن من العجب أن رجلًا ورث حال أبو ذر ولم يحضر حضرة النبي !!!

ولا جاء لحضرة النبي ﷺ !!!

وظل إلى أن انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى ولم يره.

أويس القرني

لكن الرسول ﷺ نوَّه عنه وأخبر عنه، ففي صحيح مسلم عن أسير بن جابر قال:

{ كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم، قال: لك والدة؟ قال: نعم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ }[٤]

فاستغفر لي، فاستغفر له؛ فقال له عمر: أين تريد؟ .. قال: **الكوفة**، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: **أكون في غبراء الناس أحب إليّ.**

قال: فلما كان من العام المقبل، حج رجل من أشرافهم فوافق عمر، فسأل عمر عن أويس، قال: تركته رث البيت قليل المتاع، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن: كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل، فأتى أويسًا، فقال: استغفر لي، قال: أنت أحدث عهد بسفر صالح واستغفر لي، قال: لقيت عمر؟ قال: نعم، فاستغفر له، ففطن له الناس فانطلق على وجهه، قال أسير: وكسوته بردة، فكان كلما رآه انسان قال: من أين لأويس بهذه البردة؟.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال:

{ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ }[٥]

أويس تصغير أوس وهو الذئب، وبه سمي الرجل، وقيل: سمي بمصدر أوست الرجل أوسا إذا أعطيته، فالأوس: العطية، ومراد: اسم قبيله، وقرن: حي من مراد، ... منهم أويس القرني منسوب إليهم.

---

٤ صحيح مسلم والحاكم عن عمر بن الخطاب ﷺ

٥ صحيح مسلم والحاكم عن عمر بن الخطاب ﷺ

وروى لنا الضحاك بن مزاحم حديثًا أشمل عن أويس ...

عن أبي هريرة قال:

{ بينا رسول الله ﷺ في حلقة من أصحابه إذ قال: ليصلين معكم غدًا رجل من أهل الجنة، قال أبوهريرة رضي الله عنه: فطمعت أن أكون أنا ذلك الرجل، فغدوت فصليت خلف النبي ﷺ، فأقمت في المسجد حتى انصرف الناس، وبقيت أنا وهو، فبينما نحن عنده إذ أقبل رجل أسود متزر بحرفة مرتد برقعة، فجاء حتى وضع يده في يد رسول الله ﷺ ثم قال: يا نبي الله ادعوا الله لي، فدعا النبي ﷺ له بالشهادة، وإنا لنجد منه ريح المسك الأظفر، فقلت يا رسول الله: أهو هو؟ قال: نعم، إنه مملوك لبني فلان، قلت: أفلا تشتريه فتعتقه يا نبي الله؟ قال ﷺ: وأن لي ذلك إن كان الله يريد أن يجعله من ملوك الجنة!، يا أبا هريرة! إن لأهل الجنة ملوكًا وسادة، وإن هذا الأسود أصبح من ملوك الجنة وساداتهم، يا أبا هريرة! إن الله يحب من خلقه الأصفياء الأخفياء الأبرياء الشعثة رؤوسهم المغبرة وجوههم الخمصة بطونهم إلا من كسب الحلال، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم، وإن خطبوا المتنعمات لم ينكحوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يدعوا، وإن طلعوا لم يفرح بطلعتهم، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم يشهدوا، قالوا: يا رسول الله وكيف لنا برجل منهم؟ قال: ذاك أويس القرني، قالوا: وما أويس القرني؟ قال: أشهل، ذا صهوبة، بعيد ما بين المنكبين، معتدل القامة، آدم شديد الأدمة، ضارب بذقنه إلى صدره، رامي ببصره إلى موضع سجوده واضع يمينه على شماله يتلو القرآن يبكي على نفسه، ذو طمرين لا يؤبه له، متزر بإزار صوف ورداء، مجهول في أهل الأرض معروف في أهل السماء، لو أقسم على الله لأبر قسمه، ألا وإن تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء، ألا وإنه إذا كان يوم القيامة قيل للعباد ادخلوا الجنة، ويقال لأويس: قف فاشفع، فيشفعه الله ﷻ في مثل عدد ربيعة ومضر، يا عمر يا علي إذا أنتما لقيتماه: فاطلبا إليه أن يستغفر لكما، يغفر الله لكما}

تنبيه

ولا يفهم من هذا – أي طلب النبي ﷺ من عمر وعلي أن يطلبا من أويس أن يستغفر لهما – أفضلية أويس على عمر وعلي وأنهما غير مغفور لهما، وذلك للإجماع على أن عمر وعليا أفضل منه، لأن أويس تابعي كما قال المصطفى ﷺ، وعمر وعلي صحابيان، والصحابة أفضل من التابعين.

وإنما مضمون ذلك الإخبار بأن أويسًا ممن يستجاب له الدعاء، وإرشاد عمر وعلي رضي الله عنهما إلى الإزدياد من الخير وابتغاء دعاء من ترجى إجابته، وهذا نحو مما أمرنا به النبي ﷺ من الدعاء له والصلاة عليه وسؤال الوسيلة له وإن كان النبي ﷺ أفضل ولد آدم، وكذا ما قاله لعمر أشركنا في دعائك يا أخي ففيه طلب الدعاء من الصالحين أو ممن يتوسم فيهم الخير واستجابة دعائهم وإن كان الطالب أفضل.

وهكذا نجد أن أويس القرني أدرك النبي ﷺ ولم يره، وكان يحب الخفاء، فلما عرفه عمر وعلي في الحج ترك رعي الغنم وذهب إلى الكوفة وسكن بها، وهو من أكابر التابعين، كما قال ﷺ عنه أنه خير التابعين.

وقد روي أن عمر وعلي مكثا يطلبانه بالحج عشر سنين لا يقدران عليه، فلما كان في آخر السنة التي مات فيها عمر في ذلك العام قام عمر على أبي قبيس فنادى بأعلى صوته: يا أهل الحجيج من أهل اليمن: أفيكم أويس من مراد.. إلى آخر الحديث.

في الكوفة بالعراق

استمر أويس في الكوفة ينهل من علم علماءها ويحضر مجالس العلم الكثيرة ويعيش بجوار العلماء، وفي حالة الغزو يغزو مع المسلمين ويكون جنديا من جنودهم يدافع عن الإسلام ويرفع رايته خفاقة عالية ...

فإذا ما هدأ الجهاد بادر إلى أماكن العلماء يتعلم العلم نهارًا ويطبق العمل ليلًا، حتى وصل إلى القرب من الله، وأعطاه الله ﷻ هذه الدرجة الكبيرة، وهي استجابة دعاءه في الدنيا، وشفاعته في الآخرة.

يدل على ذلك ما رواه أسير بن جابر ﷺ قال:[٦]

---

٦ رواه أسير بن جابر فى مسند عمر بن الخطاب ﷺ، جامع المسانيد والمراسيل

{ كَانَ مُحَدثٌ بِالْكُوفَةِ يُحَدثُنَا، فَإِذَا فَرَغَ مِنْ حَدِيثِهِ تَفَرَّقُوا وَيَبْقَى رَهْطٌ (الرهط ما دون العشرة من الرجال) فِيهِمْ (أي في هؤلاء الرهط) رَجُلٌ يَتَكَلَّمُ بِكَلاَمٍ لاَ أَسْمَعُ أَحَدَاً يَتَكَلَّمُ كَلاَمَهُ فَأَحْبَبْتُهُ فَفَقَدْتُهُ، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: هَلْ تَعْرِفُونَ رَجُلاً كَانَ يُجَالِسُنَا كَذَا وَكَذَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: نَعَمْ أَنَا أَعْرِفُهُ، ذَاكَ أُوَيْسٌ الْقَرَنِي، قُلْتُ: أَفَتَعْلَمُ مَنْزِلَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ حَتَّى ضَرَبْتُ (جئت) حُجْرَتَهُ، فَخَرَجَ إِلَيَّ، قُلْتُ: يَا أَخِي؟ مَا حَبَسَكَ عَنَّا؟ قَالَ: الْعُرْيُ، قُلْتُ: خُذْ هذَا الْبُرْدَ فَالْبَسْهُ، قَالَ: لاَ تَفْعَلْ، فَإِنَّهُمْ إِذَاً يُؤْذُونَنِي إِنْ رَأَوْهُ عَلَيَّ، (قال أسير) فَلَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى لَبِسَهُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: مَنْ تَرَوْنَ خَرَجَ عَنْ بُرْدِهِ هذَا؟ فَجَاءَ فَوَضَعَهُ (أى البردة ونظر إلى أسير) وَقَالَ: أَلاَ تَرَى؟ (قال أسير) فَأَتَيْتُ المَجْلِسَ فَقُلْتُ: مَا تُرِيدُونَ مِنْ هذَا الرَّجُلِ قَدْ آذَيْتُمُوهُ؟ الرَّجُلُ يَعْرَى مَرَّةً وَيَكْتَسِي مَرَّةً، فَأَخَذْتُهُمْ بِلِسَانِي أَخْذَاً شَدِيدَاً }

مع هرم بن حيان

وقال هرم بن حيان:

لما بلغني وصف عمر بن الخطاب لأويس وذكر النبي ﷺ له بصفته الخلقية والخُلقية شوقني ذلك إلى لقائه.

فلما قال عمر إنه ذهب إلى الكوفة وبلغني ذلك قدمت الكوفة، ولم يكن لي هم إلا طلبه، حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات يتوضأ فعرفته بالنعت الذي نعت لي.

فإذا رجل نحيل آدم شديد الأدمة أشعث محلوق الرأس مهيب المنظر فسلمت عليه، فرد علي ونظر إلي، وطلبت منه الاستغفار والدعاء، ثم قال أويس:

السلام عليك ورحمة الله وبركاته، لا أراك بعد اليوم رحمك الله فإني أكره الشهرة، والوحدة أحب إليَّ لأني كثير الغم ما دمت مع هؤلاء الناس حيا فلا تسأل عني ولا تطلبني واعلم أنك مني على بال وإن لم أرك وتراني، واذكرني وادعوا لي فإني سأدعوا لك وأذكرك إن شاء الله، فانطلق أنت هاهنا حتى آخذ أنا هاهنا.

قال هرم: فحرصت على أن أمشي معه ساعة!! فأبى عليّ، ففارقته أبكي ويبكي فجعلت أنظر إليه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك وطلبته فلم أجد أحدًا يخبرني عنه بشيء، وما أتت علي جمعة إلا وأنا أراه في منامي مرة أو مرتين.[٧]

---

٧ تاريخ دمشق

- وزار هرم بن حيان أويسًا مرة بعد ذلك فقال له:

يا أويس واصلنا بالزيارة، فقال أويس:

قد واصلتك بما هو أنفع لك من الزيارة واللقاء؛ الدعاء بظهر الغيب، لأن الزيارة واللقاء قد يعرض فيهما التزين والرياء.

- ودار حوار مرة أخرى بين هرم بن حيان وأويس.

قال هرم: قلت: حدثني رحمك الله عن رسول الله ﷺ، قال:

إني لم أدرك رسول الله ﷺ ولم يكن لي معه صحبه، بأبي أنت وأمي يا رسول الله ولكني قد رأيت رجالًا قد رأوه، ولست أحب أن أفتح على نفسي هذا الباب أن أكون محدثًا أو قاضيًا أو مفتيًا؛ في نفسي شغل عن الناس.

فقلت: أي أخي اقرأ علي آيات من كتاب الله ﷻ أسمعها منك.

وأوصني بوصية أحفظها عنك؛ فإني أحبك في الله.

فأخذ بيدي فقال:

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان،

قال ربي وأحق القول قول ربي ﷻ وأصدق الحديث حديث ربي ﷻ ثم قرأ:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الدخان).

فشهق شهقة فنظرت إليه وأنا أحسبه قد غشي عليه ثم قال:

يا هرم بن حيان:[٨]

مات أبوك حيان، ويوشك أن تموت أنت؛ فإما إلى الجنة وإما إلى النار، ومات أبوك آدم، وماتت أمك حواء، يا ابن حيان؛ ومات نوح نبي الله، ومات إبراهيم خليل الله، ومات موسى نبي الله، ومات داوود خليفة الرحمن، ومات محمد ﷺ وعلى

٨ إحياء علوم الدين للغزالى

جميع الأنبياء، ومات أبو بكر خليفة رسول الله، ومات أخي وصديقي عمر بن الخطاب ﷺ. فقلت: يرحمك الله، إن عمر لم يمت بعد، قال: بلى نعاه إليَّ ربي ﷻ ونعى إلي نفسي وأنا وأنت في الموتى، ثم صلى على النبي ﷺ ودعا بدعوات خفاف، ثم قال:

هذه وصيتي إياك:

كتاب الله ونعي المرسلين ونعي الصالحين من المؤمنين، فعليك بذكر الموت؛ ولا يفارقن قلبك طرفة عين ما بقيت؛ وأنذر قومك إذا رجعت إليهم، وانصح للأمة جميعًا، وإياك أن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار؛ وادعوا لي ولنفسك؛ ثم قال: اللهم إن هذا زعم أنه يحبني فيك، وزارني من أجلك، فعرفني وجهه في الجنة، وأدخله علي دارك دار السلام، واحفظه ما دام في الدنيا حيًا، وأرضه من الدنيا باليسير، واجعله بما أعطيته من نعمك من الشاكرين، واجزه عني خيرًا، ثم قال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، لا أراك بعد اليوم؛ فإني أكره الشهرة؛ والوحدة أحب إليَّ!.

زهده وورعه

كان أويس القرني يلتقط الكسر من المزابل فيغسلها ويتصدق ببعضها ويأكل بعضها ويقول:

اللهم إني أبرأ إليك من كل كبد جائع.

وروي أنه مر رجل من مراد على أويس القرني فقال: كيف أصبحت؟ قال:

أصبحت أحمد الله، قال: كيف الزمان عليك؟ قال:

كيف الزمان على رجل إن أصبح ظن أنه لا يمسي،
وإن أمسى ظن أنه لا يصبح، فمبشر بالجنة ومبشر بالنار.

وروي أن أويس لما تقابل مع عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ﷺ قال له عمر:

مكانك يرحمك الله حتى أدخل مكة فآتيك بنفقة من عطائي وفضل من كسوة ثيابي، هذا المكان بيني وبينك، قال:

يا أمير المؤمنين لا ميعاد بيني وبينك لا أراك بعد اليوم، فعرفني ما أصنع بالنفقة؟ ما أصنع بالكسوة؟

أما ترى علي إزار من صوف ورداء من صوف، متى تراني أخرقهما؟

أما ترى أن نعلي مخصوفتان، متى تراني أبديهما؟

أما تراني قد أخذت من رعايتي للغنم أربعة دراهم، متى تراني أكلها؟

يا أمير المؤمنين: إن بين يدي ويدك عقبة كؤودا لا يجاوزها إلا ضامر مخفف مهزول فأخفف يرحمك الله.

فلما سمع عمر ذلك من كلامه ضرب بدرته الأرض ثم نادى بأعلى صوته ألا ليت أم عمر لم تلده، يا ليتها كانت عاقرا لم تعالج حملها، ألا من يأخذها بما فيها ولها؟

ثم قال:

يا أمير المؤمنين خذ أنت هاهنا حتى آخذ أنا ها هناك.

فولى عمر ناحية مكة وساق أويس إبله فوافى القوم إبلهم وخلى عن الرعاية وأقبل على العبادة حتى لحق بالله.

وروي أنه كان إذا أمسى يقول: **هذه ليلة السجود**، فيسجد حتى يصبح.

وكان إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب؛ ثم يقول:

اللهم من مات جوعًا فلا تؤاخذني به ومن مات عريانًا فلا تؤاخذني به.

هذا الرجل:

- يُضرب به المثل في زهده في الحياة الدنيا.
- ويُضرب به المثل في طاعته لله ﷻ.
  - ويُضرب به المثل في أُنسه بالله وعدم ائتناسه بما سواه؛ لأنه كان لا يألف الخلق، وإنما كان دائمًا وأبدًا يختلي ويحب العُزلة ليختلي بالحق ﷻ.

وكما قلنا أن أمثال هؤلاء:

- نأخذ منهم بعض الملامح، لكن لا نقتدي بأحوالهم ولا نتأسى بهم:
  - وإنما نتأسى بأهل الكمال:
    - الذين على منهج سيدنا رسول الله ﷺ.

وفاته

كانت موقعة صفين بين الإمام علي بن أبي طالب وجيش معاوية بن أبي سفيان في عام ٣٧هـ، وكان أويس القرني يقاتل في جيش الإمام علي، روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال:

نادى رجل من أهل الشام يوم صفين: أفيكم أويس القرني؟ قالوا: نعم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من خير التابعين أويسًا القرني.

فذكر أن أويسًا قُتل في الرجالة مع علي بصفين لأنه كان ملازمًا لسيدنا علي في جميع حروبه مع أعداءه.

تنبيه

في هذا الإطار نحن نُنقي قصص السلف الصالح مما شابها من خزعبلات وأمور لا تليق.

بعض المنتسبين للصالحين قالوا: أنه قال لهم: هل رأيتم النبي؟ قالوا: نعم، فقال: صفوه، فوصفه الإمام علي الوصف الحسي، فقال: إنك لم تره، وبعد ذلك قال لهم: ائذن لي يا علي أن أذهب إلى السيدة فاطمة لتخبرني بما رأته.

طبعًا هذه الرواية كذب، ودلالة الكذب عليها واضحة، لأن السيدة فاطمة ماتت بعد النبي بستة أشهر على الفور، فكيف يطلب منه في عصر عمر أنه يذهب للسيدة فاطمة، لتعرفوا أن الكذاب لا بد أن يترك علامة على كذبه، وهذا الكلام كان في عصر خلافة عمر وبعد عشر سنين، والسيدة فاطمة كات قد ماتت منذ حوالي اثنتي عشرة سنة.

وهذا من الناس الذين يتغالون في حب الأولياء فيؤلفون أشياء وينسبونها للصالحين وليس لها أي أساس في الروايات الصحيحة، وخاصة أن أحاديث أُويس موجودة في البخاري ومسلم وغيرهما، وأين هذا القصص؟ ... لا يوجد إلا في بعض الكتب العصرية وليس له أي سند.

فهذا كلام لا نقوله ولا نسمعه لأنه يتنافى مع التوثيق الذي أمرنا به الله ﷻ:

﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ (٦ الحجرات).

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

٠٢ الإمام القشيري

٢- الإمام القُشيري ﷺ ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
مولده ونشأته ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
طلبه للعلم ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
بين الأشعرية والمعتزلة ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
الميل إلى التصوف ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
نبوغه العلمي ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
إشراقات الصالحين ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
الأدب مع الشيخ المربي ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
محنة القشيري ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
مؤلفاته ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
منهج القشيري الصوفي وأثره ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
- الأمر الأول: ..... Error! Bookmark not defined.
- الأمر الثاني: ..... Error! Bookmark not defined.
- الأمر الثالث: ..... Error! Bookmark not defined.
منهج الإمام القشيري في التربية الصوفية ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
- الأمر الأول: ضرورة التأدب بشيخ ..... Error! Bookmark not defined.
- الأمر الثاني: واجبات المريدين نحو شيخهم ..... Error! Bookmark not defined.
- الأمر الثالث: الزهد ..... Error! Bookmark not defined.
- الأمر الرابع: آداب الصحبة ..... Error! Bookmark not defined.
- الأمر الخامس: آداب الفتوة ..... Error! Bookmark not defined.
- الأمر السادس: الخلوة ..... Error! Bookmark not defined.
- الأمر السابع: السياحة والسفر ..... Error! Bookmark not defined.
- الأمر الثامن: مداومة الذكر ..... Error! Bookmark not defined.

قال القشيري رضي الله عنه:

(الخلوة أن تكون بين الخلق؛ وليس لهم مكانةٌ في قلبك؛ وقلبك لله ﷻ).

٢- الإمام القُشيري رضي الله عنه [٩]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنعم على عباده الصالحين بنوره العلي المبين، ووجه النبي وضاح الجبين، والعلم الإلهامي من كتاب رب العالمين، ونور الكشف الصادق في قلوبهم في كل وقت وحين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء خَلقًا وخُلقًا، وسيدهم تُقىً وعلمًا، وإمامهم دنيا وآخرة، سيدنا محمد وآله وصحبه والناهجين على سبيله إلى يوم الدين، وارزقنا بفضلك ومنك وجودك وكرمك يا أكرم الأكرمين أن نكون منهم ومعهم في الدنيا ويوم الدين .. آمين يا رب العالمين.

لعلكم تلاحظون أننا عندما نتحدث عن رجل من رجالات الله نحرص على أن يكون هذا الرجل من الرجال القلائل الذين جمعوا العلم الشرعي، وأفاض الله عليهم بعد العمل العلم الوهبي، لأنهم خير قدوة لنا، وخير نبراس نقتدي به في سلوكنا إلى ربنا ﷻ.

فهم علماء وأولياء وحكماء، وفي عالم الغيب أمناء، وفي عالم الطُهر والصفاء أنقياء، ومن هؤلاء العلماء الأجلاء الأتقياء الإمام عبد الكريم بن هوازن القشيري رضي الله عنه وأرضاه.

مولده ونشأته

القشيري رجل عربي من قبيلة قُشير، وأمه أيضًا عربية، وُلد في ربيع الأول عام ٣٧٦ هجرية وتوفي في السادس عشر من ربيع الآخر عام ٤٦٥ هجرية في بلدة اسمها (استوا) تابعة لنيسابور، ونيسابور من إقليم خراسان في شمال إيران، واشتهرت هذه المدينة بالعلم وخرَّجت فحول العلماء، منهم الإمام مسلم صاحب الكتاب الصحيح، ومنهم الإمام النيسابوري صاحب التفاسير المشهورة، وغيرهم من العلماء الأجلاء، فهي مدينة غاصة بالعلم والعلماء.

وإقليم خراسان كله كان يُعتبر خزانة العلم والعلماء لبلاد فارس في عصر الدولة العباسية، تُوفي والده وهو صغير، ولكن كما قال ﷺ:

{ النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ } [١٠]

وخير المعادن معادن الأولياء والعرفاء والحكماء والأتقياء.

---

٩ المقطم – مجمع الفائزين ٣٠ من ذي القعدة ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٦/٢٩م

١٠ صحيح مسلم وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه

فظهرت عليه النجابة منذ صغره، وحاول أن يتثقف في بلده بما هو متاحٌ في بلدته الصغيرة من الأدب واللغة وغيرها من العلوم العربية.

ولاحظ أهل بلدته أن شباب البلدة تنقصهم إجادة المعرفة في علم الحساب، وهم يحتاجون إلى علم الحساب في حساباتهم إن كانت زراعة أو تجارة أو صناعة أو غيرها، فاختاروا نفرًا من الصبيان النبهاء ليذهبوا في بعثة إلى نيسابور ليتعلموا الحساب، فكان الهدف من البعثة تَعَلُّم الحساب، وكان من جملتهم الإمام القشيري ﷺ وأرضاه، لأن أباه كان قد ترك له ضيعة – يعني نجع أو عزبة – والضيعة تحتاج إلى حسابات.

فذهب القشيري إلى نيسابور، وكما قلت كانت مدينة مليئة بالعلم والعلماء، وكان عنده رغبة شديدة ككل الأولياء بلا استثناء في الإقبال على العلم بشغف ولهفة وتلقِّي العلم من العلماء.

وكما قلت لو بحثنا عن الأولياء العلماء نجدهم بهذه الشاكلة، يكون عنده نَهَم، ليس للأكل والشرب بل للعلم وطلب العلم من العلماء الحكماء، وفيهم يقول ﷺ:

{ مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ، طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا }[11]

وفي بعض الأثر: (اثنان لا يشبعان، طالب علم وطالب مال) وبدأ بالأجدى والأنفع وهو طالب العلم، لأن طالب المال ربما يجمعه طوال حياته ويذهب ويحاسبه الله عليه جميعه ويتمتع به غيره، لكن العالِم لا بد أن ينتفع أولًا بعلمه ويعمل به ليتحقق النفع لمن يعلمهم على يديه، هكذا هدي الله وهدي المرسلين والنبيين وهدي العلماء والصالحين أجمعين.

طلبه للعلم

أقبل الإمام القشيري على طلب العلم، ونسي المهمة التي بُعث من أجلها، فأقبل على تعلم علوم العربية كالنحو والبلاغة والتفسير والحديث والعلوم الدينية، وركَّز بصفة خاصة على العلوم الفلسفية، وكان يحبها وأقبل عليها حتى استطاع أن يُلم بها جميعًا.

وطبيعة العصر تغلب على أهل العصر، العصر الذي كان فيه القشيري وقبله بقليل ظهر في الأمة الإسلامية طائفتان من علماء علم يُسمى علم الكلام.

وعلم الكلام يقولون فيه أننا ندلل بالمنطق والنظريات على وجود الله وعلى صدق

---

١١ مسند البزار والطبراني عن ابن عباس ﷺما

النبوة وعلى صدق القرآن وعلى صدق دين الإسلام لغير المسلمين، لكنهم رحمة الله عليهم أجمعين انغمسوا في هذا الأمر وتوحَّلوا فيه وظلوا يفرعون ويتشعبون حتى أغرقوا الناس جميعًا في شبهات وظنون الناس في غِنى عنها، ولم يكن ذلك في عصر النبي ولا في عصر السلف الصالح.

وكانوا فرقًا كثيرة، والذي يريد دراستهم يبحث عن كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني، وكتاب (الملل والنحل) لابن حزم، وهناك كتب عصرية.

هؤلاء الفرق وقع بينهم نزاع، وانتهى النزاع إلى تزعمهم فرقتين، فرقة تسمى المعتزلة وفرقة تُسمى الأشعرية، وأظن أننا استشعرنا في الأيام الماضية ظهور هذه الفتنة مرة أخرى، وليس لنا شأنٌ بها، فلا نتحدث فيها ولا ندخل في شئونها لأنها سفسطة ليس لها ضرورة في دين الله ولا في شرع الله ﷻ، كان سيدنا عمر ﷺ يقول:

(اللهم إيمانًا كإيمان العجائز)

هؤلاء العجائز ماذا تعلموا من هذه النظريات؟ لا شيء، ولكن كان عندهم صدق في الإيمان، وهذا ما نريده في هذا الزمان، لماذا أُغرق الناس في نظريات وفي آراء فلسفية وغيرها وغيرها؟!!.

بين الأشعرية والمعتزلة

فالإمام القشيري كان يميل إلى الأشعرية، والمعتزلة نصبوا العداء للأشعرية، وحاولوا أن يُؤلِّبوا عليهم السلاطين ويوقعون بهم، ويلقون بهم إما في القتل وإما في السجون، وهذا لا يليق بأدب طالب العلم المبتدئ في طريق الله ﷻ.

أنت لك رأي وأنا لي رأي، لا أجبرك على رأيي، ولا أنت تجبرني على رأيك ما دام كلانا على حق ويتكلم من دين الله وبما في شرع الله وفي كتاب الله وبما ورد عن رسول الله ﷺ، فالعداء ليس له سبيل بيننا، لكنهم لم يرضوا بذلك.

الميل إلى التصوف

المهم أن الإمام القشيري ألمَّ بكل ما كتبه الأشاعرة والمعتزلة، وتلقى ذلك جيدًا، وبينما هو يتنقل بين حلقات الدروس أُعجب بدرس علم لشيخ من كبار أهل التصوف في زمانه اسمه الشيخ أبو علي الدقاق، وكان من كُمَّل الصالحين.

جلس في مجلسه فوجد حديثًا في مجال آخر في القرب من الله، والطريق إلى الله، والعقبات التي يقطعها السالك حتى يصل إلى رضا مولاه، والنفس وكيفية جهادها، والإشراقات الروحانية التي تُفاض عليه أثناء سلوكه إلى الله، فأُخذ بهذا الحديث حتى أوشك على الإنصراف عن تلقي علوم اللغة العربية والعلوم الشرعية، والالتفات إلى هذا المجلس الصوفي لما فيه من صفاء، ولكنه أدبًا منه عرض ذلك على شيخه أبو علي الدقاق.

فقال له: ابق كما أنت حتى تحيط بكل العلوم العربية والعلوم الإسلامية، ثم تعالى إلينا نعلمك الصوفية، حتى نعرف أن أئمة الصوفية هم أئمة اللغة وأئمة الشريعة.

نبوغه العلمي

فواصل القشيري في ذلك، وكان عنده همة عالية في طلب العلم، حتى أنه وهو طالب ابتدأ – من كثرة ما حصَّله من العلم – أن يؤلف كُتبًا عظيمة في ميادين العلم، من جملتها كتابه العظيم (التيسير في التفسير) يعني عمل تفسيرًا للقرآن بلسان العلم والشريعة واللغة وغيرها، صحيح هو جمع بعد ذلك إشارات عن الصالحين وليست تفسيرًا ووضعها في كتاب سماه (لطائف الإشارات) لكن الآخر كان كتاب تفسير مخصوص.

ولما وجد أهل نيسابور المسؤولون بروزه وتفوقه جعلوا له درسين كل أسبوع يلقيهما في مسجد اسمه مسجد المطرَّز، وكان وقتها في سن الثلاثين من عمره.

وعاهد نفسه ألا يضيع وقته هباءًا، إما في طلب العلم، وإما في قراءة كتب العلم، وإما في تدريس العلم، وإما في تأليف العلم، فكان لا يضيع وقتًا إلا في عمل مفيد نحو العلم، وهذا حال الصالحين في كل زمان ومكان.

إشراقات الصالحين

بدأ يتلقى بعد ذلك من شيخه، وكعادة الصالحين في كل زمان ومكان يكون لهم إشراقات نورانية على قلوب المريدين تذكرهم وتثبتهم في الإقبال عليهم، فذات يوم من الأيام كان ينوي أن يتوجَّه إلى بلدة اسمها (نِسا) وهي البلدة التي منها الإمام النسائي رضي الله عنه وأرضاه صاحب الجامع الصحيح، قال: كنت أمشي مع شيخي فقلت في نفسي: لو كان الشيخ ينوب عني في تدريس العلم في اليومين اللذين أُدرس فيهما؟ وإذا بالشيخ يقول لي: سننوب عنك في تدريس العلم في اليومين اللذين خُصصا لك!، يقول: فمشيت، ثم قلت في نفسي: إن اليومين عليه كثير فلو اكتفى بيوم واحد، وإذا بالشيخ يقول: سنكتفي بيوم

واحد، يعني حديث الشيخ بلسانه مع حديث التلميذ في خاطره، وهذا كان معه في هذا الباب على الدوام، وهكذا وجدنا مشايخنا رضوان الله عليهم أجمعين.

فقال: كنت لا أذهب إلى شيخي، وأنوي عرض أشياء عليه، إلا وأجده يحدثني ويخبرني بما في نفسي قبل أن ينطلق لساني، وهذا الكلام أيضًا رأيناه مع مولانا الشيخ محمد علي سلامة ﷺ وأرضاه، فكنت أذهب إليه في ههيا أو في بورسعيد ومعي أسئلة نتيجة قراءة هنا أو هناك في كتب العلم، ويبدأ الشيخ على الفور يتحدث، وأحيانًا يكون معه ضيفٌ فيتحدث مع ضيفه، وتأتي الإجابة على الأسئلة سؤالًا وراء سؤال حتى تنتهي الإجابات على الأسئلة كلها بدون أن يتحرك لساني:

﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾ (٢٩الأنفال).

شيخه الشيخ أبو علي الدقاق كان له مدرسة، وهذه المدرسة كان الصالحون يُعَلِّمون فيها المريدين ويدربونهم على الأذكار التي ترفع قدرهم عند رب العالمين ﷻ، فالشيخ لما وثق في الإمام القشيري كان عنده بنتًا اسمها فاطمة طلب الزواج منها خيرة أقاربها، ولكنه آثر بها تلميذه الإمام القشيري وزوَّجه لها.

الأدب مع الشيخ المربي

يقول الإمام القشيري: لم أدخل على الأستاذ أبي علي الدقاق – رحمه الله – في وقت بدايتي إلا صائمًا، وكنت أغتسل قبله، وكنت أحضر باب مدرسته غير مرة فأرجع من الباب احتشامًا من أن أدخل عليه، فإذا تجاسرت مرة ودخلت كنت إذا بلغت وسط المدرسة يصحبني شبه خدر، حتى لو غُرز فيَّ إبرة مثلًا لعلي كنت لا أحس بها.

لماذا؟ حياءًا وأدبًا من شيخه رضي الله ﷻ عنه، حتى أنه قال: وكنت أُفكر في نفسي كثيرًا أنه لو بعث الله ﷻ في وقتي رسولًا إلى الخلق هل يمكنني أن أزيد في حشمته على قلبي فوق ماكان منه رحمه الله تعالى؟ فكان لا يتصور لي أن ذلك ممكن، ولا أذكر أني في طول اختلافي إلى مجلسه ثم كوني معه بعد حصول الوصلة أن جرى في قلبي أو خطر ببالي عليه قط اعتراض إلى أن خرج – رحمة الله تعالى – من الدنيا.

الأدب قبل الطلب، الأدب وإلا فانتظر العطب، نتعلم الأدب من عالم جليل وليس من طالب ذليل، ولكنه عالم من فحول العلماء، فيعلمنا كيفية التأدب مع الأولياء للحصول على المنح الإلهية والعطايا الربانية التي خصهم بها رب البرية ﷻ.

محنة القشيري

بعد وفاة شيخه حصل لأهل بلدته من الأشاعرة محنة، فالدولة العباسية في هذا الوقت كانت قد ضعُفت، وكان يهجم على الخلافة العباسية في بغداد دول تنشأ وتنمو ومعها قوة عسكرية، ويمسكون بزمام الأمور ويكون الخليفة رمز وصورة فقط.

فكانت دولة في تركيا وفارس اسمها الدولة السلجوقية نشأت ونمت وذهبت إلى بغداد وأمسكت بالأمور والزمام، والخليفة كان رجلًا كبيرًا وليس له شأن كالرئيس الشرفي في هذا الزمان في بعض الدول ليس له شأن بالحكم.

فتوصل المعتزلة إلى السلطان السلجوقي وألَّبوه على الأشاعرة، وكان له وزيرًا يسمى الكندري المعتزلي كان يخشى على نفسه من الأشاعرة، وخاصة الأشاعرة الموجودين في نيسابور، وكان منهم رجل عالم وتقي وثري ومعه كل المؤهلات للحكم وهو ابن سهل، فخاف أن ينتزع الوزارة منه، فاستصدر قرارًا من السلطان بأن يقبض على الأشاعرة الأكابر في البلدة ويضعهم في السجون وينكل بهم؛ فأمر بالقبض على القشيرى والجويني والفرائي وابن سهل بن الموفق ونفيهم، فقبضوا على القشيري والفرائي، وأمروا الصبيان أن يجروهم ويؤذوهم في شوارع البلدة وأودعوهما السجن.

أما الجويني فهرب إلى مكة المكرمة وسكن هناك ولقبوه بإمام الحرمين، وأما ابن سهل بن الموفق فجمع عددا كبيرًا من رجاله الذين يتقنون فنون القتال وذهب وهجم على حاكم نيسابور وتغلب عليه وأخرج القشيري والفرائي من السجن.

وكانوا أناس عقلاء فبعد أن خرجوا اجتمعوا واتفقوا على مغادرة هذه البلدة، لأنهم مهددين بالسجن في أي وقت، فهاجر القشيري من بلدته وترك زوجته وأولاده في رعاية الله.

فذهب إلى بغداد، وشاءت إرادة الله أن يستقبله الخليفة العباسي واسمه الموفق، ووفقه الله لحسن استقباله، وأقامه في قصره وجعل له مسجدًا يدرس فيه، وكان يحضر مجلسه بنفسه وأكرمه غاية الإكرام.

ثم أراد القشيري أن يذهب إلى الحج ليلتقي بإخوانه المطاردين، فذهب للحج والتقى بإخوانه المطاردين وكانوا حوالي أربعمائة فردًا، وبعد أن انتهت مراسم الحج جلسوا وتشاوروا واتفقوا فيما بينهم أن يتركوا حسم الأمور لواحد منهم على أن يكون رأيه مسموعًا ومستجابًا، وما يريه الله له يمشون عليه، فاختاروا القشيري لهذه المهمة ﷺ وأرضاه.

فوقف القشيري على المنبر وخطب خطبته ثم توقف وأخذ يدعو وينظر إلى السماء وأطال، ثم سكت برهة من الزمن، ثم قال:

يا أهل خُراسان بلادكم بلادكم إن الكندري – وهو الوزير – غريمكم يُقطَّع الآن إربًا وإني أشاهده الساعة وقد تمزقت أعضاؤه، ثم أنشد لأنه كان شاعرًا:

عميد الملك ساعدتك الليالي ... على ما شئت من درك المعالي
فلم يكن منك شيء غير أمر ... بلعن المسلمين على التوالي
فقابلك البلاء بما تلاقي ... فذق ما تستحق من الوبال

وحددوا الساعة وحددوا اليوم، وفوجئوا بعد رجوعهم أنه في نفس الساعة وفي نفس اليوم كان قد جاء أمر السلطان بقتل الكندري، وتمزيق جسده قطعًا قطعًا وإلقاء كل قطعة في بلد من البلاد، فكأنه فعل ما فعله ابن الخطاب عندما كان على المنبر ونادى: يا سارية الجبل.

فرجع إلى بلدته بعد غيبة عشر سنوات، وعاش بعد ذلك في صفاء ونقاء ورعاية دائمة من الله عشرة أعوام حتى توفاه الله بعد هذه العشر ودُفن بجوار شيخه أبو علي الدقاق رضي الله عنه وأرضاه.

مؤلفاته

هذا الرجل له مؤلفات كثيرة:

منها كتاب (الرسالة القشيرية)، وهو من أمهات المراجع الصوفية، سرد في نصف الكتاب الأول تاريخ عدد من أكابر الصوفية الصالحين المتشرعين المعتدلين، فذكر موجز عن حياتهم وموجز من أقوالهم، والنصف الثاني من الكتاب تحدث فيه عن مقاماتهم وأحوالهم مع الله تبارك وتعالى.

وله بعد ذلك كتاب (لطائف الإشارات) وهذا جمع فيه إشارات الصالحين اللطيفة في كتاب الله، وهو من ثلاثة مجلدات كبيرة وطُبع في الدار القومية للطباعة والنشر في مصر.

وله بعد ذلك كتاب اسمه (التحبير في التذكير) في شرح أسماء الله الحسنى، وله كتاب (التيسير في تفسير القرآن الكريم) وله كتبٌ كثيرة منها المطبوع ومنها الذي ما زال مخطوطًا إلى الآن، ومن جملة كتبه أيضًا كتاب عن المعراج، أتى فيه بغرائب عن معراج الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

منهج القشيري الصوفي وأثره

ما منهج القشيري في هذه الكتب؟

- **الأمر الأول**: الدفاع عن الصوفية المعتدلين، وتوضيح أحوالهم وأنهم لا يخرجون طرفة عين ولا أقل عن شريعة رب العالمين وعن منهج سيد الأولين والآخرين ﷺ.
- **الأمر الثاني**: وصل علوم الطريقة والحقيقة بالشريعة والحقيقة، وبيان أنهما شيء واحد وإن اختلفت المقامات، لكنهم كلهم تعبير عن دين الله، فهناك الإسلام وهناك الإيمان وهناك الإحسان وهناك الإيقان، وكلها دين الله ﷻ: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (﴿١٦٤﴾ الصافات).
- **الأمر الثالث**: نفي كل البدع والضلالات التي نُسبت إلى الصوفية زورًا وبهتانًا بالبراهين الشرعية والأسانيد المنطقية، والأحداث التي يراها من الصالحين ومن المتقين في زمانه وقبل زمانه إلى سيد الأولين والآخرين ﷺ.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نبين أن كلام الإمام القشيري أخذه وزاده بيانًا وايضاحًا:

- أبو طالب المكي في كتابه (قوت القلوب إلى الحبيب المحبوب).
- والإمام الغزالي أخذ كتاب (قوت القلوب) وكتاب (الرسالة) وكتاب (الرعاية) للمحاسبي وبنى عليهم كتابه (إحياء علوم الدين).
  - فما هو إلا جمعٌ لما في هذه الكتب.
  - وأضاف إليه في البداية شيء من الشريعة.

لأن الإمام الغزالي تكلم في البداية مثلًا عن الصلاة من الناحية الشرعية، ثم أسرار الصلاة، فيأخذ بكلام الصالحين في أسرار الصلاة، وهكذا.

وأيضًا أُحب أن ألفت النظر إلى أن:

- **الطريقة الشاذلية:**

طريقة سيدي أبو الحسن الشاذلي وتلميذه أبو العباس المرسي، ولسان حال الطريقة سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري؛ تعتبر هي امتدادًا لطريقة الغزالي وطريقة أبي طالب المكي وطريقة القشيري.

- **هي نفس المنهج المستوفي الذي نحن فيه.**

منهج الإمام القشيري في التربية الصوفية

❖ الأمر الأول: ضرورة التأدب بشيخ

يقول في ذلك:

(يجب على المريد أن يتأدب بشيخه، فإن لم يكن له أستاذ لا يُفلح أبدًا).

ويحكي عن شيخه الدقاق قوله:

(الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تُورق ولكنها لا تُثمر - ونسميها شجرة شيطاني لأنها نبتت وحدها - كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ معه الطريق نَفَسا نَفَسا، فهو هواه لا يجد نفاذًا)

❖ الأمر الثاني: واجبات المريدين نحو شيخهم

يركز على واجبات المريد نحو شيخه بالأدب اللازم له، ويقسِّم الأمور في ذلك فيقول: **(من صحب شيخًا فوقه في الرتبة، فأدبه ترك الاعتراض، وحمل ما يبدو منه على وجه جميل، وتلقي أحواله بالإيمان به).**

❖ الأمر الثالث: الزهد

لا يسلك المريد قدمًا في طريق الله وفي قلبه ميلٌ إلى الدنيا، فلا بد من الزهد، والزهد ليس معناه فقد الشيء، ولكن معناه خروج الشيء من القلب، يعني واحد يقول: أنا زاهد، لماذا؟ يقول: ليس معي شيئًا، فكيف تكون زاهدًا وأنت ليس معك شيء؟! لكن الزاهد من يكون معه الشيء في يده وليس في قلبه، فإذا طُلب منه لأمر يحبه الله جاد به طيبةً نفسه، كما كان أصحاب رسول الله ﷺ.

لكن الذي يدَّعي الزهد وليس عنده شيء، ففي ماذا تزهد؟!

وما الذي معك لتزهد فيه؟! لكن الزاهدون الذين يقولون:

اللهم اجعلها في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا.

عنده أموالٌ كثيرة، ويحدث قحطٌ وغلاءٌ للدقيق بين المسلمين، ويأتيه ألف جمل محملة بالدقيق من بلاد الشام، ويأتيه تجار المدينة كلهم ويقولون له: سنعطيك ضعفي السعر يقول: جاءني من زادني على ذلك، من الذي جاءك ونحن تجار المدينة؟!

يقول لهم: أُشهدكم أني أجعلها صدقة على فقراء المسلمين، فالله يقول:

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ (١٦٠الأنعام)

وهذا هو الزهد.

رسول الله يدعو إلى غزوة مؤتة في بلاد الشام، وكانت فترة ركود وكساد والناس ليس معهم شيء، ويدعو إلى التبرع، فيقول عثمان بن عفان ﷺ:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ ثَلَاثُ مِائَةِ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا، وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ }[١٢]

والأمثلة كثيرة في هذا الباب بين صحابة النبي، كالرجل الذي أتى بماله كله وهو سيدنا أبو بكر ﷺ، فقال له النبي:

{ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا }[١٣]

لم يعترض عليه، ولم يقُل له اترك لأولادك كذا، ولكن أقرَّه على ما فعل، وكأن هذا أمر يحبه رسول الله ﷺ.

فأول سُلَّمٍ للمريد في طريق الله الزهد القلبي في كل طيبات الدنيا ومشتهياتها وفتنها وزخرفها لأنه يريد وجه الله ﷻ.

٤ الأمر الرابع: آداب الصحبة

كان يدرب الأحبة على أدب الصُحبة ..

ويا ليتنا نمشي على هذا الأدب مع أحبابنا أجمعين، فيقول:

الصحبة ثلاث:

١- صحبة من فوقك:

الذي هو أكبر منك في المقام أو في السن، والصحبة هنا في الحقيقة خدمة، .. فعليَّ أن أخدمه لأنهم قالوا لنا قديمًا **(من خدم يُخدم)** فإذا لم أُرد الخدمة، .. فلا أنتظر أن أحدًا يخدمني بعد ذلك

---

١٢ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عبد الرحمن بن خباب ﷺ

١٣ جامع الترمذي وأبي داود

٢- صحبة الأكفاء والنظراء أمثالي، وهي مبنيةٌ على الإيثار والحب:

﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر).

٣- صحبة من هو دونك ولا يزال حديثًا، أو أقل منك في الشأن أو في السن أو غيره، وهي تقتضي الشفقة والرحمة وسعة الصدر والوفاق والرحمة ... فهذه أمور نحتاجها كلنا.

لأنني لا أجد بين الأحبة الشفقة والرحمة وسعة الصدر لإخوانهم، ولكن أجد الشدة الشديدة والتعنُّت الشديد في معاملة صغارهم وأحبابهم، وهذا لا ينبغي في طريق الله ﷻ أبدًا، لأن هذا السلوك ربما ينفرهم من طريق الله ﷻ.

ويقول:

ويجب على المريد أن يحفظ سره إلا عن شيخه، ولو كتم نَفَسًا من أنفاسه عن شيخه فقد خانه في حق صحبته، ولو وقع له مخالفة فيما أشار عليه شيخه فيجب أن يقر بذلك بين يديه في الوقت، ثم يستسلم لما يحكم به عليه شيخه عقوبة له على جنايته ومخالفته إما بسفر يُكلِّفه به أو بأمر ما يراه.

طبعًا هذا لا نفعله عندنا، لأن الأحباب مازالوا في طور البدايات !!!

لكن هذا كان يطبقه سيدنا رسول الله، وطبقه أصحابه الكرام، وطبقه المشايخ على المريدين الراغبين بشدة في الوصول إلى مرضاة الله ﷻ.

وأنتم كلكم تعرفون:

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾ (التوبة)

وكانت في غزوة تبوك، وسيدنا رسول الله دعا الناس إلى الخروج فخرجوا، وكان عندما يرجع يجلس أولًا في المسجد، فجاء الذين تخلفوا ولم يذهبوا معه، فالمنافقون كان كل واحد يقدم عُذرًا اختلقه كذبًا، وحضرة النبي يعلم أنه منافق فيقبل عذره.

حتى جاء ثلاثة فقال كل واحد منهم: والله يا رسول الله لم يكن لي عذر، فلا بد وأن يعترف بالحقيقة ليصل إلى مطلوبه.

لم يكن عندهم عذر يمنعهم من الخروج مع حضرة النبي:

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ (التوبة ١٢٠)

لا يجوز أبدًا أن يتخلفوا عن رسول الله ﷺ! ..

فأمر النبي المسلمين أجمعين بعدم الكلام معهم، وعدم السلام عليهم، وإذا سلموا عليهم لا يردُّوا عليهم السلام!! وأمر زوجاتهم أن لا يخدموهم ولا يمكنوهم من أنفسهن! فانظر إلى العقاب كيف كان شديد؟!!. إلى أن جاءت واحدة منهن وقالت: يا رسول الله إن زوجي شيخ كبير ولا يستطيع أن يصنع لنفسه شيئًا وليس له خادم، فسمح لها أن تخدمه على ألا تمكنه من نفسها.

كان أقواهم كعب بن مالك الشاعر المشهور؛ وكان بيوت أولاد عمه حوله والأسطح مع بعضها، فكان ينزل من السطح وهم جلوسٌ في فناء البيت ويسلم عليهم، فلا يردوا عليه السلام!! ولا يتكلمون معه، لماذا؟ لأنهم قالوا: سمعنا وأطعنا لرسول الله ﷺ.

لأنه ربما يأخذنا الحنان ونقول أن رسول الله شديد عليهم، ونحن لا بد أن نحنُّ عليهم، لكن هل نحن أحنُّ عليهم من رسول الله؟ هل نحن أحنُّ عليهم من حضرة الله؟ هل نحن أحنُّ عليهم من الشيخ الذي أقامه الله؟ لا ... فلماذا يفعل ذلك معهم؟ ليتوبوا إلى الله ويرجعوا إلى الله فيتوب عليهم الله ﷻ، وهو تهذيب وتأديب فقط وليس انتقام.

فيقول كعب: كنت في السوق ذات مرة، وإذا برجل يسأل: أين كعب بن مالك؟ فقالوا له: ها هو، فجاءني وقال لي: أنت كعب بن مالك؟ قلت له: نعم، قال: الشاعر؟ قلت: نعم، قال: هذه رسالة من ملك الروم إليك، فيقول: أخذت الرسالة وقرأتها: من ملك الروم إلى كعب بن مالك، نما إلينا أن صاحبك قلاك – يعني كرهك – فتعالى إلينا على الرحب والسعة تجد كل ما تصبو إليه، قال: قلت وهذه من مصائب الزمن أيضًا ... بلغ بي الأمر أن ملك الروم يطمع فيَّ فأترك الإسلام وأتنصَّر.

فانظر إلى الصدق! .. مكثوا على هذه الشاكلة خمسين يومًا؛ إلى أن نزل قول الله ﷻ: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة ١١٧) الصالحون قالوا: لو لم تنزل هذه الآية في البداية لمات هؤلاء الثلاثة، لكن الله ليخفف عنهم نزلت هذه الآية أولًا ثم قال بعدها:

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾ (١١٨التوبة).

وهذا كان مبدأ السلف الصالح في تربية المريدين وتهذيب المريدين:

مريد داخل طريق القوم حديثًا وهو رجل صادق، فيقولون له: تريد أن تمشي معنا؟ يقول: نعم، فيقولوا له: تجلس على الباب وتعمل من كل رقم ورقتين وتأخذ من كل مريد يدخل حذاءه تضع ورقة في الحذاء، وورقة تعطيها له، لماذا؟ ... حتى يخرج منه الكِبر.

سيدي أحمد البدوي ﷺ وأرضاه جاءه رجل صاحب متجر جواهر اسمه عبد الوهاب الجواهرجي يريد أن يتربى على يديه، ولما ألحَّ عليه قال له:

هات الجواهر التي عندك كلها، وكان له زاوية يصلي فيها المريدين، وكان بها بئر وساقية لتخرج المياه ليشربوا منها، هذه الساقية كان يديرها ثور، فقال له: ألق بالجواهر في البئر، وعليك أن تريح هذا الثور كل يوم وتخرج المياه.

وهو كان رجل مدلل ومن الأسياد، ولكن الطريق هكذا، والنفس لن تتهذب إلا بذلك، فانتظم في هذا الأمر، وذات يوم من الأيام راودته نفسه وحدثته وقالت له: أنت كنت رجلًا مرفهًا وكذا وكذا، كيف تفعل ذلك؟!

وبمجرد أن فكَّر في هذا وإذا بالشيخ قد جاءه وقال له: املأ الدلو من ماء البئر، فوجد جواهره كلها في الدلو، فقال له: خذ جواهرك وارحل عنا، قال له: تبت إلى الله ورجعت إلى الله وندمت، فقال له: لا مانع، وبعد مدة قال له: نريد أن نرقيك، قال: فماذا أعمل؟ قال: تنظف المراحيض، والمراحيض في السابق لم تكن كما نراها الآن.

وذات يوم من الأيام وهو ينظف المراحيض حدثته نفسه، لكنه تنبه لها، وكان مربي لحيته فترك ما ينظف به وأراد أن ينظف الأرض بلحيته، فوجد يدًا امتدت تحت لحيته ومنعته من الاقتراب من الأرض، وقال له الشيخ: ذللتها فأعززناك، يعني ما دام أنت ذللتها فلا بد أن نعزك !! ظل هكذا حتى ترقى وأصبح صاحب مقام، ومن يذهب إليه ليتربى على يديه يقول له: هذا المسمار إذا قدرت أن تدقه في الحائط تكون مريدًا لي وتتربى على يدي، فإذا لم تستطع دقه في الحائط، فأنت لست تابعي وابحث لك عن شيخ آخر تمشي معه، ما هذا؟ هذه أسرار لا يعلمها إلا مالك الأسرار ﷻ.

فكان هذا حال الصالحين:

إذا أساء مريد لشيء يقول له: عليك أن تصوم الإثنين والخميس على الدوام، وآخر يقول له: عليك – كما كنا نشاهد ذلك قديمًا – أن تحمل قربة الماء على ظهرك يوم الجمعة وتسقي الناس ماء، وإياك أن يعطيك أحد قرش وتأخذه منه، بل تسقيهم لوجه الله ﷻ، وآخر يقول له: عليك بخدمة فلان وفلان العواجيز وتقضي لهم حوائجهم باستمرار، وهكذا أساليب التهذيب كثيرة، والذي لا يقبل التهذيب فلا ينفع في طريق الله ﷻ ولا يصح له الوصول إلى الله ﷻ.

الإمام أبو اليزيد البسطامي ذهب له أحد العلماء، وهؤلاء الأئمة كانوا يفعلون أمورًا قد تضحك الناس عليها، لكنهم كانت لهم أحوال، فكان العالم شيخًا كبيرًا وقال له:

أنا أُعجبت بأحوالك وأريد أن أمشي معك، قال له: لن تتحمل، فأخذ يلح عليه، فقال له: تريد أن تمشي معي، قال: نعم، قال له: املأ جيبك لوز وانزل الشارع وقل للأولاد من يأخذ مني لوزة يصفعني على وجهي، قال: كيف أفعل ذلك؟! قال له:

قلت لك لن تتحمل، وليس لك في هذا الطريق، لأن هذا االطريق يحتاج من أهان نفسه حتى أذلها لله ﷻ:

﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٥٤المائدة).

الأمر الخامس: آداب الفتوة

أهل الطريق لا بد أن يكونوا طلاب الفُتُوة:

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ (١٣الكهف)

والفُتُوة قال فيها سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه وأرضاه:

إنما سُمي إبراهيم فتى لأنه كسَّر الأصنام.

ولكي تصل إلى مقام الفتوة:

– لا بد أن تُكسر كل الأصنام المعنوية التي بداخلك:

إذا كنت عبدًا للمال تكسره، وإذا كنت عبدًا للزوجة تخلَّص من هذه العبودية، وإذا كنت عبدًا للمنصب تجعل المنصب وراء ظهرك! وهكذا تكسر كل الأصنام حتى تكون عبدًا لله.

– وكذلك فإن صاحب الفُتُوة لا بد أن يكون عنده إيثار لجميع إخوانه على نفسه:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ (٩الحشر)

– ويضحي بنفسه قبل إخوانه ... قال ﷺ:

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ }[١٤]

الأمر السادس: الخلوة

الخلوة عند الإمام القشيري كالخلوة عند الإمام أبو العزائم كالخلوة عند الصالحين المعتدلين، فليست الخلوة أن تترك الخلق وتعتزل في مكان مهجور، ولكن الخلوة:

أن تكون بين الخلق وليس لهم مكانةٌ في قلبك، وقلبك لله ﷻ.

ولذلك كانوا يقولون: **(الولي كائن بائن)** يعني كائن بين الخلق، ولكنه بائن عنهم، يعني ليس مشغول بهم ولا مهموم بهم، لأن همه كله في الله ﷻ.

الأمر السابع: السياحة والسفر

فيقول:

لا بد للمريد أن يكون له سياحة روحانية أولًا في الأرض، حتى يمن الله عليه بعد ذلك بسياحة ملكوتية في عالم الرؤيا، ثم بسياحة ملكوتية في عالم اليقظة في ملكوت الله، ثم بسياحة روحانية في أسماء الله وصفاته، ثم بسياحة بنفخة القدس في الحضرات القدسية العلية.

وطبعًا كل هذا لا يصل إليه المريد إلا بالمداومة على ذكر الله آناء الليل وأطراف النهار.

الأمر الثامن: مداومة الذكر

يقول:

والعبد مأمور بذكر الله إما فرضًا وإما ندبًا، الصلاة وإن كانت أشرف العبادات فقد لا تجوز في بعض الأوقات، والذكر في القلب أتم لهم الذكر (ذكر اللسان وذكر القلب) فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب، والتأثير لذكر القلب، فإذاكان العبد ذاكرًا بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

١٤ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

٠٣ الإمام الغزالي

٣- الإمام الغزالي ﷺ ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
نشأته ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
تربيته ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
في طوس ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
في نيسابور ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
مع إمام الحرمين ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
الغزالي في بغداد ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
العلوم في عصره ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
اتجاهه للتصوف ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
الخروج من بغداد ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
في دمشق ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
إلى بيت المقدس ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
رجوعه إلى طوس ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
النهاية ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
حديثه عن التصوف ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
برنامج الإمام الغزالي في السير إلى الله ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
تجهيز القلب ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
- يحتاج إلى ثلاث أشياء ..... Error! Bookmark not defined.
طهارة القلب ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
التخلي عن أوصاف المنافقين ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
جلاء القلب ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
جمع الهمة على الله ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
التعرض لفضل الله ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.

قال الإمام الغزالى رضي الله عنه:

(أني علمت يقينًا
أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى؛
خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير،
وطريقهم أصوب الطرق،
وأخلاقهم أزكى الأخلاق)

٣- الإمام الغزالي رضي الله عنه [١٥]

الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه تكلم في كتابه (شراب الأرواح) عن أهل مقام الإحسان، وبدء السير والسلوك إلى الله من مقام الإحسان، وقبل ذلك كله استعداد وتجهيز، لكن متى يبدأ السفر؟

إذا وصل إلى مقام الإحسان وهو أن يعبد الله كأنه يراه.

فيقول:

إن أهل مقام الإحسان لا تجد في كل مائة ألف؛ رجلًا منهم ..

فما بال الآخرين؟!

كما قال الإمام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه:

(الناس ثلاثة: عالِم رباني، ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق)

منهم من همه بطنه، ومنهم من همه ماله، ومنهم من همه زوجته، ومنهم من همه منصبه، وكلها هموم بسبب الجسوم ولا تنفع المرء عند لقاء الحي القيوم.

الإمام الغزالي رجل من كُمَّل الصالحين، ملأ الأرض والبحر والفضاء علمًا ونورًا، وكتب سيرة نفسه بنفسه حتى يُعرِّف من يريد أن يتأسى به كيفية السير والسلوك الذي به ينال فتح الله ورضا ربه ﷻ.

نشأته

هو الإمام محمد بن محمد الغزالي، وشهرته واضحة في كل أرجاء المعمورة، وشهرته عند الأوروبيين أكثر من شهرته عندنا جماعة المسلمين للآثار العلمية العظيمة التي تركها وألهمه الله فابتكرها، فهو من المجددين وقالوا: أنه كان مجددًا للقرن الخامس، وينطبق عليه قوله ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا } [١٦]

واشتُهر باسم أبو حامد الغزالي ..

---

١٥ المقطم – مجمع الفائزين ٢٨ من ذي الحجة ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٧/٢٧م

١٦ سنن أبي داود والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

وحامد هذا ولد وحيد رُزق به ومات وهو صغير، ولم ينجب إلا ثلاث بنات، لكن هذا الأمر كان لا يشغل بالهم، ولا يكدِّر صفوهم، فلا يكدِّر صفوهم إلا البعد عن الله، أو الحرمان من رؤية حبيب الله ومصطفاه ...

أما الدنيا كلها بما فيها ومن فيها لا تشغلهم طرفة عين ولا أقل.

هذا الرجل وُلد سنة ٤٥٠ هجرية في بلد اسمها طوس، وطوس هذه في إقليم خراسان في شمال إيران الآن، وكان أشهر إقليم بالعلماء والعلم في ذلك الزمان، وكان أبوه محبًا للصالحين ومنخرطًا في سلك الصوفية المجتهدين، وكان رجلًا فقيرًا.

كان في هذا العصر يؤثر الصالحون عدم الإشتغال بالوظائف الحكومية خوفًا من الشبهات، ويؤثر كل رجل منهم أن يكون له حرفة يتقنها ويأكل منها زاده الحلال، ولذلك تجد اسم الغزالي نسبة للغزل، وتجد الجنيد القواريري، والقوارير هي صناعة الزجاج، والحريري، وكلها كانت أسماء مهن يمتهنونها لتحري المطعم الحلال.

فأبوه كان له دكان صغير في طوس يغزل فيه الصوف، يشتري الصوف ويغزله ويبيعه، وكانت هذه الصنعة موجودة لوقت قريب ولكن كانت لصناعة الطواقي فقط، لكن قديمًا كانت لصناعة الأثواب.

تربيته

ورُزق بولدين محمد وأحمد.

ولما أحس بقرب الأجل كان ليس معه إلا قدر قليل من المال، فجاء لأحد الصوفية الصادقين وقال: (يا أخي إن لي لتأسفًا عظيمًا على عدم تعلم الخط وأشتهي استدراك ما فاتني في ولديَّ هذين) يريد أن يعلمهم القراءة والكتابة والعلم، وترك المبلغ الذي معه له، وكان مبلغًا قليلًا.

أشرف عليهما هذا الرجل الصوفي إلى أن نفد المال، فقال لهما: أنتما تعلمان أني رجل فقير ولا أملك من حطام الدنيا شيئًا، وما تركه لكما والدكما قد نفد، وليس لكما مخرجًا إلا أن تلجئا إلى إحدى المدارس العلمية لتتعلما وتنالا قوتكما.

وكانت المدارس العلمية كلها تطوعية ينفق عليها أهل الخير، يبني المدرسة أحد الوجهاء الأثرياء الأتقياء، ويعمل فيها أماكن لإقامة الدارسين من الطلبة، وأماكن لإعداد

الطعام، ومكتبات للاطلاع، ومخازن ليحضروا فيها الكتب والكراريس وما شابه ذلك، ويدعو لها معلمين، ويعطي أجرًا للمعلمين وطعام وأجر أيضًا للطلاب، يعني الطالب يتعلم مجانًا ويأخذ أيضًا الأجر ويأكل ويشرب ولا يحتاج لشيء آخر.

فالرجل قال لهما: أريد أن تدخلا هذه المدرسة لتكفلكما من ناحية الطعام والشراب، لأنكما ليس لكما مصدر دخل.

ولذلك الإمام الغزالي ﷺ كان حكيمًا، قال بعد ذلك: **(طلبنا العلم لغير الله، فأبى إلا أن يكون لله)** يعني نحن دخلنا هذه المدارس لنأكل ونجد مكان نقيم فيه، لكن الفتاح العليم فتح عليه فتحه وعلمه من علومه ﷻ.

في طوس

وأثناء ما كان في بلده طوس بدأ بحفظ القرآن الكريم.

ثم تعلم علم الفقه عند أحد العلماء اسمه الإمام أحمد الرازكاني.

وبعد أن حصَّل علم الفقه أراد المزيد، ولا يوجد مزيد في طوس، فقالوا له: إن كنت تريد أن تستزيد فاذهب إلى (جرجان) وهناك الإمام أبو نصر الإسماعيلي فتعلم منه، فذهب إلى جرجان.

وكان الطالب في ذاك الزمان هو نفسه الطالب في أي زمان ومكان، معه قلمٌ وأوراق يسجل فيها ما يسمعه، فإذا كان الإمام أو المدرس يُدرِّس من كتاب يكون له تعليقات، فيكتب الطالب التعليقات التي سمعها من الأستاذ حتى يستزيد من العلم.

بعد أن مكث فترة مع الإمام الرازكاني وحصَّل العلم وكتب كمًا كبيرًا من التعليقات قرر أن يرجع إلى بلده.

وكانت عصابات الطرق كثيرة في هذا الزمان، فخرجت عليهم عصابة أخذت كل ما مع القافلة، وكان الناس ليسافرون يتجمعوا في مكان كالموقف الآن، ليمشوا مع بعضهم، وليحموا بعضهم من قطاع الطريق.

فأخذوا كل ما مع القافلة وكل ما مع الإمام الغزالي، فخرج الغزالي لزعيمهم يجري خلفه ويقول: أنا أريد منك طلبا واحدًا فقط، أريد أن تعطيني تعليقاتي، فقال له: وما هذه التعليقات؟ قال: العلم الذي تعلمته كتبته في كتب وموجود في المخلاة التي معكم.

فقال له: .. كيف تدَّعي أنك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها!! وبقيت بغير علم؟!

يعني أنت نسيت العلم !!، إذًا العلم ليس معك ولكنه في المخلاة!!، فقال الرجل للذين معه: أعطوه كتبه.

يقولون في الحكمة:

(ليس بكائن من لم يستفد من كل كائن)

ومن يمشي في طريق الصالحين لا بد أن يأخذ الحكمة ولو من أفواه المجانين، أي كلمة يسمعها هنا أو هنا تثير عنده شجون وفنون بما فيه نحو الله ﷻ.

يقول الإمام الغزالي:

هذا مستنطق أنطقه الله ليرشد به أمري، يعني عرفت أن هذا رسول من عند الله بلَّغني هذه الرسالة على لسان هذا الرجل.

يقول: **عندما رجعت إلى طوس مكثت ثلاث سنين أحفظ هذه التعليقات حتى حفظتها، حتى لو خرج عليَّ قطاع طريق أو غيرهم بعد ذلك وأخذوا ما معي من كتب فلن أحتاج للكتب لأن الكتب أصبحت في صدري.**

فانظروا للرجل في طريق الله ومدى وعيه بكل ما يسمعه في هذه الحياة.

في نيسابور

بعد ذلك انتقل إلى مدينة نيسابور.

وكما قلنا أن نيسابور كانت تعتبر أشهر مدينة في لواء خراسان في العلم والعلماء.

وكان فيها مدرسة كبيرة للعلم عملها سلاطين الدولة العباسية، وكان فيها الخلافة، لكن الخلافة وقتها ضعفت واستولت على البلاد دولة اسمها الدولة السلجوقية، وأصبحت الخلافة رمزية على هذا المكان.

فكانت نيسابور عاصمة السلجوقيين، وهم أصلًا من الفرس والروم وأسسوا دولة كبيرة حتى جاءت الخلافة العباسية في بغداد وأصبح الخليفة ليس له إلا المظهر الديني فقط، لكن من يحكم فعلًا هم السلجوقيون.

مع إمام الحرمين

ومن أحسن مميزات الدولة السلجوقية أنها عملت المدارس في كل مكان.

والمدرسة التي ذهب إليها الغزالي كانت لإمام من الأئمة وكان اسمه الإمام الجويني، أو كانوا يلقبونه بإمام الحرمين.

وكان الإمام من هؤلاء محيطًا وملمًا بكل العلوم التي يحتاجها الطلبة وهو الذي يدرسها وحده.

وكان عنده أربعمائة طالب في المدرسة، والدولة تنفق عليهم نفقاتهم وأكلهم وشربهم وكراساتهم وكل شيء يحتاجونه، غير المكتبة الضخمة الموجودة في المدرسة ليطلعوا فيها ويذاكروا منها.

ونحن ذكرنا في سيرة الإمام القشيري أنه كان في هذا الوقت حدث جدل كبير بين جماعة اسمهم المعتزلة وجماعة اسمهم الأشاعرة في علم اسمه علم الكلام، ويكفي اسمه!!

وعلم الكلام أنهم يجادلون بعضهم في أمور عقلية فلسفية في الآيات القرآنية لم يفهما السلف الصالح بهذه الكيفية، وكلهم طبعًا يجادلون بعضهم ولا بد أن يكون معهم الحجة والبرهان والمنطق، فكان أشهرهم الإمام الجويني.

ظل الإمام الغزالي معه حتى تفوق على كل الطلاب الأربعمائة.

وأحب الرجل أن يساعده أحدهم ويكون معينًا له، فاختبرهم فلم يجد إلا الإمام الغزالي الذي يساعده في هذه المهمة، وهو الذي يقوم بمساعدته في التدريس في المدرسة النظامية في نيسابور.

ظل الغزالي معه حتى توفى الإمام الجويني.

وبعد وفاته أين يذهب؟

كان وزير الدولة السلجوقية نظام الملك، ونظام الملك كان رجلًا مشهورًا لأنه هو أول من نشر هذه المدارس في كل الأقاليم.

فذهب إليه الإمام الغزالي وتعرف عليه وخاصة أنه من طوس يعني أنهما من بلد واحد، وأشار عليه نظام الملك أن يذهب للمدرسة النظامية الأعظم والأكبر الموجودة في بغداد.

الغزالي في بغداد

ذهب الإمام الغزالي للمدرسة النظامية التي في بغداد، وهناك نال كل ما تشتهيه النفس من الشهرة والثروة والسمعة والتقديس، حتى أن شهرته وتقديسه كانت أعظم من الأمراء، وكان يحضر مجلسه حوالي عشرة آلاف نفس، منهم أربعمائة من العلماء الأكابر، ومائة من الأمراء، غير الوجهاء وغيرهم وغيرهم، فوجد كل ما تطلبه نفسه من الشهرة والسمعة والجاه والمنصب وغيره.

لكن المطلوب لله ﷻ يظل في داخله شيء يطالبه بأن يتجه إلى الله ﷻ على منهج الخواص، الإمام أبو العزائم ﷺ يقول في ذلك: (أرى فؤادي يطالبني برؤيته) الرؤيا العينية الشهودية لذات الحق ﷻ.

العلوم في عصره

فأخذ يبحث أين يجد نفسه؟

وهو – كما قلنا – حصَّل معظم العلوم الموجودة في عصره وتفوق فيها على جميع من حوله، فوجد أن المسائل العلمية التي ينشغل بها الناس أربعة:

- أناس مشغولون بعلم الكلام وهؤلاء أصحاب الجدال.
- وأناس مشغولون بالفلسفة ليؤيدوا أنفسهم في علم الكلام فترجموا كتب أرسطو وأفلاطون وغيرهم ليخرجوا منها حجج يؤيدون بها ما يصبون إليه في علم الكلام.
- وأناس آخرون اسمهم الباطنية وهؤلاء طوائف وليسوا طائفة واحدة، يزعمون أن العلم موجود عند واحد فقط ويسمونه الإمام المعصوم، يعني كأنه نبي وينزل عليه وحي، وهو وحده الذي عنده العلم ويأخذون العلم منه، ولذلك يؤولون الآيات القرآنية كلها تأويلات باطنية لا يخضع لها العقل، وليس لها دليل ولا شاهد في النقل، لكنهم يقتنعون بها، والطائفة الرابعة الصوفية.

فدرس كل هذه العلوم دراسة وافية تامة لعله يجد فيها ما يشفي فؤاده.

وبعد أن اطلع على علم الكلام قال: وجدت فيه بعض النفع لهم، ولكن لم أجد فيه ما يشفي غلتي وينفعني، وكل هذا يؤلف فيه كتب كثيرة، لأنه ترك أربعة وثمانين كتابًا.

وذهب للفلاسفة وكان لم يدرس كتبهم وقال: تفرغت سنتين كاملتين درست كل ما كُتب في الفلسفة.

فوجد كذلك أن علومهم وما جاءوا به لا يشفي صدره ولا يحقق مراده، فكتب فيهم أيضًا كتب بيَّن فيها ضحالة فكرهم، مثل كتاب سماه (تهافت الفلاسفة)، وعاد مرة ثانية وكتب كتاب آخر سماه (تهافت التهافت) يعني هؤلاء لا ينفعون في أي شيء.

أما الباطنية التي عظم شأنها في عصره فدرس عقائد الباطنية وعلومهم وانتهى إلى نفس النتيجة.

اتجاهه للتصوف

- بعد ذلك بقي الصوفية: فقال :

بدأت أولًا بكتبهم فقرأت كتاب (قوت القلوب) لأبي طالب المكي، وكتاب (الرسالة) للإمام القشيري والمأثورات الموجودة عن الجنيد، وغيره وغيره، وفي النهاية وجدت أن العلم عندهم لا ينفع بغير عمل.

هؤلاء لا بد أن يكون عندهم جزء نظري وجزء عملي، فلو حصَّل كل العلوم النظرية التي كتبها الصوفية، ولم يدخل في الناحية العملية فلن يجد ثمرة، ولن يجد شيئًا ينفعه أو يدفعه؛ ماذا يفعل؟

أصَّر أن يسلك طريق الصوفية في الحياة العملية، وهذه العبرة التي نأخذها منه، لأنه في هذه الشهرة وفي هذا الهيلمان مع الأمراء ومع الوجهاء وهو سلطان العلماء حصل له تردد، هل يترك هذا كله؟!! فالأمر صعب لا يقدر عليه إلا من قواه مولاه ﷻ.

فيقول:

أخذت أتردد ستة أشهر، وبعد الستة الأشهر فوجئت بأن الحالة النفسية الداخلية طفت فأثَّرت على اللسان فعجز اللسان عن النطق، فعرف أنه لا بد أن يترك ما هو فيه، فكيف يتركه؟ ومن الذي سيتركه؟ وأحسَّ الأمراء والوجهاء والخليفة بذلك وأخذوا يحاولون معه حتى لا يترك هذا المكان والعلماء وبناته وزوجته وأخوه أحمد الذي كان معه يساعده.

وفي النهاية أكرمه الله ﷻ برجل من الصالحين اسمه (الفرمادي) وهو تلميذ لبق من تلاميذ الإمام القشيري، فدلَّه على الأعمال التي يعملها ليخرج من هذه المشاغل، ومن هذه المشاكل كلها.

الخروج من بغداد

عزم على الخروج من بغداد ولكن بطريقة حكيمة ولطيفة، فقد نوى أنه ذاهب إلى أداء الحج في بلاد الحجاز، ولكنه في نفسه عزم بعد ذلك على الذهاب إلى بلاد الشام، فترك بعض المال لبناته، ووزع باقي المال على الفقراء والمساكين، وخرج مع الحجيج من بلاد العراق وكان هو عالم الفوج ومرشد البعثة، وبعد أن انتهى من مناسك الحج بحثوا عنه فلم يجدوه، وتاه عامدًا إلى بلاد الشام.

في دمشق

ذهب إلى المسجد الأموي في بلاد الشام بعد أن غيَّر ملابس العلماء التي كان يلبسها، وأمسك بعكاز صغير وملابس بالية حتى لا يفطن أحدٌ إليه، فبعد هذه الشهرة هو الذي يهرب من الشهرة!!. وكان يدخل مأذنة المسجد نهارًا ويغلق الباب عليه ويشتغل بأوراده وتلاوة كتاب الله ومناجاته لربه ﷻ، ولا يخرج إلا للصلاة فقط، ولا يختلط بأحد.

ومن أين يأكل؟ كان يجيد الخط والكتابة، وكانوا ينسخون الكتب بخط اليد، فكان ينسخ الكتب للناس ويأكل من أجر هذا النسخ، حتى يكون أكلًا حلالًا، يعني ليس عالة على أحد ولا ينتظر من أحد أن يعطيه أو يعطف عليه، لأنه كان يمشي على المنهاج.

حتى كان ذات يوم جالس في مسجد دمشق، فدخل رجل فلاح يسأل بعض العلماء الموجودين في المسجد عن مسألة في الميراث فعجزوا عن الإجابة، يقول: فأخذتني الحمية في نفسي أن يخرج الرجل من المسجد بغير إجابة، فبعد أن تركهم ناديت عليه، فسألته عن سؤاله وأجبته، فعندما رأوه نادوا عليه فقالوا له: هذا الرجل المجذوب ماذا قال لك؟ قال لهم: قال كذا وكذا، فقالوا: هذا عالم فتعرفوا عليه.

إلى بيت المقدس

لما عرفوا أنه الغزالي وكان مشهورًا في العالم الإسلامي كله، قالوا له: أنت تعمل لنا مجلس، فقال لهم: إن شاء الله من باكر، وفي اليوم التالي رحل إلى بيت المقدس، لأنه يفر من الشهرة ويريد الله.

ذهب لبيت المقدس ودخل تحت الصخرة وأغلق على نفسه حتى يظل في ذكره وفنائه وتقربه إلى ربه ﷻ بما وجَّهه إليه شيخه رضي الله عنه وأرضاه.

وهذه ليست أعمال ظاهرة فقط، ولكنها أعمال ظاهرة وباطنة.

وفي هذه الفترة فتح الله ﷻ عليه في بيت المقدس فألَّف كتاب (إحياء علوم الدين) وهو الكتاب الذي ليس له نظير في العالم الإسلامي كله، حتى أن الإمام النووي قال عنه: **(كاد الإحياء أن يكون قرآنًا)**.

ومعظم المتكلمين والمتعلمين والعلماء الذين نراهم مشهورين يأخذون علمهم من كتاب (إحياء علوم الدين) وهو في أربع مجلدات، قسم في العقائد، وقسم في العبادات، وقسم في العادات، وقسم في المنجيات، وقسم في المهلكات، وكل قسم منهم عشرة أبواب، وهذا لا غنى عنه، ونحن بدايتنا كلنا كانت إحياء علوم الدين

وكانت بدايتي أولًا كتاب (بداية الهداية) وهو الكتاب الأول الذي بدأ به الإمام الغزالي، وقال: من يرد التوسع فليذهب إلى الإحياء فذهبت إلى إحياء علوم الدين.

مكث في هذه المدة عشر سنين بين دمشق وبين القدس، وجاء لمصر أيضًا زيارة، وكان قد سمع عن ملك صالح في بلاد المغرب اسمه يوسف بن تاشفين، فقال: أنا أسافر وأعيش تحت رايته لأنه حاكم عادل، وهو في الأسكندرية جاءه خبر وفاته فلم يكمل المشوار.

رجوعه إلى طوس

بعد هذه العشر سنين رجع إلى بلاد الحجاز فحج ورجع مرة ثانية إلى بلده طوس في بغداد حتى يرى زوجته وأولاده، ولكن بعد أن فتح الله عليه فتحًا مبينًا.

وأعطانا خلاصة تجاربه هذه في كتاب صغير سماه (المنقذ من الضلال) يعني سمَّى ما كان فيه من الشهرة والعلم وهذه الأحوال ضلال، والتصوف هو الذي أنقذه من الضلال.

والإمام عبد الحليم رحمة الله عليه له كتاب عظيم اسمه (المنقذ من الضلال قضية التصوف) وهو كتاب متوفر وأنصح دائمًا الأحباب بقراءته، نشر به في نهايته كتاب (المنقذ من الضلال) للإمام الغزالي، شرح في البداية كل ما يتعلق بقضايا التصوف بحثًا ودراسة مقنعة ووافية، مع الإستدلال الوافي بآراء العلماء والحكماء العرب والأجانب، فهو بحث قيم لا غنى لأي إنسان يسلك طريق الصالحين من قراءة هذا الكتاب.

رجع الإمام الغزالي ﵁ وأرضاه إلى بلده طوس واستقر فيها مدة، وكان الوزير نظام الملك قد قُتل، وتولى ابنه بعده الوزارة فذهب إلى الغزالي وألح عليه أن يرجع للتدريس ولكن في مدرسة نيسابور، فذهب ودرَّس فيها فترة وجيزة، لأن الوزير فخر الملك قُتل أيضًا، والذي كان يقتلهم الباطنية وهم خلفاؤهم داعش وما شابههم.

النهاية

فلما قُتل الوزير رجع مرة ثانية إلى بلده وبنى مدرسة لتعليم العلم وزاوية للصوفية والصفاء، وقسَّم وقته، إما في تدريس العلم، وإما يجالس الصالحين والصادقين، وإما قراءة القرآن، وإما مع الله ﷻ، وظل على هذا الحال حتى ذات يوم بعد صلاة الفجر قال لأخيه: هات كفني، فقبَّل الكفن ثم تمدد ولقي الله ﷻ.

كم سنة عاشها هذا الرجل في هذا الجهاد كله؟ خمسة وخمسين سنة، يعني عمره ليس طويل، ولكن عمره كله حياة.

حديثه عن التصوف

من النصوص التي نستشهد بها للإمام الغزالي، يقول:

لما استقررت على طريق الصوفية، ودمت على ذلك مقدار عشر سنين، وانكشفت لي في أثناء هذه الخلوات أمورٌ لا يمكن احصاؤها واستقصاؤها، والقدر الذي أذكره ليُنتفع به أني علمت يقينًا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جُمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئًا من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلًا، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نورٌ يستضاء به، وبالجملة، فماذا يقول القائلون في طريقة طهارتها - وهي أول شروطها - تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى، ومفتاحها - الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة - استغراق القلب بذكر الله، وآخرها الفناء بالكلية في الله.

ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات، حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتًا، ويقتبسون منهم فوائد، .. ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق، ... فلا يحاول مُعبِّر أن يُعبِّر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز منه، .. بل الذي لابسته الحالة لا ينبغي أن يزيد على أن يقول:

وكان ما كان مما لســـت أذكره فظن خيرًا ولا تسـأل عن الخبر

أسأل الله أن ينفعنا بالصالحين، وأن يأخذ بأيدينا إلى طرائق المقربين، وأن يصفينا ظاهرًا وباطنًا لهذا النور المبين.

برنامج الإمام الغزالي في السير إلى الله

ما البرنامج الذي مشى عليه الإمام الغزالي عندما سلك طريق التصوف؟

البرنامج باختصار في ثلاث نقاط:

وأي واحد منا يريد أن يصل إلى فضل الله وكرم الله يستطيع فعلهم.

تجهيز القلب

ما المحل الذي ينزل فيه فتح الله وأنوار الله وإكرامات الله؟ ... القلب!، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ }[١٧]

متى يتجلى الله في القلب؟ .... إذا كان سليمًا:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء)

ولذلك ربنا أثنى ومدح الخليل وقال في شأنه:

﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٤الصافات)

والسليم يعني ليس كالقلوب التي فيها ليس جلطات ومشاكل صحية، ولكن نقصد القلب السليم المعنوي.

هذا القلب لكي أؤهله للجمال الإلهي والحُسن الباهي والكمالات الإلهية والأسماء والصفات الربانية والتنزلات القدسية، ... ماذا يحتاج؟

- **يحتاج إلى ثلاث أشياء**

الأمر الاول: التطهير.

تطهير محض شامل.

الأمر الثاني: تصفية وجلاء.

الامر الثالث: التعرض لفضل الله.

فبعد أن أطهر القلب وأصفيه وأجليه أترك الأمر لله وأتعرض لفضل الله.

ماذا يعطيني؟ .... في أي مقام يضعني؟

---

١٧ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

هو حر ليس لي تصرف في هذا الأمر، لأن النفحات الإلهية التي أشرنا لا يوجد عمل في الشريعة أو في السُنَّة يوصل إليها، ولكن:

﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (٢١الحديد)

هذا شأنه:

﴿ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (١٠٥البقرة).

فماذا نفعل؟

علينا أن نتعرض، وكما قال الإمام أبو العزائم على لسان الحضرة الإلهية:

إذا تعرض عبدي لنيل فضلي تحلى
بحلة الحسن مني وبالشهود تملى

طهارة القلب

لا بد من هذه الأمور بالترتيب، وأول شيء التطهير، وماذا يعني التطهير؟

أن أمحو كل الصفات المذمومة التي في باطني والتي في ظاهري، فأبدأ بباطني أولًا:

﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ ﴾ (٤٧الحجر)

الغل والحقد والحسد وكل هؤلاء، فهؤلاء غير موجودين في قاموس المؤمن، فما الذي في قاموس المؤمن؟ الحب والوجد والعشق والمودة والرحمة والحنان والعطف، هؤلاء الموجودين في قاموس المؤمن، وتكون في قلب المؤمن كسيد المؤمنين:

﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾ (١٥٩آل عمران)

فهذه البداية .... فكيف أرفع هذه الأشياء؟ انظر ماذا يقول لك الله؟

يقول: (ونزعنا) يعني هذه الأمور لا ترفع بلطف ولكن تحتاج إلى شدة شديدة، فأنا أنزع شيئًا من الأرض فكيف أنزعها؟ لا بد أن أستجمع قوتي وآخذها بشدة، هل أستطيع نزع نبات في أرض جافة بلطف ولين؟

لن يخرج، فلا بد أن يكون بشدة شديدة! فهذه الأمور تحتاج إلى الشدة الشديدة، يعني العزيمة القوية والإرادة الصلبة والعزم والتصميم على الخلاص مما ذكرناه كما أمر الله ﷻ.

التخلي عن أوصاف المنافقين

هذه الصفات الباطنة.

أما الصفات الظاهرة هي أن أتخلى عن كل أوصاف ذكرها الله أو ذكرها رسول الله للمنافقين، لأنه لا يستوي النفاق والإيمان في قلب عبد يريد مولاه، كالكذب والغيبة والنميمة ويمين الزور والسحر والسب والشتم واللعن !!!

فكل هذه الأشياء لا تجوز مع المؤمن.

سيدنا أبو بكر أعطى غلام في حجة الوداع جملًا عليه زاده هو ورسول الله ليحرسه.

لكن الغلام لعب وغفل عن الجمل فتاه، فسيدنا أبو بكر غضب، وكان سريع الغضب وسريع الرضا – وهذه صفة محمودة؛ لكن سريع الغضب بطيئ الرضا فهذه صفة مذمومة – فسبَّ الغلام.

فقال ﷺ:

{ لَعَّانِينَ وَصِدِّيقِينَ؟ كَلا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ }[١٨]

لا يجوز لصِدِّيق أن يشتم أي شيء ..

ولذلك كنا نرى السلف الصالح شتائمهم تكون دعاءًا.

وهذا الكلام رأيته حتى في البلاد العربية الذين كانوا لا يزالون مستقلين حديثًا من الاستعمار كالجزائر، فكنت أفرح عندما يسيئ أحد إلى أحد فيقول له: ربنا يرحم والديك، أو رحم الله والديك، فلا فيها كلمة لعن ولا غيره.

وهل يوجد مسلم يلعن؟ لا !!!

واللعن في القرآن على من؟

على الكافرين أو على الظالمين !!!

فأنا لو لعنتُ فقد لعنتُ نفسي، وهي ستلف وتدور وترجع لي مرة ثانية.

فعندما لعنت إحدى زوجات النبي جملًا فقال لها:

---

١٨ شعب الإيمان للبيهقي والأدب المفرد للبخاري عن عائشة رضي الله عنها

{ لَا يَصْحَبُنِي شَيْءٌ مَلْعُونٌ }[١٩]

وبينما امرأة من الأنصار على ناقتها فضجرت منها فلعنتها.

فقال ﷺ:

{ خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ }[٢٠]

فهذه الهفوات التي يجب أن تحاسب نفسك عليها، قال ﷺ:

{ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ }[٢١]

وبيتك هو قلبك، فلا بد للإنسان أن يصفي نفسه ظاهرًا من أخلاق المنافقين، وباطنًا من الأوصاف التي يبغضها رب العالمين إلى أن يصل إلى:

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ }[٢٢]

جلاء القلب

فإذا انتهى من هذا يبدأ يُجلي القلب .. كيف يجليه؟ .... قال ﷺ:

{ القَلْب يَصْدأُ كَمَا يَصْدَأ الحَدِيد، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا جِلَاؤُه؟ قَالَ: تِلَاوَة القُرْآن وَذِكْرُ الله تَعَالَى }[٢٣]

يبدأ يجليه بالذكر.

ونحن لا نعرف الذكر الذي يصلح لنا، ولذلك لو سلمنا للطبيب الرباني سيعطينا الذكر الذي يوصلنا بسلام وأمان إلى حضرة الرقيب ﷻ.

أذكر هنا ما ذكره الإمام الغزالي في طريقه هو !! .. لكنها ليست للكل، حتى لا يقول أحد: سأفعل ذلك .. لكن نحن نذكرها لك على سبيل المعرفة:

هل يصح الآن أن تتداوى بكتب الرازي، أو كتب ابن سينا؟ !! لا ..

لا بد أن تذهب لطبيب حي ويوقع عليك الكشف، ويعطيك على حسب المستحدثات العصرية المنزلة في الآيات القرآنية من عند رب البرية:

---

١٩ مسند احمد والطبراني عن عائشة رضي الله عنها
٢٠ صحيح مسلم ومسند أحمد عن عمران بن حصين رضي الله عنه
٢١ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه
٢٢ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه
٢٣ الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٢الإسراء)

هل انتهى التنزيل أم لا يزال؟

ننزل على الدوام من القرآن.

على من ينزل؟ قال:

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ ﴾ (٤٩العنكبوت)

ليس في السطور، من هؤلاء يا رسول الله؟ قال له الله:

﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ ﴾ (١١٤طه)

لا تتعجل، وبعد ذلك قال له:

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ (١٩القيامة)

نحن علينا أن نبينه لكل زمان ولكل مكان على رجل من أهل الزمان ورجل من أهل المكان يؤهلهم الرحمن لطلاب حضرة الرحمن ﷻ.

لماذا نقول هذا الكلام؟

لأنني سأذكر ما عند الإمام الغزالي، ولأننا قلنا من البداية:

إن لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق.

فلا تقُل هذه طريقي وأمشي فيها، لا .. الغزالي يقول:

(بعد أن ينتهي الإنسان من هؤلاء يقطع كل العلائق التي تشغل القلب)

إن كان مال أو منصب أو أهل أو جاه أو غيره كما فعل هو.

فالإمام الغزالي كان عالم العلماء في بغداد ..

وكان يحضر مجلس علمه عشرة آلاف نفس، وكان يحضر منهم مائة عمامة من كبار العلماء، ومائة أمير، وكان هو أعلى منصب في الدولة الإسلامية كلها في زمانه ...!!

ترك هذا كله !!!

ترك أولاده وترك المنصب وترك الجاه !!!

وخرج إلى الله ﷻ متجردًا مما سواه، فلا بد من هذا في البداية.

جمع الهمة على الله

بعد أن قطع كل هذه العلائق جمع الهمة كلها على الله:

- فلا يخطر في باله نَفَسًا غير مولاه ...
- ولا يريد من الدنيا والآخرة غير رضاه ...
- ولا يفعل شيئًا إلا ويحقق الله له مناه ..
  - ومناه أن يرضى عنه مولاه ﷻ.

وبعد ذلك خلا بنفسه في المسجد الأموي في دمشق يذكر الله.

- وأعرض عن الشهرة ...
  - فلما عرفوه في دمشق ترك دمشق وذهب للقدس.

فماذا كان يفعل في هذه الخلوة؟

- يقول بلسانه: الله الله على الدوام مع حضور القلب ..
  - حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ...
  - ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ..
  - واللسان لا يتحرك ...
    - ثم يصبر عليه إلى أن ينمحي أثره عن اللسان ...
    - ويصادف قلبه مواظبًا على الذكر ...
      - يجد القلب من نفسه يذكر الله ﷻ
      - ثم يواظب عليه إلى أن يُمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ...
      - ويبقى معنى الكلمة مجردًا في قلبه
      - حاضرًا ..
        - كأنه لازمٌ له لا يفارقه.

التعرض لفضل الله

وإلى هنا له اختيار في استدامة الذكر ودفع الوسواس.

وبعد ذلك يتعرض للفضل من صاحب الفضل ﷻ ..

ولا يظن أنه بما فعله صار مستحقًا لفضل الله !!

لأن الله يعطي لا لعلة عمل فإنه هو الذي وفق للعمل.

وإنما يرى كما قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

الفضـــل فضـــل الله يُعطى مِنة ... بـالحـب في طـه العزيز الغـالي

من لحظة في الحب تشـهد وجهه ... وتفوز منه بـــــــــسره والحال

تُعطى العلوم وتشـــهدن فتترجمن ... بلســـان أهـل القرب والأبـدال

تُعطى الجمال فلا يراك مصـــدقٌ ... إلا ويشـــهـد نـوره الـمـتـلالي

من أين هـذا العلم والنور الـذي ... أُعطيتـه من لحظـة في الحـال

من حـب قلبي للحبيـب محمـد ... نلـت المنى بـل نلـت كـل آمـالي

أنـا يـا حـبيبي في هـواك مـتيـمٌ ... ونـوال فضـــلـك بغـيـتي ونـوالي

واجه بهذا الوجه مضـــئً مغرمًا ... يـرجـو دوام الـقـرب والإيصـــال

فهذا ما عليك وهذا ما عليه.

نسأل الله أن يبلغنا المراد.

وأن يحقق لنا ما نبتغيه.

وأن يجعلنا من الذين يواليهم بفضله وكرمه ونظراته ...

ويجعلهم دائمًا وأبدًا متوجهين إلى حضرة ذاته آناء الليل وأطراف النهار ..

ولا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا يشغلنا إلا بذكره وشكره وحُسن عبادته.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

٤. أبو مدين الغوث

٤- أبو مدين الغوث ﷺ ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
سر دراسة سير الصالحين ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
أركان الولاية ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
مولده ونشأته ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
هجرته ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
في ساحل البحر ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
هجرته إلى طنجه ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
في مراكش ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
إلى فاس ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
مع ابن حرزهم ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
علومه وطريقة تحصيله للعلم ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
مع أبو يعزي ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
الحج إلى بيت الله الحرام ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
دعوته إلى الله في بجاية ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
ياقوت العرشي ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
وفاته ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
بعض حِكَمه ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
شِعره الحكيم ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.

قال سيدى أبو مدين الغوث ﷺ:

(الشيخ من هذَّبك بأخلاقه،
وأدَّبك بإطراقه،
وأنار باطنك بإشراقه)

٤- أبو مدين الغوث رضي الله عنه [٢٤]

سر دراسة سير الصالحين

البداية لمن أراد أن يسلك في طريق الصوفية أن يدرس أو يقرأ سير وحياة الصالحين، فهم الذين يعطونا العزيمة ويعطونا القوة ويخططوا لنا الطريق السلس السهل الموصل إلى فتح الله ﷻ.

وربما يقول بعض الحاضرين:

نأخذ سيرة الأنبياء والمرسلين، وأقول له:

لو أخذنا سيرة الأنبياء والمرسلين سيقولون: هؤلاء مجتبين ومصطفين من عند رب العالمين، فمن أين نأتي بالاجتباء والاصطفاء؟! لذلك نتهذب بأخلاقهم ونتأدب بآدابهم في التعامل مع حضرة الله، لكن النبوة هبة من الله، ولا أحدٌ منا يملك هذه الهمة.

وربما يقول البعض:

نأخذ سِير أصحاب حضرة النبي، وقد أخذنا بعض أصحاب حضرة النبي وتكلمنا عنهم وعن عظمائهم في مقامات الفناء وفي مقامات معرفة الله ﷻ.

ولأننا عندما نتكلم عن أصحاب حضرة النبي فأصحاب الهمم الفاترة يقولون:

هم كان في وسطهم حضرة النبي فلا يحتاجون لشيء آخر.

وأصحاب الهمم الفاترة دائمًا يلتمسون لأنفسهم الأعذار !!!

والنفس دائمًا تلتمس الأعذار لنفسها.

لذلك جئنا بالذين لم يحضروا حضرة النبي ولم يحظوا برؤيته وصحبته، وإن كانوا قد حظوا بعد ذلك برؤيته يقظة ومنامًا، وتمتعوا بمشاهد حضرته ﷺ، لماذا؟

حتى لا يكون لأحد منا حجة أبدًا.

ولذلك أحاول قدر الاستطاعة في كل مرة أن آتي برجل من الصالحين يكون فيه عبرة وأُسوة وقُدوة لنا أجمعين.

---

٢٤ المقطم – مجمع الفائزين ٢٧ من محرم ١٤٤٤هـ ٢٠٢٢/٨/٢٤م

فقد أتينا من المشارق وأتينا من مصر ..

واليوم نأتي بواحد من بلاد المغرب العربي وهو سيدي أبو مدين الغوث رضي الله عنه ..

وما حدث له يجعل الإنسان يتيقن أن فضل الله عز وجل غير قاصر على أحد، بل إنه سبحانه وتعالى كما قال بعض الصالحين:

(قطرة من بحر جودك تجعل الكافر وليًا والشقي تقيًا)

فكلنا نتعرض لجود الله وفضل الله وكرم الله سبحانه وتعالى.

أركان الولاية

وعندما تسمعوا حكاية هذا الرجل ستتعجبون من عزيمته وما فعله ربه به، لنعلم علم اليقين أن الولاية تحتاج إلى أمرين:

- تحتاج أولًا إلى سابقة حسنى من الله.
- وتحتاج بعد ذلك إلى عزيمة ماضية وهمة رفيعة سامية في ذات الله للشخص الذي اختارته عناية الله سبحانه وتعالى.

فأنت عليك شيء ورب العباد عليه شيء آخر.

لو أن الإنسان لم تختاره العناية للولاية كما نرى بعض هؤلاء يقوم الليل ويصوم النهار ويقرأ العلوم ويقرأ القرآن ويرتله ترتيلًا، ولكن عندما تحكي له عن رؤيا منامية يقول لك: هذا الكلام ليس موجود، لأن ليس معه هذه العناية.

لا بد من الاثنين معًا !! ولا بد من وارث محمدي يعين العبد على بلوغ المراد.

أنا عندي الأهلية ومعي العزيمة المُضية وسبق لي العناية الإلهية لكن لا أجد أحدًا يأخذ بيدي، فماذا أفعل؟

لن أستطيع أن أصل إلى شيء في فتح الله وكرم الله وعطاء الله عز وجل.

ولذلك كان بعض الصالحين يقول: لو كان الحلاج في زماني ما عثر، يعني لم تكن تحدث له هذه العثرة، لأني كنت سأنبهه وآخذ بيده.

الشيخ أبو مدين الغوث من عجائب قدرة الله أنه لم يمت حتى ربَّى ألف رجل كلهم كانوا من أهل الكشف والكرامات.

مولده ونشأته

اسمه الشيخ شُعيب بن حسين الأنصاري.

وُلد في الأندلس في قرية تابعة لمدينة أشبيلية، نسأل الله ﷻ أن يهب لنا الحياة حتى نرى عودة هذه البلاد كلها إلى دين الله مرة أخرى كما وعدنا رسول الله ﷺ.

وأبوه توفى في عهد مبكر وهو لا يزال صغيرًا، وكان أبوه راعيًا للغنم، وكان هو أصغر إخوته، والغنم لم تكن كثيرة حتى يستأجرون لها راعيًا، فقالوا: شُعيب يتفرغ لرعي الأغنام !!، فكان يجد مشقة بالغة في الخروج بالأغنام ورعيها.

لكن انظر معي إلى عناية الله، فماذا يقول هذا الرجل؟ يقول: كنت أحنُّ إلى من يقرأ القرآن مع أني لا أعرف قراءة القرآن، فأُحب أن أستمع إليه، وكلما وجدتُ أحدًا يصلي جلست بجواره حتى أستمع إليه – وهو لا يزال طفلًا صغيرًا – وهذا دليل على العناية وعلى أن جهاز التلقي سليم.

يقول: ففكرت أن أحفظ ما تيسر من القرآن وأصلي، فكيف أذهب إلى هناك؟

لا بد أن أهرب، ففكر في الهروب من بلده وترك أهله وغنمه، ثم يذهب إلى بلدة أخرى ليتعلم القرآن والصلاة.

هجرته

فعلًا خرج ذات يوم ومشى، لكنهم كانوا يتممون عليه كل ليلة عندما أحسُّوا برغبته، فأخوه الأكبر بحث عنه فلم يجده، فركب فرسه وأخذ سيفه وخرج مسرعًا على الطريق حتى وجده، فقال له: إما أن ترجع أو أقتلك بهذا السيف، فرجع معه.

ولكنه لم ينس الأمر، فدبَّر في هذه المرة أن يُدخل الغنم في وقت مبكر ويمشي حتى لا يلحق به أحد، أيضًا أخوه فتَّش فوجد أنه هرب، ولكن هذه المرة لم يلحق به إلا مع مطلع الشمس، ولأنه طوال الليل كان ماشيًا فمن شدة غضبه لم يتكلم معه ولكن رفع السيف وأهوى عليه به، يقول: ولم يكن في يدي غير عصًا صغيرة وهي عصا الرعي فرفعتها لأحمي نفسي من السيف، وإذا بأمر الله يحدث فتقَطَّع السيف عندما نزل على هذه العصا، فعرف أخوه أن هذا أمر من الله، فقال له: اذهب يا أخي حيث شئت:

وإذا العنـايـة لاحظتـك عيونهـا نـم فـالـمـخـاوف كـلـهـن أمـان

في ساحل البحر

ظل يمشي حتى وصل إلى ساحل البحر، والأندلس بينها وبين المغرب البحر الأبيض المتوسط، فوجد رجلًا في خيمة وحوله مجموعة، فحكى له حكايته، فيقول أن الرجل كان معه سنارة وكل يوم يذهب للبحر فيرمي السنارة في البحر ويصطاد سمكة يشويها ويطعمني بها، وبعد ذلك قال لي:

أنت تريد أن تعبد الله؟ قلت: نعم، فقال: إن الله لا يُعبد إلا بالعلم – انظروا إلى فقه هؤلاء الناس – وأرى أن تهاجر إلى بلاد المغرب وهناك تطلب العلم من العلماء.

هجرته إلى طنجه

ولم يكن معه شيء، وكان هناك سفن تنقل الناس من طنجة إلى بلاد الأندلس ذهابًا وإيابًا، فذهب وعرض نفسه على أهل السفينة وقال لهم: أعمل معكم في السفينة وتركبوني معكم حتى توصلوني إلى البر الآخر عند طنجة.

فاشتغل معهم على السفينة وعبر الجهة الأخرى لطنجة؛ وفي طنجة وجد الناس تجارًا وليس لهم في الأمور العلمية والدينية كما ينبغي.

فذهب لسبتة وهي قريبة منها – وللأسف الآن سبتة ومُليلة تابعتان لأسبانيا مع أنهما من بلاد المغرب – فوجد أيضًا أن سبتة ليس فيها شيء من العلم، فقالوا له: اذهب إلى العاصمة مراكش.

في مراكش

ذهب إلى مراكش.

وكان في هذا الوقت قد أصبح شابًا فتيًا، وهم يجندون الشباب حتى يذهبوا ليحاربوا في بلاد الأندلس، لأن الحروب كانت على أشدها بين الفرنجة والمسلمين.

فجندوه، وهو كل ما يفكر فيه أن يحصل على العلم، ولكنه ذهب معهم ليأكل ويشرب، فيقول: أيضًا وجدت أنهم يأخذون طعامي ولا يتركون لي شيئًا ويعاملونني معاملة سيئة، فقالوا له: تريد أن تتعلم فعليك بفاس.

وفاس في هذا الوقت كانت عاصمة بلاد المغرب العربي في العلم، كالقيروان في تونس، ومثل القاهرة في مصر، ومثل بغداد في العراق.

إلى فاس

ذهب لفاس، والتعليم كان في هذه الأيام في المساجد، فذهب إلى مسجد فاس، والتعليم في المساجد كان عبارة عن حلقات، وكل عامود من أعمدة المسجد يجلس عنده عالم في فن من فنون العلم وحوله الطلبة يدرس لهم، والطالب يجلس في أي حلقة تعجبه فليس عليه حجر في هذا الأمر.

فيقول: ذهبت إلى المسجد وجلست إلى حلقات العلم أنتقل من حلقة إلى حلقة فلا أستطيع أن أفهم، إلى أن وجدت رجلًا كلامه دخل قلبي مباشرة، فقلت له: أنا جلست مع هؤلاء ولم أجد واحدًا منهم كلامه يعجبني، لكن كلامك يدخل قلبي على الفور، فقال له: لأن هؤلاء يتكلمون من طرف اللسان فكلامهم لا يتجاوز الآذان، وأنا أتكلم من القلب، فما كان من القلب يصل إلى القلب.

مع ابن حرزهم

هذا الرجل كان اسمه الشيخ أبو الحسن بن حرزهم، وحرزهم اسم عربي صحيح من الحرز.

وكان عادة العلماء في هذا الزمان وإلى عهد قريب وإلى الآن أن كثيرًا من العلماء يختار كتبًا من المراجع المعتمدة وأحد التلاميذ يقرأ وهو يشرح للطلاب هذه الكتب.

مكث الشيخ أبومدين عند هذا الرجل وتلقى على يديه كتاب (إحياء علوم الدين) للإمام الغزالي ﷺ وأرضاه، وأيضًا كتاب (الرسالة القشيرية) وهو كتاب عظيم في علم التصوف.

وهو يقول عن نفسه: ما وجدتُ كتابًا في المواعظ أنفع من كتاب (إحياء علوم الدين) وهي حقيقة يقرها السابقين واللاحقين.

وهذا الشيخ أبو الحسن بن حرزهم كان قد حدثت له مشكلة مع كتاب (إحياء علوم الدين):

فقد كان أهل المغرب في البداية ينكرون على كتاب الإحياء، حتى وصل الأمر أن بعض العلماء أقنعوا السلطان أنه يجمع كتب الإحياء ويحرقها، وكان هو من جملة هؤلاء الناس، ولكن لأن الله يحبه رأى في المنام الإمام الغزالي يشتكيه إلى رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بجلده على ظهره، وقام من النوم فوجد آثار هذا الجلد على ظهره، فرجع مرة ثانية وصحح عقيدته في كتاب (إحياء علوم الدين) وبدأ يدرسه إلى الطلاب والمريدين.

علومه وطريقة تحصيله للعلم

ومع إحياء علوم الدين ومع الرسالة القشيرية كان أبو مدين يتعلم التفسير ويتعلم الفقه ويتعلم العلوم العربية والعلوم الشرعية، حتى أنه يقول على سبيل المزاح:

تعلمت القرآن والوضوء والصلاة لأني كنت منذ زمن أتمنى أن أتوضأ وأُصلي فتعلمت الوضوء والصلاة.

ما المنهج الذي اتبعه في تلقي العلم؟

هو نفس المنهج لصحابة رسول الله ﷺ وللصالحين أجمعين إلى يومنا هذا.

سيدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه روي أنه حفظ سورة البقرة في عشر سنوات، لماذا؟

كان لا ينتقل من آية إلى آية إلا إذا عمل بالآية الأولى! ..

ذهب رجل للنبي وقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْرِئْنِي سُورَةً جَامِعَةً، فَأَقْرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا زُلْزِلَتْ الْأَرْضُ حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهَا أَبَدًا }[٢٥]

يعني كفى يا رسول حتى أعمل بها ثم آتي إليك لأستمع إلى غيرها !!

وكان هذا نهجهم !!

وهو نهج الصالحين، وهو النهج الذي أكرمنا به الله مع العلماء العاملين والصالحين.

يقول أبو مدين الغوث رضي الله عنه:

اتخذت لنفسي مكانًا من البر ولكن كان داخلًا في البحر، والذي يسمونه اللسان في البحر، فكنت أستمع إلى درس العلم ثم أذهب إلى هذا المكان لأعمل به، ولا أذهب لأستمع إلى غيره حتى أعمل به.

هذا المنهج هو الذي تربينا عليه.

كان الواحد يسمع درسًا من الشيخ ولو دقيقتين فيطبقه أولًا، وبعد ذلك يسمع غيره.

هل سنملأ جوالات من العلم؟

---

٢٥ سنن أبي داود ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

ستكون حجة علينا، لكن لا بد من العمل:

العلم يهتف بـالعمـل فاعمل تنل كل الأمل

هذه كانت طريقته في تحصيل العلوم .. يحصل العلم ثم يعمل ..!

ويعمل يعني يكون عالمًا يترجم العلم إلى عبادة !! ... يعني عابد.

مع أبو يعزي

سمع في هذه الفترة عن رجل من بلاد المغرب من فاس اسمه أبو يعزى وكان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، ولكنه قد جُذب جذبة ربانية وصار من أهل الكشف الرباني العالي، وهذه تكون وظيفة يختص الله بها بعض الأفراد لنفع العباد، فأخذ يسأل عن أحد يذهب إلى هناك حتى وجد جماعة واتفق معهم، وذهب إليه.

والرجل كان ساكنًا في جبل، فجاء الرجل بالطعام وحاول أن يأكل أبو مدين فمنعه الشيخ من الأكل، وفي المرة الثانية أيضًا منعه من الأكل، حتى ثلاثة أيام، كلما يحاول أن يأكل ينهره ويمنعه من الأكل، يقول: حتى ضعفت جدًا.

وذات يوم من الأيام قام الشيخ من مكانه، يقول: فذهبت أُمرغ وجهي في موضع جلوسه، وأنا أمرغ وجهي في موضع جلوسه كُفَّ بصري، وإذا في الصباح يقول له الشيخ: اقرب يا أندلسي، قال: فوضع يده على عيني فرجع إليَّ بصري، ووضع يده على صدري فخرج كل شيء أفكر فيه من صدري.

ولَازمَ هذا الرجل وكان يذهب إليه مرارًا وتكرارًا ليأخذ منه الأحوال العالية !!

يعني بعد العلم والعمل يريد الأحوال!!!

والأحوال لا تُتَلقى إلا من الرجال:

بـالحـال تزكيـة النفوس لا بالدروس ولا بالفلوس

من أين؟

فتجملوا بـالحـال من بـابٍ سـمـا بـالفضـل نـاولكم رحيق مـدامي

الحال لا يأتي إلا من صاحب الحال.

وهو نفسه يحكي صلته بهذا الرجل فيقول: قرأتُ سير الصالحين من أُويس القرني إلى يومي هذا فما وجدتُ كأبي يعزي وينبغي أن تُكتب سيرته بالذهب.

لأنه كان رجلًا في الكشف خطير، وكان لا يستر، حتى أن بعض العلماء اعترضوا عليه وقالوا له: يجب أن تستر الناس، فقال لهم: ليس بأمري لولا أني مُكلف ما فعلتُ ذلك، يعني أنا مكلف بذلك، وكان أمثال الناس الذين يكشفهم لا شيء يردهم إلى المنهج القويم إلا هذا، ذهب إليه واحد ذات مرة مع جماعة، فقال له: لِمَ أتيت زوجة أخيك في غيبته؟! لأن مثل هذا لا ينفع معه إلا المواجهة، فقال: تبت وأنبت، فقال له: إياك أن تعود إلى مثل ذلك أبدًا، وهذه بالطبع أمور لا يعلمها إلا ملك الملوك ﷻ، ولا يوجد أحد من الأولياء يختار لنفسه المنهج، الذي يختار هو الله ﷻ:

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ ﴾ (القصص ٦٨)

ليس لهم شأن بهذا الأمر.

الحج إلى بيت الله الحرام

بعد ذلك فكر أن يحج إلى بيت الله الحرام فذهب إلى الحج، وكان الناس يذهبون إلى الحج مشاة، وكانوا يمكثون في مكة والمدينة فترات طويلة، بعضهم يبقى ثلاثة أشهر، وبعضهم يبقى أكثر، وبعضهم يبقى أقل، وكان الحج يعتبر موسم لتلاقح العلماء والأولياء.

وكان يحضر في الحرمين الأولياء والعلماء ويختلطون ببعضهم، ويلقحون وينفعون بعضهم، فتقابل في مكة بسيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وأرضاه، ومكث معه فترة في الحرم المكي يقرأ عليه الأحاديث وينتفع بعلمه، والشيخ عبد القادر الجيلاني أعطاه بيعته وألبسه خرقته، فكان كل واحد من الأولياء له زي معين اختاره، وهذه الأزياء اختاروها أيضًا من رسول الله ﷺ وليست من عندهم.

سيدنا رسول الله ﷺ كان أحيانًا يلبس جبة حمراء فاختار السيد البدوي اللون الأحمر، وكان أحيانًا يلبس جبة سوداء فاختار سيدي عبد القادر الجيلاني اللون الأسود، وأحيانًا كان يلبس جبة خضراء فاختار سيدي إبراهيم الدسوقي اللون الأخضر.

فكان كل واحد منهم يختار اللون الذي ألهمه به الله، وجعلوا منها مظهرًا لتلاميذهم حتى يتميزوا عن بعضهم، وفي هذا الزمان انتهى هذا الأمر.

وعندما جاء الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه وكانت المواكب موجودة، وكان الناس ليمشوا في المواكب كل طريقة لها زي معين، فالعمامة لون والزي لون وكذلك البيارق التي

يحملونها، فقالوا له: أي لون تختار؟ فقال لهم: اللون الأبيض فأحب الثياب إلى الله البياض، وأمر تلاميذه أن يلبسوا اللون الأبيض، وجعلوا شعارهم اللون الأبيض، لكن من يلبس غيره فليس فيها شيء، المهم أن يكون الذي بالداخل أبيض وهو القلب، لكن أنا سألبس لون أبيض على الجسم وبالداخل لونه أسود، هل ينفع؟ لا.

دعوته إلى الله في بجاية

بعد أن رجع من الرحلة الحجازية نودي أن يُنصب نفسه للسادة الصوفية؛ ويدعو الناس إلى الله ﷻ، وأقام في بلدة من بلاد الجزائر اسمها (بجاية) وهي بلد على البحر بين الجزائر وتونس.

وكالمعتاد عندما ذهب إلى هناك سمع الناس بولايته وسمع الناس بعلمه ...

من الذي أسمعهم؟ .... السميع ﷻ ...

فجاءه الناس أفواجًا !!!

وأخذ يُعلم الناس التصوف الصادق الصحيح حتى تربى عليه ألف رجل من أهل الكشف والكرامة، هذا الرجل الذي كان أمي لا يقرأ ولا يكتب تربى على يديه ألف رجل!، فكان يُدرِّس في مسجدين في مدينة بجاية إلى جانب منزله.

وكان ﷺ وأرضاه على المنهج الصوفي الصحيح الذي لا يدعو إلى ترك الدنيا بحجة الزهد فيها، ولا يدعو إلى عدم الزواج بحجة الرغبة فيما عند الله.

بل يطلب من مُتبعيه أن يقوموا بأكمل شيء كان عليه نبينا وصحابة نبينا والصالحون من بعدهم أجمعين، نسأل الله ﷻ أن يلحقنا بهم أجمعين.

وكان الله ﷻ قد أعطاه فراسة نورانية وكشفًا إلهيًا.

فذات يوم من الأيام كان بعض طلبة العلم جالسين مع بعضهم فتناقشوا في حديث ورد في بعض الأثر: **(إذا مات المؤمن أُعطي نصف الجنة)** فقالوا: إذًا الجنة كلها ملك لاثنين فقط من المؤمنين، لأن هذا يأخذ نصف الجنة وهذا يأخذ النصف الآخر، واختلفوا في هذا الأمر، وكانوا يذهبون إليه ليحل لهم هذه المشاكل؛ فذهبوا إليه وكان جالسًا مع تلاميذه وأحدهم كان يقرأ في كتاب (الرسالة القشيرية) فقال له: انتظر أولًا ولا تقرأ حتى نحل مشكلة هؤلاء، وقبل أن يحكوا له المشكلة وبالفراسة النورانية قال لهم: أُعطي نصف الجنة يعني نصف جنته هو، والنصف الآخر يُدَّخر له إلى يوم القيامة.

وذات يوم من الأيام أحد التلاميذ كان يقرأ الرسالة القشيرية فجاء أحد المعترضين، وأهل السيميا يعرفون المعترض من علامات تظهر في وجهه، فقال للقارئ: انتظر لا تقرأ حتى ننظر ماذا يريد هذا الرجل، فقال له: ما الذي في كُمك؟ قال: مصحف، فقال له: افتحه واقرأ أول سطر تقع عليه عينك، ففتح المصحف فوجد في أول سطر: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(٩٢الأعراف) فقال له: أما يكفيك هذا؟ ... انظر إلى التأييد الإلهي:

رجـال لهم حـال مع الله ظـاهر وحـال مع المختـار في كل لحظـةٍ

كيف كان هذا الرجل في البداية؟! ... وماذا أصبح في النهاية؟! حتى لا نتعجب ... الإمام أبو العزائم عندما ذهب ليزور سيدي ياقوت العرشي ﷺ في مقامه قال له:

تواضعت رب العرش أعليت بالفعل جعلت ترب الأرض للعالم القطب

ياقوت العرشي

سيدي ياقوت العرشي:

سُمي العرشي لأن قلبه كان دائمًا يطوف حول عرش الرحمن، وهذا مصطلح سماه به الصالحون في زمانه وعصره وأوانه، وكان عبدًا حبشيًا، وعندما وُلد في بلاد الحبشة طلب سيدي أبو العباس المرسي وهو في الأسكندرية أن يصنعوا وليمة، فقالوا له: ولِمَ؟ قال لهم: الساعة وُلد ياقوت العرشي في بلاد الحبشة.

وكان التجار يخطفون الأولاد ويبيعونهم، فخطفوه، وفي السفر هاجت السفينة في البحر، والتاجر الذي اشتراه كان من أحباب الشيخ، فقال: يا رب لو نجيتنا سأجعل هذا العبد – يعني ياقوت – هدية لأبي العباس المرسي، فسكن الموج وهدأ البحر ونجاهم الله، وبعد أن ساروا قليلًا أُصيب ياقوت العرشي بقراع في رأسه، فحزن الرجل وقال: هل سأهدي الشيخ عبدًا أقرع؟! فاختار واحد آخر أقوى منه وأحسن منه، وقال: هذا الذي سأهديه للشيخ.

وفي اليوم الذي ستصل فيه السفينة إذا بالشيخ يقول لمن حوله: تعالوا بنا نتريَّض على البحر، فذهب إلى الموضع التي ستقف فيه السفينة، ونزل التاجر مسرعًا وقبَّل يديه وقال له: ببركتك نجانا الله، وأنا وهبتك هذا العبد، فقال له: أنا أريد عبدنا نحن!، قال: إنه عبد فيه كذا؟ قال له: لا شأن لك هذا ما نريده، فأعطاه ياقوت العرشي، فخلع عمامته ووضعها على رأسه ثم رفعها فإذا بكل شيء زال، وأخذه ورباه وزوجه ابنته، وكان الخليفة من بعده.

وكان عندما يراه يقف له، بينما لا يقف للملوك ويسلم عليهم وهو جالس.

فعندما جاء السلطان حسن من القاهرة لزيارته سلم عليه وهو جالس، ثم دخل ياقوت فقام وسلم عليه وهو واقف، فدُخل في نفس السلطان، فأراد أن يبين له فقال: يا ياقوت أنا اليوم ضيق الصدر وعندي هموم وغموم، فأخذ يبكي ياقوت، والسماء كانت صافية وإذا بالسماء تتلبَّد بالغيوم وتنزل الأمطار، قال: يا ياقوت الآن طابت نفسي وسُر قلبي، فضحك ياقوت، فانبلجت السماء ولم يعد فيها سحابة أو جزء من سحاب.

فقال سيدنا أبو العباس المرسي ﷺ للسلطان: هؤلاء ملوك سماوية، وأنتم ملوك أرضية، يعني هذا مَلَك من ملوك السماء لأن الله ملَّكه أمر نفسه.

فلما اشتهر الشيخ أبو مدين في بجاية، وكانت في هذا الوقت بلاد العرب دائمًا تاريخيًا تتناوب مع بعضها الرياسة، يعني أحيانًا كان الملك في المغرب وتابع له الجزائر وتونس، وأحيانًا الملك في الجزائر وتابع له المغرب وتونس، وأحيانًا دولة في تونس وتابع لها الجزائر والمغرب ...

وفاته

وكان في هذا العصر الدولة مقرها في المغرب في مراكش واسمها دولة الموحدين، والجزائر كانت تابعة لها، فكعادة الصالحين في كل زمان ومكان كثُر الأتباع وكثُر المحبون، وحدث الغل في قلوب الحاقدين والحاسدين، فذهبوا للسلطان وقالوا له: أدرك الشيخ شعيب فهو يدعو للعلويين – يعني الدولة الفاطمية – ولا يدعو لك أنت.

والسلطان كان رجلًا حكيمًا فأرسل لوالي بجاية طالبًا إحضاره قال له: ائتني بهذا الرجل ولكن احمله محملًا حسنًا، وإياك أن تؤذيه أو تضره، فحزن المريدون لأنه كان في هذا الوقت قد كبُر في السن وفاق الثمانين فقال لهم: لِمَ تحزنون؟! شعيب كبُر في السن ومنيته ليست بهذه الأرض، فأراد الله أن يحملني محملًا حسنًا إلى الأرض التي أموت فيها.

ظلوا سائرين إلى أن وصلوا إلى بلد اسمها تلمسان، وبجوارها جبل كان للجماعة العُبَّاد، فسألهم: ما اسم هذا المكان؟ فقالوا: العُبَّاد فقال لهم: مكان مليح للرقاد !!!

وبعد ذلك رقد وأخذ يردد اسم الجلالة !!!

حتى فاضت روحه إلى الله ﷻ وهو على هذا الحال.

بعض حِكَمه

هذا الرجل له حِكمٌ كثيرة، جمعها كثير من الصالحين ومن ضمنهم سيدي علي البيومي ﷺ وأرضاه جمعها في كتاب سماه (الأسرار الخفية الموصلة إلى الحضرة العلية) وسنذكر بعض هذه الحكم:

- إياك أن تميل إلى غير الله فيسلبك لذة مناجاته.
- من رأيته يدَّعي مع الله تعالى حالًا لا يكون على ظاهره شاهد منه فاحذره.
- جعل الله قلوب أهل الدنيا محلًا للغفلة والوسواس.
  - وقلوب العارفين محلًا للذكر والاستئناس.
- من عرف نفسه لم يغتر بثناء الخلق عليه : يعني يقولون ما يقولون !!، لأنه يرى أن هذا المدح للجمال الذي جمَّله به مولاه، وليس له هو لأنه لا شيء.
- من خدم الصالحين ارتفع بخدمتهم.
- من شغل مشغولًا بربه أدركه المقت: وهذا تحذير نحذر دائمًا منه الأحبة والمريدين: إياك أن تشغل مشغولًا بالله ﷻ في شأن من شؤون دنياك أو هواك، وكان الإمام أبو العزائم ﷺ يقول: (اللهم لا تجعلني حجابًا لأوليائك).
- علامة الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق.
- كل فقير الأخذ أحب إليه من العطاء لم يشم للفقر رائحة؛ يعني يفرح عندما يأخذ ويحزن عندما نطلب منه، فما شأن هذا والفقراء؟! هذا لم يشم للفقر رائحة.
- من لم يصلح لخدمته شَغَله بالدنيا؛ ومن لم يصلح لمعرفته شَغَله بالآخرة. انظر للفارق بين هذا وذاك، فماذا يكون من يصلح لخدمته؟ لا ينشغل بالدنيا ولا بالآخرة.
- الإخلاص ما خفى على النفس درايته، ... وعلى الملك كتابته، ... وعلى الشيطان غوايته، ... وعلى الهوى إمالته.
- وقال عن الشيخ:
  - الشيخ من هذَّبك بأخلاقه.
  - وأدَّبك بإطراقه.
  - وأنار باطنك بإشراقه.

شِعره الحكيم

وله شِعر في غاية الروعة.

يكفي أن قصيدته المشهورة: (ما لذُّة العيش إلا صحبة الفقرا).

شرحها سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري.

وقد طبعنا الشرح في كتابنا (علامات التوفيق لأهل التحقيق).

وشرحها أيضًا سيدي علي البيومي وخمَّسها – والتخميس هذا لغة شعرية – وشرحها سيدي محي الدين بن العربي، ويكفي لكي تعلم قدر هذا الرجل أن تلميذه النجيب هو محي الدين بن العربي ﷺ وأرضاه.

ما لذة العيش الا صحبة الفقرا ... هم السلاطين والسادات والأمرا

فاصحبهمُ وتأدب في مجالسهم ... وخلِّ حظك مهما قدموك ورا

واستغنم الوقت واحضر دائمًا معهم ... واعلم بأن الرضى يختصُّ من حضرا

ولازم الصمت إلا إن سُئلت فقل ... لا علم عندي وكن بالجهل مستترا

ولا ترى العيب إلا فيك معتقدًا ... عيبًا بدا بيِّنًا لكنه استترا

وحطَّ رأسك واستغفر بلا سببٍ ... وقم على قدم الإنصاف معتذرا

وإن بدا منك عيبٌ فاعترف وأقم ... وجه اعتذارك عما فيك منك جرى

وقل عُبيدكمُ أولى بصفحكم ... فسامحوا وخذوا بالرفق يا فقرا

هم بالتفضُّل أولى وهو شيمتهم ... فلا تخف درگًا منهم ولا ضررا

وبالتفتي على الإخوان جد أبدًا ... حسًا ومعنى وغض الطرف إن عثرا

وراقب الشيخ في أحواله فعسى ... يرى عليك من استحسانه أثرا

وقدم الجد وانهض عند خدمته ... عساهُ يرضى واحذر أن تُرى ضَجِرا

ففي رضاه رضى الباري وطاعته ... يرضى عليك وكن من تركها حذر

واعلم بأن طريق القوم دارسة ... وحال من يدعيها اليوم كيف ترى

متى أراهم وأنَّى لي برؤيتهم ... أو تسمع الأذن مني عنهمُ خبرا

من لي وأنَّى لمثلي أن يزاحمهم ... على موارد لم ألف بها كدرا

أحبهم وأداريهم وأوثرهم ... بمهجتي وخصوصًا منهمُ نفرا

قومٌ كِرام الســجايا حيثما جلســوا ... يـبقى المكـان على آثـارهـم عَـطِرا
يهدي التصــوف من أخلاقهم طرفًا ... حســن التـآلف منهم راقني نظرا
هم أهـل ودي وأحبـابي الـذين همُ ... مـمـن يـجـر ذيـول الـعـز مـفـتـخـرا
لا زال شــملي بهم في الله مجتمعًا ... وذنـبـنـا فـيـه مـغـفـورًا ومـغـتـفـرا
ثم الصــلاة على المختـار ســيـدنـا ... مـحـمـد خـير مـن أوفى ومـن نـذرا

ننتبه دائمًا أن كل منطقة لها مصطلحات غير المنطقة الأخرى.

فنحن هنا نقول على الرجل الذي ينتسب للصوفية صوفي، وأهل المغرب العربي يقولون: فقير، فكلمة الفقير عندهم يعني صوفي، وأهل المشرق وخاصة بلاد فارس يقولون عليه: درويش، وهي كلمة فارسية ومعناها بالعربي يعني فقير ...

فهو يتكلم بلسان من حوله في بلده

وهذا ينطبق عليه قول الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

قـد أكرم الله أهـل العجز علمهم ... أسرار توحيـده بـالحـال والقـال

وقال:

كم جاهلٍ نال علمًا من مجالســهم ... أضــحى حكيمًا عليمًا بالإشــارات
أضــحى وليًـا لـه قلـب ومعرفـة ... يـرى الـنبي عـيـانًـا حـال خـلـوات

ففضل الله يا أحبة لا يُعد ولا يُحد.

وله قصيدة أخرى عظيمة:

تضــيق بنـا الـدنيـا إذا غبتموا عنـا ... وتـزهـق بـالأشــواق أرواحـنـا مـنـا
فـبُـعـادُكُـمُ مـوتٌ وقُـربـكُـم حـيـا ... فـإن غبتموا عنّـا ولو نَفَسًــا متنـا
نـمـوت إذا غـبـتـم ونـحـيـا بـقُـربكم ... وإن جاءنا عنكم بشــيرُ اللقا عشــنا
ونـحـيـا بـذكـراكـم إذا لـم نـراكـمُ ... ألا إنَّ تـذكـارَ الأحـبَّـة يـنـعـشُــنـا
فـلَـولا مـعـانـيـكـمُ تـراهـا قـلـوبُـنـا ... إذا نحنُ أيقـاظٌ وفي النوم إن غبنـا
لمتنـا أسى من بعـدكم وصــبـابـة ... ولكنَّ في المعنى معـانيكُم معـنـا
يـحـركـنـا ذكـر الأحـاديـث عـنـكـمُ ... ولولا هواكُم في الحشــا ما تحرَّكنا

فقُـل للـذي ينهى عن الوجـد أهلـه ... إذا لم تـذُق معنى شرابٍ الهوى دعنـا
إذا اهتزَّت الأرواح شـــوقًـا إلى اللقـا ... نعم ترقص الأشـــباح يا جاهلَ المعنى
أمـا تنظرُ الطير المقفَّصَ يـا فتى ... إذا ذكـر الأوطـان حـنَّ إلى الـمـغـنى
يُـفَـرّجُ بـالـتـغـريـد مـا بِـفُـؤادهِ ... فتضطرِبُ الأعضاءُ في الحسّ والمعنى
ويرقصُ في الأقفاصِ شـــوقًا إلى اللقا ... فـتـهـتزُّ أربـابُ الـعـقـولِ إذا غـنى
كـذلـكَ أرواحُ الـمـحـبّـينَ يـا فـتى ... تُهزِّزهـا الأشـــواقُ للعـالمِ الأســنى
أنلزمُهـا بـالصـــبرِ وهي مشـــوقـةٌ ... وهل يستطيع الصبر من شاهد المعنى
إذا لم تذُق ما ذاقتِ الناسُ في الهوى ... فبـاللهِ يـا خـالي الحشـــا لا تعنّفنـا
وســـلّم لـنـا فـيـمـا ادَّعـيـنـا لأنـنـا ... إذا غلبـت أشـــواقُنـا ربَّمـا صـــحنـا
وتـهـتزُّ عـنـد الإســـتـمـاع قـلـوبُـنـا ... إذا لم نجـد كتم المواجيـد صرّحنـا
وفي السرِّ أسرارٌ دقـاقٌ لـطـيـفـة ... تـراقُ دمـانـا جـهـرةً إن بـهـا بـحـنـا
فيا حاديَ العشّـــاقِ قم واحد قائمًا ... وزمزم لنـا بـاســـم الحبيب وروحنـا
وصـــن سرَّنا في ســكرنا عن حســودنا ... وإن أنكرَت عيناك شـــيئًا فســـامحنا
فـإنّـا إذا طبنـا طـابـت نفوســـنـا ... وخـامَـرنـا خـمـرُ الـغـرام تـهـتَّـكـنـا
فلا تلم الســكران في حـالِ سُــكرهِ ... فقـد رفع التكليف في سُــكرِنـا عنّـا

وله أيضًا القصيدة التي فيها الأبيات التي نسمعها من البعض عند الترحيب بالصالحين والتي يقول فيها:

تحيـا بكم كـل أرض تنزلون بهـا ... كـأنـكـم في بـقـاع الأرض أمـطـارٌ
وتشـتـهي العين فيكم منظرًا حسـنًا ... كـأنـكـم في عـيـون الـنـاس أزهـار
ونوركم يهتـدي الســـاري لرؤيتـه ... كـأنـكـم في ظـلام الـلـيـل أقـمـار
لا أوحش الله ربعًـا من زيـارتكم ... يا من لهم في الحشـا والقلب تذكار

نسأل الله ﷻ لنا أجمعين أن يغمرنا الله بوافر فضله، وأن يحقق لنا وبنا كمال وصله، وأن يجعلنا من الذين إذا ظلموا استغفروا، ومن الذين إذا ظُلموا غفروا، ومن الذين إذا أُنعم عليهم شكروا، ويجعلنا من الذين لا يغفلون عن حضرته طرفة عين ولا أقل.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

٠٥ الحلاج الشهيد

٥- الحلاج الشهيد ﷺ ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
مولده ونشأته ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
سبب تسميته بالحلاج ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
في بغداد ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
في مكة ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
دعوته إلى الله ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
محنته ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
تبرءة الحلاج ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
حرق كتبه ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
شبهات الاتحاد والحلول ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
من أقوال الحلاج ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.

قال الحلاج ﷺ:

والله ما طلعت شمسٌ ولا غربت إلا وحبك مقرونٌ بأنفاسي

وما خلوت إلى قومٍ أحدثهم إلا وأنت حديثي بين جلاسي

٥- الحلاج الشهيد رضي الله عنه [٢٦]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي يهدي من يشاء لما يشاء وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على الصراط المستقيم بين الحق والخلق، نعمة الله العُظمى للمقربين وسراج قلوب الموحدين سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين آمين آمين يا رب العالمين.

الأكابر دائمًا وأبدًا يختلف فيهم الناس، منهم المؤيدون ومنهم المعارضون، ولكن شخصية الحُسين بن منصور الحلاج أكثر فيها المعارضون والغافلون الكلام بغير حذر ولا خوف من الله ولا وجل، لأن الإنسان المسلم لو تكلم ينبغي أن يحذر ويعلم أن الله يطَّلع عليه ويسمعه ويراه فلا يقول كلامًا افتراءًا أو كذبًا أو بهتانًا أو زورًا، بل لا يقل إلا الحق الذي يرضاه مولاه ﷻ.

ونحن سنحاول أن نُجلّي حقيقة هذا الرجل ليعلم العالم أجمع هذا الرجل وكيف كان حاله مع الله ﷻ.

مولده ونشأته

هو اسمه الحُسين بن منصور، وُلد عام ٢٤٤ هجرية ٨٥٨ ميلادية في بلدة تور التابعة لمدينة البيضاء من بلاد فارس، وبعد ميلاده بقليل اضطربت أحوال البلدة ولم تستقر المعايش فيها، واضطربت أحوال أباه المالية فهاجر من تور إلى مدينة واسط بالعراق ليرى وينظر إلى عمل يُدرُّ عليه وعلى أولاده عائدًا اقتصاديًا يستطيع به أن يعيش هو وأولاده من حلال رزقه به مولاه ﷻ.

وفي مدينة واسط كدأب الصالحين السابقين واللاحقين – وهذا أمر ذكرناه ويكاد يتفق فيه جميع الصالحين – حفظ القرآن وجوَّده وهو ابن عشر سنين، وتزود من علوم العصر من الفقه والتوحيد والتفسير والحديث والحكمة والتصوف وكان بارعًا فيها، وهذا أيضًا يتفق فيه الصالحون الكُمَّل أجمعون.

ورزقه الله ﷻ من عنده جذبة إلهية، ومع الجذبة لا بد لأهلها أن يتربوا على يد مرشد كامل من الصالحين، وإلا حدث منهم ما لا يُحمد عقباه.

---

٢٦ المقطم – مجمع الفائزين ٣٠ من ربيع الأول ١٤٤٤هـ ٢٠٢٢/١٠/٢٦م

سبب تسميته بالحلاج

ذكر المؤرخون في ذلك أسبابًا كثيرة، منها:

١- أنه من بدايته لاستنارة بصيرته كان يتكلم بأسرار ما في الصدور، فيخبر كل إنسان بما يدور في صدره، لذلك سموه (حلاَّج الأسرار).

٢- رُوي أنه دخل على رجل في مدينة واسط كان يريد منه أن يقضي له حاجة، وكان هذا الرجل حلاجًا يحلج القطن، والحلج كان يدويًا، وكان بيته مليء بالقطن، فاعتذر بأنه يريد أن ينجز عمله والقطن كثير، فقال له الحلاج: اذهب في قضاء حاجتي وأنا أُعينك على قضاء حاجتك، فذهب الرجل يقضى حاجة الحلاج، وعندما رجع فوجئ بأن القطن الذي عنده كله في البيت قد تم حلجه، وهذا أمر يستحيل عقلًا في هذا الزمن لأن الحلج كان يدويًا، ولكن:

إذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

٣- قيل أن أباه كان يشتغل في حلج القطن فسُمي باسم أبيه الحلاج.

بعد أن نال حظه من العلم جاءته جذبة فخرج سائحًا في بلاد الله، يطلب أمورًا كثيرة، بلاد دخلها لطلب العلم، وبلاد دخلها للاجتماع بالمشايخ الظاهرين المشهورين فيها، وبلاد دخلها للجهاد في سبيل الله ينشر دين الله، وبلاد دخلها حتى يتفرغ فيها لعبادة الله جل في عُلاه.

فانتقل أولًا من واسط إلى بلدة في بلاد فارس تسمى تُستر، وإليها يُنسب الإمام سهل بن عبد الله التُستري ﷺ، وكان من كُمَّل العارفين، ومكث معه سنتين يتربى على يديه.

ورجع مرة ثانية إلى البصرة وكان عمره ثمان عشرة سنة، فذهب أيضًا إلى أحد الصالحين في البصرة وهو من الصالحين المشهورين اسمه عمرو بن عثمان المكي وهو غير أبو طالب المكي الصوفي المشهور صاحب كتاب (قوت القلوب) وأقام معه ثمان عشرة شهرًا.

وكان في البصرة رجل صالح آخر يتنافس هو وعمرو المكي في تسيير المريدين والأخذ بأيديهم إلى طريق الله ﷻ، هذا الرجل كان اسمه أبو يعقوب الأقطع، فترك شيخه المكي، وصاحب الشيخ أبو يعقوب، وتوطدت العلاقة بينهما إلى درجة أنه تزوج ببنت أبي يعقوب الأقطع وكان اسمها أم الحُسين، وأنجب منها ثلاثة من الأولاد، ولم يتزوج بغيرها طوال حياته، وكانت تصحبه بعد ذلك في رحلاته.

وكعادة الناس في أي زمان ومكان إذا وُجد تنافس بين شخصين في أي ميدان يتدخل المنافقون لإيقاظ نار الفتنة بينهما، وإيقاظ حروبًا لا تنتهي بينهما مع أنهم صوفية!، فلما وجد أن الحرب قد اشتدت بين أبو زوجته وبين شيخه السابق ولم يستطع أن يمشي بينهما ليوفق بينهما ذهب إلى بغداد وترك البلد.

في بغداد

وفي بغداد التقى بالإمام الجنيد وتربى على يده زمانًا، والتقى بالإمام الثوري وتلقى منه مذهبه الفقهي، وتلقَّى برجال مدرسة الإمام القشيري المعاصرين له في هذا الوقت، فتعددت له المشايخ.

لكن الآفة التي وقع فيها أنه لم يصبر مع شيخ واحد حتى يتم له المراد، وهذا الذي جعله يتخبط في كل واد هنا وهناك، ويحدث له ما حدث.

المشايخ كالأطباء، لو تابعت مع خمس أطباء، أذهب كل حين لطبيب هل سأُشفى من الداء؟ لا، لكن لا بد أن أصبر مع واحد منهم لأنني أحتاج لدواء واحد وروشتة واحدة، وفي النهاية إذا عجز وأعلن عجزه أبحث عن غيره، ولكن لا أتنقل لهوى في نفسي من هنا إلى هنا إلى هنا.

أيضًا كان لما وهبه الله من بعض حالات الجذب أحيانًا يتعالى على مشايخه، فأحيانًا يمتحنهم بأسئلة لا ينبغي أن يسألهم بها، ويمتحنهم بحال لا ينبغي أن يُظهره أمامهم، فلم ينل رضاءهم، والبركة في أي زمان ومكان في رضا الشيخ عن المريد حتى يرتقي في معارج القرب من حضرة الرحمن ﷻ.

في مكة

بعد ذلك ذهب إلى مكة.

ومكث سنة في الحرم المكي لا يغادر ساحة الحرم في مطر ولا حر إلا إذا كان يتوضأ أو يتناول الطعام، وأظن هذا حال لا يستطيع الإنسان تعمُّله، لكنه يكون حال وهبي، وليس كل حال وهبي يُغني الإنسان عن المربي، بل لا بد له من المربي.

بعد أن جاوز في مكة سنة بدأ سياحة روحية يمشي في بلاد الله، كما كنا نرى هذا الصنف، فأخذ يتنقل في البلاد، ومكث في هذا التنقل وهذه السياحة خمس سنين، إلى أن

وصل إلى خراسان وهي في أقصى شمال إيران، وذهب إلى أفغانستان، ودار على هذه البلاد كلها، وكان في هذه البلاد يحاول أن يحدثهم بما فتح الله عليه من العلم، ويحاول أن يأخذهم إلى طريق الله ﷻ.

بعد ذلك رجع مرة ثانية إلى مكة ومكث فيها سنتين كاملتين كالسنة الأولى، لأن من كان من يسكن أو يمكث في مكة أو في المدينة لمدة كانوا يسمونه مجاور، يقولون: مجاور البيت الحرام، أو مجاور المسجد النبوي، فكان مجاورًا البيت الحرام لمدة سنتين، ولكن كالحال الأول أيضًا في ساحة البيت الحرام لا يستتر من حر ولا من مطر، ولا يعبأ بذلك.

وكان القوت الذي يأكله قوت قليل، وهذا ما كان يساعده على هذا الأمر، فكان أغلب دهره صائم، ويفطر على جرعة من الماء ويأتون له برغيف عيش يأكل منه خمس أو ست لقمات ويضع الرغيف على كوز الماء وينتهي الأمر على ذلك.

وهذا وضع لا يستطيع الإنسان أن يتعمَّده، ولا نستطيع أن نقلده فيه، لأن هذا وضع خاص به.

دعوته إلى الله

بعد ذلك بدأ سياحة من نوع آخر ...

سياحة لكي يدعو الكفار والمشركين إلى الله، وهذه وصل فيها إلى الهند وإلى الصين.

وذُكر أنه دخل على يديه في الإسلام آلاف مؤلفة، لأنه كان لبقًا وحديثه ينال القبول، وشخصيته كانت تُعجب السامعين، يعني حالته كلها تُعجب كل من يراه ويستمع إليه، فدخل على يديه آلاف مؤلفة من المسلمين.

وفي كل بلد من هذه البلاد كان يؤلف لهم كتب تناسبهم، وإن كانت هذه الكتب ضاع منها الكثير وانتهت ولم تعد موجودة الآن.

وفي النهاية رجع إلى بغداد وبنى بيتًا وجعله ساحة للدعوة إلى الله ﷻ، يقيم به ندوات علم وحلقات ذكر وحلقات نقاش في التصوف.

دخل الحلاج بغداد، وكما قيل افتتن به كثير من الناس لأسلوبه في الحديث وطريقته في السرد إلى جانب أنه كان يظهر على يديه كرامات كثيرة، وهذه الكرامات تكون تأييد من الله ﷻ.

محنته

لما تجمَّع الخلق عليه وكثروا جاءت المشكلة، فما المشكلة؟

بغداد فيها الخلافة العباسية، والخليفة كان ضعيفًا، والخلفاء العباسيون كانوا يخشون آل بيت النبي لأنهم يعلمون أن هؤلاء كانوا أولى منهم بالخلافة، ولذلك كانوا دائمًا يضطهدونهم، لذلك تجد معظم آل البيت هاجروا إلى بلاد المغرب العربي، وبعضهم رجع إلى مصر، لماذا؟ ليبعد عن الخلافة لأنها موطن شرر لهم على الدوام.

فكانوا كل فترة يقبضون عليهم ويلقون بهم في السجن، وإذا كان الخلفاء أو الحكام ظالمين فليس عندهم مانع أن يختلقوا الأسباب، ولا مانع أن يأتوا بشهود زور ويغروهم حتى يشهدوا، ولا مانع أن يَعدِوا القضاة بمناصب أرقى وبأموال أكثر إذا حكموا كما يريدون، وهذا ما يحدث في كل زمان ومكان.

فالحلاج كان يحب آل البيت، ولأنه يحب آل البيت كان يجاهر بمهاجمة الظلم الذي زاد عن الحد، ويدعو إلى إقامة حكومة إسلامية وتحقيق العدالة الإسلامية، ومثل هذا الكلام لا يُعجب الحكام.

وأصبح له أتباع كثيرين، وكلما كثُر الأتباع كلما كثُر الحسد بين المنافسين الذين هم مثله، والتُهمة جاهزة، أين يذهبون؟ يذهبون للخليفة ويقولون له: هذا الرجل يريد أن يأخذ الخلافة منك وأنت ترى تجمع الناس خلفه، وخاصة أنه كان منهم وزراء سابقين وأمراء وأثرياء وجموع من كل الجهات.

حتى أنه عاش في قصر الخلافة فترة، وكان الخليفة اسمه المقتدي العباسي وأُصيب بألم في بطنه، فاحتار فيه الأطباء فأتوا له بالحلاج، فجاء الحلاج ورقاه فشُفي، فدعاه هو وعائلته وأقام في قصر الخلافة فترة طويلة، وجعل مقر إقامته في القصر ساحة يأتي إليها الناس من كل مكان يدعوهم إلى الله، ويقيم بها محاضرات وندوات.

وكانت أيضًا أم الخليفة قد أُصيبت بنفس الداء، فأتوا لها بالحلاج، فرقاها فشفيت، فظلت متمسكة بالحلاج على الدوام، وكذلك رئيس الديوان الملكي، كل هؤلاء كانوا مع الحلاج؛ فخاف الخلفاء على دولتهم أن تضيع ويذهب ملكهم إلى آل بيت النبي ﷺ، وهم ذرية الحسن والحُسين رضي الله عنهم أجمعين.

فلما وصلت الوشايات إلى ذروتها وكان في هذا الوقت وزير الدولة العباسية اسمه حامد بن العباس وكان ظالماً ويحب المال، ففرض على الناس كعادة الحكام الظالمين ضرائب من غير حساب ليجمع منهم أموال، فلما سمع انتقاد الحلاج خاف على نفسه، فدبَّر مؤامرة لقتل الحلاج، وهي التي تم فيها استشهاد الحلاج رحمة الله عليه.

فبحث في كتب الحلاج ليجد شيء غير مطابق لشرع الله فيها فلم يجد.

فبحث على الرسائل التي كان يرسلها لأتباعه، وهنا دسَّ رسائل فيها كلام منسوب للحلاج لم يقُله وهو منه بريء.

فاتهموه بتهم كثيرة، تارة يقولون: إنه ادَّعى الألوهية، وتارة يقولون إنه ادَّعى النبوة، وتارة يقولون: إنه ساحر يسخر الجن، وتارة يقولون: أنه داعي من دعاة القرامطة وهم فئة من الفئات الظالمة الذين ذهبوا وهدموا الكعبة وسرقوا الحجر الأسود وقتلوا الحجيج وألقوهم في بئر زمزم، وغير ذلك من التُهم الكثيرة التي ألصقوها له.

القضاة يقولون: لا نستطيع أن نحكم عليه بشيء لأنه لا يوجد شهود.

إلى أن زوَّر الوزير بعض المكاتبات وحكم عليه القضاة بحكم لم يسبق له مثيل، فعلَّقوه على خشبة وقيدوه وثبتوه بمسامير وجلدوه ألف جلدة، ولم يتأوه ولم يتوجع، وكلما ضُرب بسوط لم يزد عن قوله: أحد أحد، وبعد أن ضربوه ألف سوط قطعوا يديه وتركوا الدم ينزف منهما، وبات على هذا الحال، وفي اليوم الثاني زادوا في ضربه ثم قطعوا رجليه، وأيضًا ظل الدم ينزف منهما، وفي اليوم الثالث قطعوا رقبته، وأتوا بجسمه ووضعوه في نار وأحرقوه، وأخذوا الرماد الذي انتهى من الحرق ورموا به في ماء دجلة.

والرأس أخذتها أم الخليفة وأبقتها عندها عام كامل بعد أن طافوا بها البلاد كلها حتى يكون عبرة لمن يخرج عن الحكام.

هذه القضية تبناها بعض المشككين والجاحدين ومن يعادي الصوفية من المعاصرين.

يقولون أن الحلاج كان يقول أفكارًا غريبة، فنسبوا له أنه يقول: أنا الله، وهو لم يقُل هذا الكلام، ونسبوا أنه قال: معبودكم تحت قدميَّ، وهو لم يقُل هذا الكلام، ونسبوا إليه أنه يقول بوحدة الوجود أو الحلول أي أن الله يحل في جسم إنسان، وهو أيضًا لم يقُل هذا الكلام، وغير ذلك.

تبرئة الحلاج

من الذي برأه في العصر الحديث؟

– الدكتور عبد الحليم محمود في كتابه (قضية التصوف):

(لقد كان الحلاج قوة جارفة، كان مركزًا للجاذبية لا يضارع، ويلتف حوله الناس أينما حل ويسيرون حوله أينما ارتحل، وكان ككل صوفي يحب آل البيت لأنه كان يحب الرسول ﷺ، وكان آل البيت إذ ذاك يطمعون أن تكون الدولة لهم، وما كان بنو العباس يطمئنون إلى شخصية كشخصية الحلاج المحبة لآل البيت نسل رسول الله ﷺ، وما دام الحلاج دعاية قوية تسير في كل مكان وتتجه إلى كل بلد فيجب حفاظًا على أمن الدولة وتحصينًا لاستقرارها أن يُنكَّل بالحلاج.

وما كان مقتل الحلاج دينيًا قط كلا، وإنما كان سياسيًا بحتًا.

ومن السهل على الملوك المستبدين أن يزيفوا القضايا وأن يأتوا بشهود الزور، وأن يعدوا القضاة بالمال والترقيات، وأن ينفذوا أهواءهم، فكان ما كان من قضية ومن قتل، والدِين من كل ذلك براء، والألفاظ التي ينسبونها للحلاج ليست في كتاب من كتبه، وكتبه – وبعضها موجود – لا تسند خصومه ولا تؤيدهم.).

أيضًا نستشهد بآراء بعض المستشرقين، وهم أول من بدأوا بدراسة التصوف في العصر الحديث:

– فالمستشرق نيكلسون في كتابه (الصوفية في الإسلام) يقول:

إن قتل الحلاج أملته دوافع سياسية لا تعرف الرحمة.

– ويقول المستشرق الفرنسي ماسنيون:

كان الحلاج يحرك الجماهير وينادي بالإصلاح، ويبشر بفكرة الحكومة المثالية التي تقيم الشريعة على نغمات المحبة والعبادة الخالصة لله.

وإذًا:

– فصيحة الحلاج الصوفية الإصلاحية ودعوته إلى إقامة حكومة ربانية مثالية هي سر المأساة الكبرى أو إحدى أسرار تلك المأساة الكبرى.

حرق كتبه

بعد أن تم قتله أصدر الوزير نفسه قرارًا بأن تُجمع كل كتب الحلاج من عند أعوانه وتُحرق، وكذلك كل مكاتباته.

ولذلك المؤرخ العربي ابن النديم له كتاب كبير اسمه (الفهرست) ذكر فيه أسماء كتب كبار كُتَّاب العرب التي عملوها، فذكر للحلاج أكثر من أربعين كتابًا.

أين هم؟

لم يوجد إلا كتاب واحد جمعه المستشرق الفرنسي ماسنيون اسمه (الطواسين) وجمع بعض أشعاره من هنا ومن هناك وجعلها ديوان الحلاج.

ونسمعها دومًا ونستشهد بها، منها قوله:

والله ما طلعت شمسٌ ولا غربت ... إلا وحبك مقرونٌ بأنفاسي
وما خلوت إلى قومٍ أحدثهم ... إلا وأنت حديثي بين جلاسي
ولا ذكرتك محزونًا ولا فرحًا ... إلا وأنت بقلبي بين وسواسي
ولا هممتُ بشرب الماء من عطشٍ ... إلا رأيتُ خيالًا منك في الكأس
ولو قدرتُ على الإتيان جئتكمُ ... سعيًا على الوجه أو مشيًا على الرأس

ومما قاله:

الله يعلم ما في النفس جارحة ... إلا وذكرك فيها نيل ما فيها
ولا تنفست إلا كنت في نفسي ... تجري بك الروح حتى في مجاريها
إذ كانت العين مذ فارقتها نظرت ... إلى سواك فخانتها مآفيها
أو كانت النفس بعد البعد آلفة ... خلفًا عداك فلا نالت أمانيها

وعندما اتهموه دافع عن نفسه ولم يسكت، فعندما اتهموه بادِّعاء الألوهية وادِّعاء النبوة قال: أعوذ بالله أن أدَّعي النبوة والربوبية إنما أنا رجل أعبد الله وأُكثر من الصلاة والصوم وفعل الخير، ولا أعرف غير ذلك.

ولما حكموا بقتله، قال لهم:

ظهري حِمى ودمي حرام، ولا يحل لكم أن تتأولوا عليَّ، واعتقادي الإسلام، ومذهبي السُنَّة، فالله الله في دمي.

شبهات الاتحاد والحلول

هناك نظريات ينسبونها للحلاج !!!

ومنها ما ينسبونه لابن عربي !!!!

ومنها ما ينسبونه للسهروردي !!!!

وهي نظريات الاتحاد والحلول وغير ذلك.

هؤلاء القوم يصلون إلى مقام في الشفافية لا تدركه العقول.

ولو أحب إنسان أن يتفهَّم هذا الكلام بعقله يُخطئ ولا يصيب.

فماذا يحتاج؟

– يحتاج إلى صاحب ذوق يتذوق هذا الكلام.

– أو صاحب مشاهدة يشاهد العين التي خرج منها هذا الكلام.

فانطلقت الاتهامات تحاول أن تحيل هذا المقام الروحي الإيماني إلى ما أسموه بالاتحاد والحلول حينًا وإلى ما أسموه بوحدة الوجود أحيانًا، وسر الاتهام هو عجز الأقلام المادية مع علمها ومكانتها عن تذوق فلسفة مقام الفناء، وهي فلسفة بنيت على تذوق وعلى مشاهدة وعلى محبة فاستعصى فهمها على العقول التي لم تتذوق ولم تشهد ولم تحب.

كالفلاسفة الذين يُدَرِّسون في الجامعة.

ما يُدرِّسونه في الجامعة فلسفة نظرية.

يُدرِّسون التصوف، أيَّ تصوف؟

التصوف النظري.

هل أحد منهم خاض التجربة الصوفية؟

من لم يخض التجربة ليس من حقه أن يحكم على التجربة الصوفية لرجل صوفي، لأن الرجل الصوفي له تجربة، والتجربة قلبية، ويقول فيها الله ﷻ:

﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (٣٦الإسراء).

هذه أدوات المعرفة.

إما السمع أو البصر يعني القراءة أو الفؤاد، إذا كانت هذه المعلومات عن طريق الفؤاد، فمن الذي يُدركها؟

لا أحد إلا إذا كان هو صاحب فؤاد !!!

لكن لو حكم فيها بعقله فلا بد أن يُخطئ.

ولذلك النظريات كلها كاذبة ولا تقف أمام الحقيقة طرفة عين ولا أقل، يقول فيها الإمام الشعراني ﷺ في كلامه العظيم:

(إن عباد الأوثان لم يجرؤوا على أن يجعلوا آلهتهم عين الله، بل قالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فكيف يُظَن بأولياء الله أن يدَّعوا الاتحاد بالحق؟! هذا مُحال في حقهم رضوان الله عليهم)

فهذا افتراء لأنهم لم يفهموا ولم يعيشوا تجربة هؤلاء الأقوام.

يقول فيهم أيضًا إمام من الأئمة العظام وهو الإمام الكلاباذي في كتابه التعرف لأهل التصوف:

(مشاهدات القلوب ومشاهدات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق، بل تُعلم بالمنازلات والمواجيد، ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال)

كل من يعترض لماذا يعترض؟ ... لأن عقله لا يستسيغ ذلك.

وحدة الوجود التي يقصدها السادة الصوفية في نثرهم وفي شعرهم حقيقتها أن المتفرد بالوجود الحق الغني عما سواه الذي يفتقر إليه كل ما عداه هو الله وحده ﷻ.

ذهب رجل لابن عربي يقول له:

هؤلاء المعترضون علينا، ماذا نفعل معهم؟

قال له: قل لهم لو وصف إنسان العسل من غير أن يتذوق طعمه، هل وصفه يكون صحيحًا؟ قال: لا !!! قال له:

كذلك لا يصف طريق الله وأنوار الصالحين ومشاهدات العارفين ؛ من لم ينزل هذه المنازل.

فلا بد أن يخوض التجربة بنفسه ليكون من هؤلاء.

من أقوال الحلاج

– يقول: (حجبهم بالاسم فعاشوا، ولو أبرز لهم علوم القدرة لطاشوا، ولو كشف لهم عن الحقيقة لماتوا).

– ويقول: (إذا دام البلاء بالعبد ألفه).

– ويتكلم عن الأعمال فيقول:

(من لاحظ الأعمال حُجب عن المعمول له،
ومن لاحظ المعمول له حُجب عن رؤية الأعمال)

– سئل عن حال موسى في وقت الكلام، كيف موسى كلَّم الله؟ فقال:

(بدا لموسى من الحق باد، فلم يُبق لموسى ثَمَّ أثر، يعني صُعق:

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ (١٤٣الأعراف)

(فنيَ موسى عن موسى، ولم يكن لموسى خبرٌ عن موسى،
ثم كُلِّم فقال المُكلَّم هو المتكلم بحصول موسى في حال الجمع وفنائه عنه،
ومتى كان موسى يطيق حمل الخطاب أو يأباه،
ولكن بالله قام وبه سمع).

عبارة عالية لكن تُفسر حقيقة كيف سمع موسى كلام الله ﷻ.

– ويقول:

(من أسكرته أنوار التوحيد حجبته عن عبادة التجريد، بل من أسكرته أنوار التجريد نطق عن حقائق التوحيد، لأن السكران هو الذي ينطق بكل مكنون)

وهذا كما يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

علمنا فوق العقول مكانة كيف لا وهو الضيا الغيب الصُراح
والفتى المجذوب بالحب له آيةٌ إن ذاق خمر الحب صاح
وهو محمول العناية إن يبُح بالحقائق ما على الفاني جُناح

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

٦. سُلطان العارفين: أبو يزيد البسطامي

٦- سلطان العارفين: أبو يزيد البسطامي ﷺ ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
البيئة الصالحة ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
برّه بأُمِّه ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
طلبه للعلم ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
جهاده لنفسه ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
- الطريق الأول: ذكر الله ..... Error! Bookmark not defined.
- الطريق الثاني: التواضع ..... Error! Bookmark not defined.
التزامه بالشريعة ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
ورعه ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
جهاده في سبيل الله ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
محنته ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
معرفته ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
معراجه ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
الشطح ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
وفاته ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.

قال أبويزيد البسطامى ﷺ:

(زاحمت العُبَّاد في عباداتهم فقال لي رب العزة ﷻ في المنام:
خزائني مملوءة بالعبادات،
ولكن ائتنا بالفقر والمسكنة)

٦- سلطان العارفين:
أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه [٢٧]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي منَّ علينا برجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فعرَّفنا أحوالهم، وكشف لنا الأستار عن حقيقة قربهم ودنُوهم من حضرته، لنمشي على هديهم عسى الله ﷻ أن يرفعنا كما رفعهم وأن يقربنا كما قرَّبهم، والصلاة والسلام على إمام المقربين، وسيد الوجهاء في الدنيا ويوم الدين؛ سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

حكايات الصالحين التي اخترناها للسالكين الصادقين الراغبين في نوال القرب من رب العالمين ﷻ، كلما تفحَّصنا رجلًا منهم وجدنا له أسلوبًا فريدًا في القرب من الله لا يشاركه فيه سواه، وإذا لم يرُق لك أسلوب هذا الرجل عليك بأسلوب الرجل الذي أُعجبت به، وامشي على نهجه بصدق تفز بما فاز به عند ربه ﷻ.

ورجُلنا الذي نتكلم عنه لقبَّه العارفون في زمانه بسلطان العارفين، وهو سيدي أبو اليزيد البسطامي رضي الله عنه وأرضاه، وأكثر من تحدث عنه وعن مقاماته وقربه عند الله سيدنا محي الدين بن عربي رضي الله عنه، وكان يقول: هو قطب عصره بلا امتراء، ورث مقام القطبانية ولم يدانيه ولم يساويه أحد في عصره.

البيئة الصالحة

إذا نظرنا إليه وإلى غيره من الصالحين الصادقين نجد أمرهم عجبًا.

فإن عناية الله سابقة لهؤلاء الأقوام، ومن هذه العناية أن الله ﷻ يُهيئ لهم قبل البداية ومنذ البداية بيئة طيبة في منازلهم التي يعيشون فيها وبين أهلها.

فهذا الرجل كان أبوه رجلًا صالحًا يتحرَّى مرضاة الله في جميع شؤونه، وكان يُسمى عيسى أبو اليزيد بن عيسى البسطامي نسبة إلى قرية بسطام في بلاد فارس، وجده كان مجوسيًا، لكن عناية الله إذا سبقت لا تفرق بين هذا وذاك.

وكانت أبرز صفات أبيه الورع.

---

٢٧ المقطم – مجمع الفائزين ٢٨ من ربيع الآخر ١٤٤٤هـ ٢٠٢٢/١١/٢٣م

يتحرى الحلال الطيب ولا يأكل الخبيث مطلقًا حتى ولو ضاقت به السُبل إن كان في مطعمه أو مشربه أو ملبسه أو مسكنه، وكانت أُمُّه كذلك عابدة زاهدة صائمة قائمة لله.

ومع ذلك من غرائب ما قرأت أن أباه عندما تزوج بأمِّه مكث أربعين ليلة لا يقربها، فسُئل عن ذلك؟ فقال: حتى يتنقَّى بدنها وجوفها من الحرام الذي ربما أكلته في بيت أبيها، من الذي يفعل ذلك؟! ومن الذي يُلهم الإنسان بذلك؟! حتى تكون النطفة في أحلِّ الحلال.

وأُمّه كذلك كانت تتحرى الحلال من الطعام، حتى أنها من كثرة تحريها للحلال جعل الله ﷻ لها آية في يديها، فإذا امتدت يديها إلى طعام حلال كانت سهلة وتناولت هذا الطعام، وإذا كان هذا الطعام فيه حرام لا تستطع أن تمد يديها إليه وتمتنع اليد عن لمس هذا الطعام!، فهذه هي البيئة الصالحة الأولى، قال ﷺ:

{ يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ؛ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا }[٢٨]

فهذا الأساس الأول:

لما وُلد في هذا الأساس وغُذي من لبن أمه الحلال والورع والتقوى كان ورعًا حتى وهو في طفولته، فقد ذُكر عنه أنه قبل أن يبلغ العاشرة من عمره قال: يا أماه أُقسم عليك هل تناولت شيئًا من الحرام بسببي أيام كنت ترضعينني فإني لا آمن أن يكون قد وصل إلى شيء من ذلك فيظلم قلبي وأنا لا أعلم فيحجبني ذلك عن ربي؟ فقالت أُمّه: أنا لم أفعل شيئًا فيه شُبهة إلا مرتين، دخلت عند جيراننا وأنت معي على حجري فأخذت من قارورة الدهن – زجاجة زيت الشعر – ووضعت على شعرك بدون إذنهم، والمرة الثانية أخذتُ كُحلًا من مِكحلتهم وكحلتك بدون إذنهم.

فذهب إليهم أبو يزيد وكانوا قد ماتوا، فطلب من ورثتهم أن يستحلوه هو وأُمّه من هذا الأمر، وقال: يا أماه إن الله يحاسب على مثقال ذرة:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (٧-٨ الزلزلة)

وهذا الذي ذكرتيه أعظم من الذرة!

فهذه العناية الربانية في البداية لأهل ولاية الله ﷻ.

---

٢٨ المعجم الأوسط الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

برّه بأمّه

كان شديد البر بأمّه.

وبر الإنسان بأمّه لا يكون إلا إذا تربى على المطعم الحلال.

فالإمام أبو العزائم ﷺ رأى ولدًا يسب أباه ويهم بضربه، فخاض الحاضرون وقالوا: إنه ابن حرام، فقال الإمام أبو العزائم: قد يكون تكوَّن من نطفة من حرام، يعني ليس معنى أنه ابن حرام أنه ابن زنا، لأنه قد يكون قد تكوَّن من نطفة تكوَّنت من مطعم حرام، أو غُذي في بطن أمه بمطعم حرام، وهذا الذي يجعله ابن حرام.

فكان شديد البر بأمه، بلغ به هذا الأمر أن أمّه طلبته في ليلة شديدة البرودة وقالت له: اسقني، فذهب وأحضر الماء فوجدها قد نامت، فجلس بجوارها وهو يمسك الكوز بيده حتى تستيقظ لتشرب الماء، ومن شدة برودة الجو فإن كوب الماء سلخ قطعة من جلد يده، ومع ذلك لم يتبرم ولم يتضايق وظل واقفًا حتى استيقظت وسقاها.

وأظن أنكم تعلمون قصة المتوسلين بأعمالهم الصالحة الذين نجاهم الله من الصخرة، وكان أحدهم لا يسقي أولاده اللبن في العشاء حتى يسقي أبويه، فلما جاء ذات ليلة وقد نام أبويه أمسك بإناء اللبن ووقف بجوارهما حتى يستيقظا، وسأل الله ﷻ بحق هذا البر أن يفرج عنهم ما هم به، فانفرجت الصخرة التي كانت تسد عليهم الغار.

ولذلك عندما سألوه بعد ذلك: بمَ بلغت ما بلغت؟ قال:

(أنتم تقولون ما تقولون وإنما أرى ذلك من رضا الأم)

يعني ما بلغت هذا المقام إلا ببري بأمي.

طلبه للعلم

هذا الرجل أحاطت به عناية الله منذ بدايته، ولذلك كان منذ بدايته لا يرى لنفسه حالًا ولا قالًا ولا علمًا ولا شيئًا، ولا يتكلم بياء النسب قط، لا يقول لي ولا مني ولا عليَّ وإنما ينسب الفضل كله في كل أمر إلى الله ﷻ.

فعندما نقرأ عباراته نجد العجب في ذلك.

من جملة هذه العبارات عند طلبه للعلم يقول:

(كانت بداية أمري أن أقامني الحق ﷻ في طلب العلم، وأقامني الحق ﷻ على أبواب العلماء وصحبة المتعلمين دهرًا طويلًا، فلما استكثرت من أنواع العلوم جعَلَت نفسي تحدثني أنك قد علمت وعرفت، والعالِم والعارف في أعلى المراتب، فأشرف بي الحق تعالى حتى رأيت ازدحام العلماء والعارفين فلم أر لنفسي معهم موضع قدم، فتلاشيت وانصرفت ولم أصل إلى الحق، فقلت: العلم والمعرفة من غير حقيقة حجة، وكان عندي أن الحقيقة في العلم والاجتهاد).

يعني هو وجد في النهاية أن العلم لا ينفع ولا يرفع إلا إذا صحبه العمل !!!

فلو استرسلت في هذا المجال إلى ما شاء الله فلن أصل إلى شيء !!!

لأن العلم يحتاج إلى العمل.

فاتجه إلى جهاد النفس والعمل حتى فتح الله عليه ما فتح من العلوم الوهبية.

وكان يحاجُّ العلماء بما أتاه الله من العلم المكنون، ويقول لهم:

(أخذتكم علمكم ميتًا عن ميت - يعني فلان عن فلان - وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت).

ويقول لهم:

(ليس العالِم من يحفظ من كتاب فإذا نسيه صار جاهلًا، وإنما العالِم من يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا تحفيظ ولا درس)

حتى يعرفوا فضل العلوم الإلهية الربانية.

حتى أنه ذات مرة كان يتكلم في العلم، فقال له رجل: ليس هذا الكلام في كتب العلم، فقال له: ارجع إلى كتاب كذا في ورقة كذا تجد ما أقوله منها، فرجع الرجل إلى الكتاب وإلى الصفحة فوجد ما قاله له رضي الله عنه وأرضاه، وهذه من علوم المكاشفة التي أكرمه بها الله ﷻ، ومكث في طلب العلم سنين طويلة ولم يترك العلم إلا من أجل الخلاف الذي وجده بين العلماء، يقول رضي الله عنه:

(عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئًا عليَّ أشد من العلم ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لبقيت، واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد)

فلا ينفع فيه الخلاف ولا الاختلاف.

جهاده لنفسه

بعد طلبه للعلم وإجادته للعلم اتجه إلى مجاهدة النفس ... وأخذ يجاهد نفسه لمدة ثلاثين عامًا ... فالواحد منا إذا جاهد شهرين أو ثلاثة يريد بعدها الفتح!!!، فإذا لم يأت الفتح يقول: هذا الطريق لا يصلح !!! ...

لكنه أخذ يجاهد نفسه ثلاثين عامًا لأنه كانت له بُغية عالية يريد أن يصل إليها.

وجعل لنفسه في بيته مسجدًا خاصًا ومؤذنًا خاصًا، وكان هو الذي يُصلي بهم إمامًا جميع الفرائض في وقتها، فلا يترك فريضة من فرائض الله.

واتخذ في جهاده لنفسه طرقًا عدة:

- **الطريق الأول: ذكر الله**

وكان يقول فيه:

(لم أزل منذ ثلاثين سنة كلما أردتُ أن أذكر الله غسلت فمي ولساني إجلالًا لله)

ولم يكن يغسل فمه ولسانه فقط بالماء.

بل كان أيضًا يغسلهم من الغيبة والنميمة والقيل والقال، والأقوال التي تباعد بين المرء وبين القرب من مولاه ﷻ.

فأول شيء ذكر الله.

والذكر لا يجوز إلا بعد طهارة الفم واللسان، ومع ذلك قيل له: ما العارف؟ قال:

(العارف من لا يفتر عن ذكره ولا يمل من خلقه ولا يأنس بغيره ﷻ).

وكان يقول مع هذا الذكر الكثير:

(إذا صفت لي تهليلة - يعني لا إله إلا الله - ما باليت بعدها بشيء)

يعني يكفيني تهليلة واحدة !!!! بعدها أكون في حالة صفاء .. ونورانية .. وشفافية مع حضرة الله ﷻ ...

فليس الأمر مسبحة وعدُّ وما شابه ذلك !!

وإنما الأمر صفاء ونقاء.

❖ الطريق الثاني: التواضع

كان لا يرى لنفسه حالًا ولا قالًا ... بل كان شديد التواضع في نفسه لجميع خلق الله، وقال في ذلك:

(ما دام العبد يظن أن في المسلمين من هو شر منه فهو متكبر)

فلا بد أن يرى نفسه أنه أقل خلق الله شأنا.

وكان كثير من الصالحين إذا حدث للعباد حدث يقول: إنما حدث هذا بسببي وليس بسببكم أنتم، لماذا؟ ... لأن الإنسان إن لم يكن حدادًا على نفسه فإن نفسه قد تغلبه وتجره إلى هواه ولا يصل إلى بغيته أبدًا.

وسُئل ذات مرة: متى يكون الرجل متواضعًا؟ قال:

(إذا لم ير لنفسه مقامًا ولا حالًا، ولا أن يرى في الخلق من هو شر منه).

فهذه كلها نتائج مجاهداته صاغها في حِكَم لمن يريد أن يمشي على منواله، ويسير على منهاجه رضي الله ﷻ عنه.

وثانيًا التواضع لخلق الله، فلا يرى إلا حقيقة نفسه، ومن عرف حقيقة نفسه عرف أنه لا يملك لنفسه حالًا ولا قالًا ولا علمًا، وإنما به ﷻ يكون قوله وفعله وحاله.

وكان حريصًا في فترة الجهاد على البعد عن الغفلة، لأن أكبر عقوبة يسلطها الله على عبد يطلب رضاه أن يسلط عليه الغفلة عن الله فيغفل عن ذكر الله ويغفل عن طاعة الله، ولذلك قال:

(لا عقوبة أشد من الغفلة لأن الغفلة عن الله طرفة عين أشد من النار)

وهذا لأهل هذا المقام.

فكان ذاكرًا لله ﷻ ويقول في ذلك ﷺ: **(عملت في المجاهدة ثلاثين سنة وأكافح المراقبة ولا أجسر أن ألبس مرقَّعة - وهي علامة على دخول الطريق - ولا أتظاهر بالطريق)** يعني كان دائمًا يعمل بقول حضرة النبي ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ }[٢٩]

---

٢٩ صحيح مسلم ومسند أحمد عن سعد بن أبي وقاص ﷺ

التزامه بالشريعة

هذا الرجل بعد جهاده لنفسه نرى أمرًا عجيبًا وغريبًا، ولكنه ليس عجيبًا وغريبًا على الكُمَّل، كان ملتزمًا التزامًا كاملًا بالشريعة المطهرة، لأنه عالِم وكان يصلي الفرائض في مسجده بالناس إمامًا، وكان يقول للناس: (لو نظرتم إلى رجل أُعطي من الكرامات حتى يتربَّع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود في أداء الشريعة) لأن الشريعة هي التي تكشف لك حقيقة هذا الرجل، لأن الكرامات قد تكون استدراج.

وسُئل عن الصوفي، فقال: (هو الذي يأخذ كتاب الله بيمينه، وسُنَّة رسوله ﷺ بشماله، وينظر بإحدى عينيه إلى الجنة وبالأخرى إلى النار، ويئتزر بالدنيا ويرتدي بالآخرة ويلبي من بينهما المولى: لبيك اللهم لبيك).

سمع عن رجل من الصالحين ببلدة قريبة فقال لأحد رفقائه: اذهب بنا إلى هذا الرجل الذي اشتهر بالولاية لنزوره، فذهبوا إلى المسجد الذي يصلي فيه، فسألوا عنه، فقيل: هو في بيته لم يأت بعد، فانتظروا حتى جاء الرجل، فدخل الرجل مصلاه وكان هو إمام المسجد وبصق في القبلة، فقال أبو يزيد لصاحبه: قم بنا فإن هذا الرجل غير مأمون على شرع الله ﷻ، وإذا كان غير مأمون على شرع الله وعلى الأدب بين يدي مولاه، فكيف ينال ولاية الله؟! وقام بصاحبه ولم يذهب إليه ويلقي عليه السلام أو يصافحه، لماذا؟ لتمسكه بالشريعة المطهرة رضي الله عنه وأرضاه.

ويدل على عُلو همته أنه كان يرى رب العزة ﷻ في المنام كثيرًا، فيقول على سبيل المثال: (رأيتُ رب العزة في المنام فقال: ماذا تريد؟ فقلت: أريد ألا أريد غير ما تريد، فقال لي: أنا لك كما كنت لي).

ورعه

وكان من أهم ما تمسك به كما علَّمه ذووا نسبه وأهله الورع، فكان ورعًا في كل أحواله، ذهب ذات يوم للصلاة في مسجد بعيد، وكان يومًا شاتيًا، وكانت الأرض وحلًا، فخرج وحل من الأرض وتعلق بالجدار، واستند وهو في مشيه حتى لا يقع على جدار رجل، وعندما رفع يده نزلت معها قطعة من الطين من جدار هذا الرجل، فقال: لا أذهب إلى المسجد حتى أستحل هذا الرجل، قالوا: والصلاة؟ قال: الصلاة ما زال وقتها ممدود،

ولكن لا بد لي من أن أستحل هذا الرجل وأطلب منه المسامحة، فدق على الرجل الباب وطلب منه المسامحة، فقال: على ماذا؟ قال: على كذا، وكان هذا الرجل مجوسيًا يعبد النار، فقال الرجل: ولكم في دينكم الدقة وكل هذا الاحتياط؟ قال: نعم، فكانت النتيجة أن أسلم الرجل وأهله معه لدقة ورعه ﷺ.

بل الأعجب من ذلك أنه كان ماشيًا مع رفيق له في الصحراء، ونزل عليهم مطر فابتلت ثيابه، فقال رفيقه: ننشر الثياب حتى تجف، قال: أين ننشرها؟ قال: نضع وتدًا في جدار هذا المنزل وحبلًا منه إلى هذه الشجرة، قال: لا يحل أن نضع وتدًا في بيت قوم بغير إذنهم، قال: نضعه على الشجرة، والشجرة كانت شجرة مثمرة، فقال: أتضعه على شجرة مثمرة؟! لقد آذيت الشجرة بفعلك ذلك، قال: نضعه على حشائش الأرض، قال: إن الحشائش تأكل منها الحيوانات وتفسدها أنت بفعلك هذا، قال: فماذا نفعل؟ قال: ضعه على ظهري وأدير ظهري إلى الشمس حتى يجف الجزء المواجه للشمس، ثم تقلبه على الناحية الأخرى!، ما هذا؟! هذا الذي قال فيه ﷺ:

{ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ }[٣٠]

من أعبد الناس؟

الوَرِع.

وليس الذي يُصلي كثيرًا ويصوم كثيرًا، مع أنه كان عابدًا، ولكن كان عابدًا على نور من معرفة الله ﷻ.

جهاده في سبيل الله

كان يُكثر من الحج إلى بيت الله الحرام، والجهاد في سبيل الله.

فكان يجاهد بسيفه مع جنود المسلمين، ولذلك يقول: لم أزل منذ أربعين سنة أني ما استندت إلى حائط إلا إلى حائط مسجد أو رباط – يعني الجهاد في سبيل الله – فقيل له: ولِمَ لم تستند وفي ذلك رخصة؟ فقال: سمعت الله ﷻ يقول:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (٧-٨ الزلزلة)

فهل ترى من رخصة؟!.

---

٣٠ سنن ابن ماجة والطبراني عن أبي هريرة ﷺ

قال في حجه:

(حججت أول مرة فرأيتُ البيت ولم أر رب البيت،
وحججتُ في المرة الثانية فرأيتُ البيت ورب البيت،
وحججتُ في المرة الثالثة فرأيتُ رب البيت ولم أر البيت)

أحوال عالية في عبادة الله وطاعة الله ﷻ.

وكان يجاهد في سبيل الله.

وكان الجهاد بالنسبة له كرجل صالح ثلاثة أنواع:

- جهاد النفس.
- وجهاد في إقامة فرائض الله وشريعة الله.
- وجهاد في ميدان القتال.

وهذا جهاد العارفين في كل زمان ومكان.

أو نستطيع أن نقول:

- جهاد في سره مع النفس والشيطان.
- وجهاد في ظاهره مع القيام بفرائض الرحمن.
- وجهاد بسيفه في مجاهدة أعداء الله الذين يحاربون المسلمين.

محنته

هذا الرجل لما تكلم في علوم الحقائق كان نهجه عاليًا، وكان في تدبره في آيات القرآن يأتي بالعجب العجاب.

فأنكر عليه أهل الظاهر ورموه بالعظائم ونفوه من بلدته سبع مرات، وهم في كل مرة يصيبهم بعدها كرب ويصيبهم بلاء فيردوه؛ ثم بعد ذلك يتحدث مما فتح الله ﷻ به عليه، وهي علوم حقائق لا يستطيعون الوصول إليها، مع أنها إشارات بسيطة في آيات الله ﷻ، ولكن حاله العجيب كان يقتنص إشارات من هذه الآيات.

فكان القارئ يقرأ ذات مرة:

﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ﴾ (١٥٢آل عمران)

فصرخ، فسألوه: لِمَ تصرخ؟ فقال: ألم تسمعوا هذا العتاب؟ قالوا: أي عتاب؟

قال: يقول الله تعالى:

(منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) فأين من يريدني؟

فكانت كل الإشارات بهذه الكيفية، وهي ليست خروج عن النص، ولكن العلم الظاهر لم يصل إلى هذا، ولا يصل إلى ذلك إلا أهل الأحوال الباطنية والتلقي مباشرة من رب البرية ﷻ.

قرأ القارئ ذات مرة: ﴿ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (البروج) فقال: إن بطشي أشد من بطش ربي، فثاروا عليه وأخرجوه من البلد، لكن فسَّر هذا الكلام الشيخ محي الدين بن عربي وقال: إن بطش الله ممزوج بالرحمة، ولكن بطش العبد ليس فيه ذرة رحمة.

الصليبيون ومن تبعهم إلى يومنا هذا سواء من المسلمين أو مع بعضهم، هل عندهم ذرة رحمة؟ لا !!!، وهذا بطشهم !!! ..

لكن بطش الله يكون ممزوجًا بالرحمة، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ:
إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي،
فَهو مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ }[٣١]

الرحمة تأتي أولًا !!

فعندما يأتي البطش يكون لمصلحتك .. !!

لأنه يريد أن يذكِّرك ويريد أن ينبهك ويريد أن يغسلك ويطهرك !!!!

لكن بطش الإنسان ليس فيه ذرة من الرحمة.

فكان هؤلاء القوم كلما تحدث في هذه العلوم والإشارات لا يدركونها ولا يستطيعون فقهها – وكان لا يفسرها لهم – فيُخرجوه من البلدة !!!

وبعد كل مرة تحدث لهم نكبات وأزمات فيضطروا إلى إرجاعه.

---

٣١ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

حتى جاءوا في المرة السابعة واعترفوا له بالكرامة وعظموه وأكرموه ولم يهينوه بعدها.

بل كانوا عندما يمشي في البلد يأتي الناس من حوله ويتمسحون به.

وكان البعض يعترض على ذلك، فيقول لهم:

هم لا يتمسحون بي أنا، لا ولكن يتمسحوا بفضل الله الذي وضعه عليَّ !!!

يعني ليس لي شيء.

أرأيتم كيف كان فناء الرجل في قربه من الله؟

فهم يتمسحون بفضل الله الذي أحاطني به !!!

وليس بي أنا !!!

فأنا ليس معي شيء !!!

فكان هذا حاله رضي الله ﷻ عنه وأرضاه

معرفته

أما طريق معرفته وهذا ما ينشده كل الصالحين ..

فهو يشير إليه بأنه رأى في المنام رب العزة فقال:

(بم يتقرب إليك المتقربون؟
قال: بما ليس فيَّ، قال: وما الذي ليس فيك؟
قال: الذل والمسكنة).

ولذلك يقول:

(زاحمت العُبَّاد في عباداتهم فقال لي رب العزة ﷻ في المنام:
خزائني مملوءة بالعبادات،
ولكن ائتنا بالفقر والمسكنة)

والفقر هنا لله ﷻ والمسكنة لله، يقول الله تعالى:

{ أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي }[٣٢]

---

٣٢ أورده الغزالي في البداية

فالتزم هذا الطريق إلى أن قال في عبارة عظيمة:

إن طريق العبودية الصادقة؛
أن الإنسان لا يصل إلى الله إلا عن طريق الذلة والإنكسار،
أما المتكبرون فليس لهم في الجنة مكان، ومكانهم في النار:

﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (الزمر).

– ولمَّا قيل له: كيف ترى الخلق؟ قال:

(به أراهم) يعني لا أراهم بنفسي بل به أراهم.

وقال: **(عرفت الله بالله، وعرفت ما دون الله بالله)** كل المعرفة بالله !

فلم ينسب لنفسه شيئًا قط

– وقال:

(رأيت رب العزة في المنام فقال لي: كل الناس يطلبون مني غير أنك تطلبني)

يعني كل الناس يطلبون مني ولا أحد يطلبني أنا إلا أنت، وقال:

(بك أدل عليك وبك أصل إليك).

– وقال في هؤلاء القوم:

(إن لله خواص من عباده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته؛
لاستغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار).

وقال: **(إن لله عبادًا لو بدت لهم الجنة بزينتها مع حجبهم عنه لضجوا منها)**

لا يريدون الجنة، فماذا يريدون؟ ... الله ﷻ.

– فماذا تكون عبادة العارفين الذين هم من أوصافهم الذلة والإنكسار؟ قال:

(عبادة العارفين حفظ أنفاسهم مع معروفهم، لأنهم تركوا في جنبه كل شيء)

يعني لا يتنفسون نَفَسًا إلا في رضاه، والنَفَس الذي يتنفس في غير رضاه يتوبون منه لأنهم يرونه غفلة، والغفلة أعظم ذنب في نظرهم أمام حضرة الله ﷻ.

– وكان مع هذا كما قلنا قبل ذلك له جانب مع الخلق، فيقول:

(أعظم الناس معرفة أشفقهم لخلق الله)

فمع الله ... تفريد الوحدانية، ومع الخلق ... الشفقة والرحمة:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ (آل عمران).

ولذلك أنا أعجب من بعض الأحبة الذي يتخذون سبيل الغلظة مع الأحباب!!

فلا يجوز ذلك، نحن في جيش رسول الله، ولسنا في الجيش النظامي للقوات المسلحة، وجيش رسول الله جيش المودة والمحبة واللين والرحمة والشفقة والعطف.

لا يجوز أبدًا أنني في الصباح مثلًا أوقظ إخواني لصلاة الفجر: قم يا فلان قم يا فلان وأرفع الغطاء الذي عليه، من الذي قال هذا الكلام؟! وفي شرع من هذا؟!.

الإمام أبو العزائم نفسه:

كان يقول: **(الصلاة الصلاة يا غِراس الجنة)** وكان إذا مرَّ على الأحباب النائمين يمشي على أطراف أصابعه حتى لا يوقظهم، وإذا صلوا الجماعة الأولى يقول في هدوء للآخرين الذين لم يقوموا رغمًا عنهم: **(الصلاة الصلاة يا غراس النار)**

لكن أرفع الغطاء من عليهم وأقول: قم يا فلان صلِّ، قم يا فلان اختم الصلاة، فهذا ليس خُلُق الإسلام ولا خُلُق العارفين ولا خُلُق النبي الأمين ﷺ.

– نحن أخلاقنا:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ
وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران)

ليس عندنا فظاظة ولا غلظة.

ولذلك سُئل ﷺ: ما أعظم علامات العارف؟ أو ما أعظم آيات وكرامات العارف؟ قال:

(أن تراه يؤاكلك ويشاربك ويمازحك ويبايعك وقلبه في ملكوت القدس)

فهذه أعظم الآيات، يتكلم معك ويضحك معك ويشرب معك ولكن أين قلبه؟

في القدس الأعلى مع الله ﷻ.

كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

إن الرجال كنوز ليس يدريها ... إلا مراد تحلى من معانيها
في الأرض أجسامهم والعرش مقعدهم ... قلوبهم صفت والله هاديها
هم الشموس لشرع المصطفى وهمو ... سفينة الوصل باسم الله مجريها

وكان يقول عن أهل هذا المقام:

(من ترك قراءة القرآن، والتشبث بالجماعات، وحضور الجنائز، وعيادة المرضى، وادَّعى هذا الشأن؛ فهو مُدَّع)

يعني لا بد من ذلك لأهل المقامات من العارفين !!! فهم أصدق الناس في كل هذه الأمور لأنهم قدوة والناس يقتدون بهم في كل أحوالهم.

معراجه

هذا الرجل كان يُعرَج به أو بروحه معراجًا معنويًا إلى السماء أكثر من مرة، وله معاريج مذكورة في كتاب مخصوص اسمه (معراج أبو يزيد البسطامي) حققه دكتور جامعي في الخمسينيات، ومن جملة هذه المعاريج يقول:

(عرج قلبي إلى السماء وطاف ورجع فقلت له: ايش جبت معك؟ قال: المحبة والرضا)

وماذا تريد بعد ذلك؟ لأن من يصل إلى هذا المقام لا يحتاج غير ذلك.

وقال في معراج آخر: **(قلت: يا رب كيف الطريق إليك؟ فقال لي: اترك نفسك وتعالى).** وقال: **(نوديت في سري فقيل لي: خزائننا مملوءة بالخدمة، فإن أردتنا فعليك بالذل والافتقار).**

وحكى بعض تلاميذه – وهذا معراج مكتوب – أنه ذات مرة صعد بعد صلاة العشاء ودخل الخلوة، وصعد خلفه تلميذ له اسمه ابن معاذ وهو لا يشعر به، فيقول: رأيته كالغريق ضاربًا بذقنه في صدره، شاخصًا بعينيه من العشاء إلى الفجر، ثم سجد عند السحر وطال سجوده ثم قعد وقال:

(اللهم طلبوا منك فأعطيتهم طي الأرض والمشي على الماء وركوب الهواء وانقلاب الأعيان، اللهم إني أعوذ بك منها)

يعني أنا لا أريد أي شيء من ذلك، لا أريد إلا الله ﷻ.

الشطح

بعض المتأخرين كما نسبوا للحلاج نسبوا للبسطامي ونسبوا لابن عربي الحكايات التي يسمونها الشطح !!

وهو الكلام البعيد عن الشريعة، ونحن لم نذكر هذا الأمر بالتفصيل ولكن يكفينا في الرد عليهم كلام الدكتور عبد الحليم محمود ﷺ حيث يقول:

ما من شك في أن بعض الناس من ديدنهم أن يفتروا على الآخرين، وأن ينسبوا إليهم افتراء ما لم يكن لهم، وهذا الفريق من الناس يجد لذة في ذلك، لأن في قلبه مرض لا يهدأ إلا بالتشنيع على الآخرين.

وربما يكون من هذا القبيل وعن هذه البواعث المرضية الكثير مما نُسب إلى أبي يزيد، فمرد المعترضين على الصالحين الأكابر.

ونذكر مثالًا واحدًا يقولون فيه أن أبو يزيد قال: (سبحاني ما أعظم شاني) فكيف يقول هذا الكلام؟ فنرجع له هو، فماذا يقول؟ قال: (قلت يومًا: سبحان الله – وسبحان يعني تنزيه الله – فناداني الخالق في سري: هل فيَّ عيبٌ تنزهني عنه؟ قلت: لا يا رب، قال: فنفسك نزِّه عن الرزائل، فأقبلتُ على نفسي بالرياضة حتى تنزهت عن الرزائل وتحلت بالفضائل، فصرتُ أقول: سبحاني ما أعظم شاني) من باب التحدث بالنعمة.

يعني هو نزه نفسه عن الصفات الخبيثة وأصبح مُحلى بالصفات الطيبة، فهم أخذوا جزء من الكلام ووقفوا عنده وقالوا: أن الرجل أشرك، حاشا لله ﷻ.

وفاته

هذا الرجل توفى سنة ٢٦١ هجرية وعمره ٧٣ سنة.

وفي وفاته ذهب المؤذن يطرق بابه ليصلي صلاة الفجر فلم يرد، فأطرق الباب فلم يرد، ففتح الباب فوجده قد غادر إلى الله ﷻ.

ولم يعلم بوفاته إلا رجل واحد كان قد زاره قبلها بيوم وهو من بلد مجاورة، فقال له: بت هذه الليلة حتى تحضر صلاة الجنازة، وهم كانوا يهابوه فلم يسأله جنازة من؟ ولم يعلم أنها جنازة هذا الرجل الشيخ أبو اليزيد البسطامي ﷺ وأرضاه.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

٧. أمير أهل الورع : إبراهيم بن أدهم

٧- أمير أهل الورع إبراهيم بن أدهم ﷺ ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
نشأته ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
بدايته ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
سياحته وأساس طريقه إلى الله..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
- الأساس الأول ..... Error! Bookmark not defined.
- الأساس الثانى ..... Error! Bookmark not defined.
ورعه ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
جهاده لنفسه ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
سخاؤه..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
عبادته ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
خدمة الناس ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
تركه ما لايعنيه..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
طريق إبراهيم بن أدهم ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
كراماته..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
نور أقواله ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.

قال إبراهيم ابن أدهم ﷺ:

(لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات:
تُغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة، تُغلق باب العز وتفتح باب الذل،
تُغلق باب الراحة وتفتح باب الجد، تُغلق باب النوم وتفتح باب السهر،
تُغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر،
تُغلق باب الأمل وتفتح باب التأهب للموت)

٧- أمير أهل الورع
إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه [٣٣]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله الذي درج أسماءنا في كشوف أهل سعادته، وجعلنا بفضله لا بعملنا من أهل قربه ومودته، ونسأله ﷻ أن يُتم علينا النعمة فيجعلنا من الناظرين إلى جمال حضرته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي اصطفاه مولاه وحباه ورقاه وأدناه، وجعله ﷺ باب القرب الوحيد لجميع خلق الله من النبيين والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين وأولياء الله أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وكل من تبعهم على هذا الهدي القرآني إلى يوم الدين، واجعلنا منهم، وأفض علينا مما أفضته عليهم أجمعين .. آمين يا رب العالمين ... جلوسنا في هذا المكان في هذا الوقت من الزمان عناية من الله ﷻ بنا قبل خلق الزمان والمكان، يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

داعي العنـايـة من أزلٍ ينـادينـا ... والمصـطفى لصراط الله يهدينا
كنا نعم أمة المختار من مُدحت ... فاقرأ أخي (كنتم) تُعطى أمانينا

يعني اقرأ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران)

الحـب مبـدأنـا والوجـه قبلتنـا ... والمصطفى قدوتي فاعلم مراقينا
كم أبكم صـــار بالقرآن مبتهجًا ... وكيف لا ورســول الله ســاقينا
كم جاهل صار بالعرفان في رتب ... أحيا رجالًا به صـــاروا محبينا

ويقول:

عناية سبقت وألستُ مشهدها ... والروح قد ألهت فيها وقد سكرت

فالحمد لله على عناية الله بنا أجمعين، والولاية عناية من الله ﷻ لأهلها .. سر قوله ﷻ في القرآن الكريم:

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (الحج)

فالحمد لله، نحن جميعًا من أهل الاصطفاء ... والرجل الذي نتحدث عنه هو أمير أهل الورع إبراهيم بن أدهم، ويبين لنا سيره وسلوكه مدى عناية الله السابقة بالأولياء.

---

٣٣ المقطم – مجمع الفائزين ٣ من جمادى الآخر ١٤٤٤هـ ٢٠٢٢/١٢/٢٨م

نشأته

كان أبوه ملكًا من ملوك خراسان .

وخراسان منطقة الآن جزء منها في إيران، وجزء في أفغانستان، وجزء في الجمهوريات الروسية كتركمانستان وغيرها، لكن في أيامهم لم تكن هذه الحدود الاستعمارية، فقد كانت الأرض كلها أرض المسلمين ويتنقَّل المسلم في الأرض حيث يشاء، لا جمارك ولا جوازات ولا هُوية ولا شيء أبدًا ...

يقطع الأرض من مشارقها إلى مغاربها ولا يُسأل من أين؟ ولا إلى أين؟.

وكان أبوه من الملوك الصالحين، حتى نعرف أيضًا أنه:

﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَلِحًا ﴾ (﴿الكهف)

فهذا أساس من أسس الأولياء والمتقين.

فكان أبوه اسمه أدهم، وكان يحج بيت الله الحرام هو وزوجته، ووُلد إبراهيم في هذه الرحلة المباركة، وأبوه من صلاحه وتقواه حمله على خِرقة وطاف به على الصالحين المجاورين لبيت الله حتى يدعون له بالبركة ويقومون برقيته والدعاء له، فكانت هذه بداية وجوده في الدنيا.

الدكتور عبد الحليم محمود رحمة الله عليه – وكان من كُمَّل الصالحين – وكان يُحضِّر الرسالة القشيرية، والرسالة القشيرية الجزء الأول منها تراجم مقتطفة وموجزة عن الصالحين، فقال: إن الإمام القشيري ﷺ بدأ في رسالته بالترجمة لإبراهيم بن أدهم والفُضيل بن عياض، لماذا؟ قال: ليفتح الباب للعصاة والمذنبين والغافلين لأنهم كانوا منهم، حتى يسارعون إلى مغفرة من ربهم وجنات ورضوان ونعيم مقيم إن شاء الله:

ملك الملوك إذا وهب لا تسألنَّ عن السبب

بدايته

خراسان تشتهر بوجود الغابات والأشجار، ومليئة بأنواع الحيوانات والطيور، وأهل هذا المكان وخاصة الأثرياء كانوا مغرمين بالخروج للصيد وهذه هوايتهم المفضلة، يخرج على فرسه ووراءه كلب صيد وبعض أتباعه، وأظنها موجودة إلى وقتنا هذا، فنسمع أن الشيوخ في الخليج العربي يذهبون إلى هذه الأماكن لهواية الصيد، بعضهم يأخذ معه الصقر وبعضهم يأخذ معه الصقر والكلب.

كذلك كان إبراهيم بن أدهم، فخرج للصيد، وأثناء تجوله لاح له أرنب بري فأخذ يجري خلفه، قيل أنه سمع صوت من سرج فرسه يقول له: **(يا إبراهيم ما لهذا خلقت ولا به أمرت)** يعني لم تُخلق لهذا اللعب وهذا اللهو، ورواية أخرى تقول أنه سمع صوتًا من أعلى يقول: **{(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا) اتق الله! وعليك بالزاد ليوم الميعاد}.**

ما هذه الأصوات التي سمعها؟

هذه الأصوات نسميها هاتف، والهاتف هو صوت من عالم الحقيقة، إما مَلَك يصدر صوته في صورة صوت إنسان، وإما ولي يخرج منه الهاتف ويُسمِعه صوته ولا يراه، وإما الصوت يكون له مباشرة من حضرة الله ﷻ.

بعض الناس يأتيهم هاتف ولكنه من عالم الجن، فلا بد أن يفرق بين الاثنين:

– هاتف الجن لا يأمر بالخير، بل يأمر بعمل يكون فيه استدراج للإنسان أو غواية للإنسان أو ضلال للإنسان.

– لكن الهاتف الذي فيه تنبيه أو فيه زجر إذا كان الإنسان مُقدم على معصية فهذا يكون هاتف من الله بأي سبيل من السبل التي ذكرناها.

حتى أن الله ﷻ وهو العلي القدير قد يُنطق بهذا الصوت أي كائن حي أو جامد ويُحَدِّث الإنسان:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الإسراء).

ماذا فعل هذا الرجل؟

هنا العناية !!!

عندما سمع الصوت نزل من على فرسه، وفي رواية أنه رجع لقصره، وخرج !!!

وكان لأبيه رعاة غنم، فذهب لراع من الرعاة وخلع ثيابه وأعطاها له ولبس ثياب الراعي، وساح في الأرض حتى يعبد الله جل في علاه.

الله ﷻ يؤيد وليه من بدايته حتى يكون هذا دليل على طلبه ﷻ له:

فأثناء مسيره وجد رجل فوق قنطرة، وسقط فجأة فناداه وهو في الهواء: قف، فوقف الرجل في الهواء لا يتحرك، حتى وصل إليه، فأخذه بيده وألقاه على القنطرة سالمًا، وما

ذاك إلا لكمال صدق توبته وعظيم حسن نيته، وهو لا يزال لم يأخذ درجة الولاية، ولم يمش في طريق الولاية، ولكن ليعلم أن له عناية عند الله ﷻ.

مشى قليلًا في الصحراء، والصحراء تكون موحشة، فقيل أنه لقي شخصًا وقال له: تعالى أُعلِّمك اسم الله الأعظم، وعلَّمه اسم الله الأعظم الخاص به الذي إذا دعاه به أجاب، وكل رجل له اسم أعظم خاص به، وقال له:

لا تدعو على أحد بينك وبينه عداوة فتهلكه في الدنيا والآخرة، واعبد ربك على تحقيق المشاهدة والمراقبة – يعني ليس للأجر ولا للثواب ولا للكرامات ولا غير ذلك – وأعلم أنه أقرب إليك من حبل الوريد.

سياحته وأساس طريقه إلى اللّه

خرج إبراهيم بن أدهم من خُراسان وساح في الأرض، وذهب إلى العراق، ولكنه لم يصف له منها شيء من الحلال .. لأنه عاهد ربه أن لا يأكل إلا من عمل يده.

كثير من الأحباب يسألني ويقول لي:

كيف الطريق إلى الله؟ فأقول له:

الطرق كثيرة وكل رجل من الأولياء له طريق، فابحث لك عن طريق من هؤلاء وامشي فيه بصدق حتى تصل إلى الغاية:

وتشـــبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشـــبه بـالرجـال فلاحُ

❖ الأساس الأول

أول شيء فعله إبراهيم بن أدهم:

أنه عاهد ربه أن لا يأكل إلا من عمل يده.

وهو كان رجلًا مرفهًا، فهو ابن ملك، ففي أي شيء يعمل؟

كان يعمل في أمرين، إما أن يحصد الزرع في موسم الحصاد، وإما أن يحرس البساتين في بلاد الشام لأهلها.

وكلا العملين عمل شاق، لكنه يريد أن يأكل اللقمة الحلال، وأساس الولاية اللقمة الحلال، وهذا الأساس الذي لا يختلف فيه أحد من السابقين ولا من اللاحقين.

٤ الأساس الثانى

الأساس الثاني الذي أخذ نفسه به الورع.

وما الورع؟

يعني ترك الشبهات، فكان لا يأكل أي شيء فيه شبهة.

وبعد ذلك سافر إلى بلاد الشام، ونزل على بلدة اسمها (المصيصة) وأيضًا لم يصف له الحلال، فذهب إلى (طرسوس) وهي ميناء على ساحل البحر ليضمن أكل الحلال، واشتغل كما قلنا في العمل الذي وضحناه.

فأخذه رجل لحراسة بستانه:

والبستان كان فيه رمان، وأحضر الرجل مجموعة من أصدقائه وأدخلهم حديقته ليأكلوا رمان، وفي بلاد الشام وإلى وقتنا هذا يسمون الحارس أو الخفير (ناطور) فقال له: يا ناطور اختر لنا رمان حلو، فذهب وأحضر رمانة شكلها جميل، ففتحها الرجل فوجدها حامضة، فقال له: هات غيرها، فوجدها حامضة، فقال له: أتحرس الرمان ولا تعرف الحلو من الحامض؟! فقال له:

أنت طلبت مني حراسة الرمان، ولم تأذن لي في الأكل من الرمان، فلم أذقُه حتى أعرف الحلو من الحامض! ..

فهذا الأساس الأول.

ذهب بعد ذلك إلى غزة في فلسطين :

وكذلك أجَّره رجل ليحرس بستان عنب، وذات يوم أخذ الرجل مجموعة من أصحابه وقال لهم: تعالوا معي لنأكل من عنب بستاني، فقال له: هات يا بني عنبًا، وأيضًا وجده حامضًا، فقال له: يا بني ألا تعرف العنب الحُلو من العنب الحامض؟ قال له: أنت طلبت مني حراسة البستان ولم تأذن لي في الأكل من العنب، فقال له: هل أنت إبراهيم بن أدهم؟! لأن سمعته قد دارت في الدول الإسلامية، فسكت، فذهب الرجل للمسجد وذكر لهم صفاته، وكانوا يعرفونه، فجاء ومعه جمع كبير، فانسحب من وسطهم حتى لا يعرفه أحد، لأنه يبغي أكل الحلال.

وبمناسبة ذلك:

سيدنا عبد الله بن المبارك إمام المحدثين في زمانه :

كان جدُّه من الأثرياء وعنده بساتين، وكان هناك حارس اسمه مبارك.

فذهب ذات يوم وطلب منه أن يأتيه بفاكهة فوجدها حامضة، فقال له: ألا تعرف الحلو من الحامض؟ قال: أنت لم تأذن لي بالأكل منه حتى أعرف الحلو من الحامض، فذهب الرجل لبيته وكان عنده بنت وحيدة جميلة ومتدينة وحافظة لكتاب الله، فقال الرجل لزوجته: ما رأيك يا فلانة أنا سأُزوج ابنتي للرجل الذي يحرس هذا البستان، لأنهم كانوا يبحثون عن الرجل الصالح.

ماذا يملك؟ وما وظيفته؟ لا يلزمه ما يملكه ولا وظيفته، فقالت له: لا مانع، فذهب إليه وقال له: أنا أريد أن أزوجك ابنتي، ولكن لا بد أن تعرف أنها عمياء وصماء وخرساء، فقال له: موافق !!

وعندما دخل بها وجدها كأنها حورية من الجنة، فقال لها: أبوك يقول أنك عمياء، قالت له: عمياء عن الحرام الذي حرَّمه الله، فقال: إنه يقول إنك صماء، قالت: لا أسمع شيئًا يبغضه الله، فقال: يقول أنك خرساء، قالت: لا أتكلم إلا بذكر الله أو بتلاوة كتاب الله، وأنجب منها ولد اسمه عبد الله بن المبارك.

فترك إبراهيم بن أدهم كل هذه النعم وساح ..

والسياحة يعني المشي في الأرض، وماذا كان غرضه من السياحة؟ كانت السياحة عنده لا بد أن تكون بنية، إما لطلب الرزق الحلال، وإما لطلب العلم، وإما من أجل التعبد، يذهب لمكان يختلي فيه بالله ويتعبد فيه، وإما ابتعادًا عن الشهرة، فكان إذا اشتهر في مكان ينتقل من هذا المكان، وإما من أجل الجهاد في سبيل الله، وكان من كمَّل المجاهدين الذين يجاهدون في سبيل الله ﷻ.

رجل من الصالحين من أهل خُراسان من مدينة (بلخ) كان اسمه شقيق البلخي يقول:

لقيت إبراهيم بن أدهم في بلاد الشام فقلت: يا إبراهيم تركت خراسان؟ فقال:

ما تهنيت بالعيش إلا في بلاد الشام، أفر بديني من شاهق إلى شاهق ومن جبل إلى جبل، يا شقيق، لم ينبل عندنا من نَبُل إلا بتحري الحلال، وألا يدخل جوفه شيء إلا من حله.

ثم قال: يا شقيق! إذا أنعم الله على الفقراء لا يسألهم يوم القيامة لا عن زكاة ولا عن حج ولا عن جهاد ولا عن صلة رحم، وإنما يسأل هؤلاء المساكين – يعني الأغنياء.

ورعه

حتى نعرف مقدار ورع هذا الرجل، كان جالسًا ذات مرة في البلد المسماه بالمصيصة ودخل رجل وسأل: أين إبراهيم بن أدهم؟ فقالوا له: هاهو، فقال له: أنا قادم من عند إخوتك، فقال له: انتظر وأخذه ومشى معه، فقال الرجل: إن أباك قد توفى وترك لك ميراثًا كبيرًا وأنا جئتك بعشرة آلاف درهم وفرس لتركبه وأنا عبد لك، وهيا لتأخذ نصيبك من الميراث، فقال له: إن كنت صادقًا فأنت حر، وهذا المال وهذا الفرس هو لك، واذهب ولا تُخبر أحدًا بأنني هنا، لأنه باع نفسه لله، والبائع لا يستطيع أن يعود في بيعته:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ ﴾ (التوبة).

كان كبير الشأن في باب الورع، وأقواله العظيمة في الورع تحتاج إلى وقفة لنأخذ منها العبرة أجمعين إذا كنا نريد أن نمشي في هذا الباب وعلى هذا المنوال، يقول:

(أطب مطعمك ولا حرج أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار)

يعني أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، ولا تحتاج لقيام الليل ولا لصيام النهار.

ويقول:

(إن الصائم القائم المصلي الحاج المعتمر الغازي من أغنى نفسه عن الناس).

وكان إذا فرغ من الحصاد أرسل بعض أصحابه فحاسب صاحب الزرع ويجيء بالدراهم لا يمسها بيده، فيقول لأصحابه: اذهبوا كلوا بها شهواتكم، يعني ما تشتهيه نفوسكم فاشتروه: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ ﴾ (الحشر).

وذات مرة كان يعمل مع أحباب له في الحصاد في شهر رمضان، فقالوا له: هيا بنا نذهب إلى مكة ونقضي العشر الأواخر هناك لنحضر ليلة القدر، فقال لهم: إذا اجتهدتم في العمل وتحرَّيتم الحلال وأنتم في هذا المكان فكل ليلة من لياليكم ليلة قدر.

فليس الأمر في السفر وغيره، كما في هذه الأيام نجد كثير من الناس في ضيق ويسعون إلى عمل عمرة، فما هذه العمرة ونحن في ضيق شديد؟! لو نعين بالمال مسكين أولى من العمرة، أو إطعام فقراء لا يجدون ما يأكلون فهذا أولى من العمرة، فهي ليست حج.

فإذا توفرت الأسباب وكانت البلاد في معيشة طيبة وحالة هانئة، أسعى لعمل عمرات، وأنا أتكلم عن رأي الشرع، لكن الهوى ليس لي به شأن، فالناس يمشون هلى هواهم.

ولأنه مشى على الورع فالله ﷻ حاسبه على ذلك حسابًا دقيقًا حتى يصل إلى بر الأمان، ذات مرة نام تحت صخرة بيت المقدس، ورأى في المنام ملائكة نزلت وقال أحدهم من هذا؟ قالوا: إبراهيم بن أدهم، فقال: هذا الذي سقط من عين الله؟ قالوا: نعم لأنه أخذ تمرتين ليستا له، وهو كان قد اشترى تمرًا من البصرة، ونزلت تمرتين من تمر البائع على تمره ولم يردهما.

فاستيقظ ومشى إلى البصرة على قدميه، واشترى من نفس البائع تمرًا، ورفع تمرتين من عنده وردهما لتمر البائع.

رجع مرة ثانية إلى بيت المقدس ونام تحت الصخرة، فرأى في المنام ملائكة وقال أحدهم: من هذا؟ قالوا: إبراهيم بن أدهم، قال: هذا الذي ردَّ له الله حاله؟ قالوا: نعم لأنه ردَّ التمرتين.

حتى نعرف أن حسنات الأبرار سيئات المقربين، يعني حساب الناس العوام غير حساب أهل اليمين، غير حساب المقربين، وهذا الحساب من الذي يحاسبه؟ أنت من تحاسب نفسك: **(حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا).**

جهاده لنفسه

كان يمشي في الجهاد، والجهاد نوعان:

- جهاد النفس والهوى.
- وجهاد أعداء الله في ميادين القتال.

وكان يقول:

(أشد الجهاد جهاد الهوى، من منع نفسه هواها؛
فقد استراح من الدنيا وبلائها، وكان محظوظًا ومعافى من أذاها)

وكان من ضمن ما يفتخر به يقول:

(وأما أهوائي فقد - والله - استعنت بالله عليها فأعانني،
واستكفيته سوء مغالبتها فكفاني،
فوالله ما آسى علي ما أقبل من الدنيا ولا ما أدبر منها).

يعني أعانه الله حتى تغلب على أهوائه، فلم يعد له هوى إلا في الله.

وهذه علامة من علامات قبول الله للعبد؛ وهذه من الاختبارات التي نختبر بها الأحبة:

إذا وجدنا الهوى لا يزال عنده – والهوى يعني الميل، يميل لفلان لأنه صاحبه، ويميل للرأي الفلاني لأنه يوافقه – فهذا لا يزال لم يستوي في طريق الله ﷻ !!!

لأن من استوى في طريق الله لا يميل إلا للحق، ولا يكون إلا مع الحق: (**دوروا مع الحق حيثما دار**) لا يميل مع هذا ولا مع هذا، قال ﷺ:

{ قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا }[٣٤]

وفي رواية أخرى:

{ وَقُلِ الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ }[٣٥]

– كسيدنا عمر رضي الله عنه عندما رأى الرجل الذي كان قد قتل أباه:

فقال له: إني أبغضك، فقال: هل تمنعني حقًا هو لي؟ قال: لا، يعني ليس معنى أني أكرهك أن أمنعك حقك، فقال الرجل: إذًا الحب والكُره من شأن النساء.

– سيدنا أبو عبيدة بن الجراح في غزوة بدر كان أبوه يحارب مع الكافرين:

فكان يهرب من أبيه، وأبوه يتعرض له، فلما وجد أنه لا فائدة خشي أن يقتله أحد من المسلمين فيكون في قلبه نحوه شيء، فقتله بنفسه واستراح.

– سيدنا أبو بكر كذلك كان ابنه عبد الرحمن في صفوف الكافرين:

فكان يلاحقه، وكلما هرب منه يلاحقه لأنه يريد أن يقتله بنفسه حتى لا يتركه لأحد من المسلمين يقتله، فربما الهوى يغيره، مع أنهم ليس عندهم هوى إلا في الله:

﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ ﴾ (المائدة).

– وكان إبراهيم بن أدهم يجاهد أيضًا في ميدان القتال، ويخرج للحروب مع المسلمين:

حتى وافته المنية في إحدى الغزوات في البحر وقُتل فيها، ونقلوه إلى البر في مدينة صيدا في لبنان ودُفن فيها، ومقامه وضريحه فيها إلى الآن.

---

٣٤ صحيح ابن حبان ومسند الشهاب عن أبي ذر رضي الله عنه

٣٥ الجزء الرابع من المشيخة البغدادية عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

سخاؤه

كان مع ذلك أكثر ما يتقرب به إلى الله سخاؤه .. سخاء فوق الحد.

فكان يمشي ذات يوم فسمع امرأة تصرخ، فسأل ماذا بها؟ قالوا: امرأة تلد، فقال لهم: والوالدة ماذا تحتاج؟ فقالوا له: تحتاج إلى دقيق وعسل وكذا وكذا، فقال لأحد رفقائه: اذهب لصاحب البستان وهات لنا منه دينارين بالأجل، وخذ دينارًا واذهب إلى السوق واشتري به طلباتها كلها، واذهب بها على الجمل وأدخلها البيت وأعطها الدينار الثاني.

وذات مرة أحد إخوانه مر به ولم يُلقِ السلام عليه، فقال لإخوانه: فلان هذا مرَّ علينا فلم يُلقِ علينا السلام، ائتوني به، فسأله: لِمَ لم تُلق علينا السلام؟ فقال: أنا مشغول، فقال له: وما يشغلك؟ فقال: زوجتي ولدت الآن وليس عندي شيء، فقال لهم: أرأيتم نحن قصَّرنا في حق أخينا هذا، اقترضوا من الرجل دينارين وهاتوا حاجاته ولا تخبروه، واذهبوا لزوجته في البيت وأدخلوا الحاجة وأعطوها الدينار، فذهب أحدهم وطرق الباب، فقالت: من؟ فقال لها: فلان، فقالت له: زوجي غير موجود، فقال لها: افتحي الباب لأُدخل ما معي، فسألته من أين هذا؟ فقال لها: من إبراهيم بن أدهم، فقالت: اللهم لا تنس هذا اليوم لإبراهيم بن أدهم.

وهؤلاء كانوا أفقر ناس في البلدة، كيف عرفهم؟

بالفراسة النورانية التي يوفق الله فيها الصالحين، أن يضع الشيء في مكانه، فلا هي مهارة ولا ذكاء ولا كياسة، ولكن توفيق من الله أن يضع المال في موضعه الذي يحبه فيه مولاه ﷻ، ولذلك كانوا يقولون:

(ما فاق إبراهيم بن أدهم أصحابه بصوم ولا صلاة، ولكن بالصدق والسخاء).

والإمام الأوزعي إمام أهل لبنان، وكان من العلماء الأجلاء ومسجده أكبر مسجد في بيروت، كان يقول:

(ليس في هؤلاء الفقراء أفضل من إبراهيم بن أدهم فإنه أسخى القوم).

ومع الفقر الذي كان فيه قالوا: **(ما كان العسل والسمن على مائدته إلا كثيرًا مبذولًا)** .. العسل والسمن كانا أندر شيء وأغلى شيء، فكان يشتريهما ليُكرم بهما الفقراء والمساكين والضيفان الذين يزورونه.

عبادته

ومع ذلك كان له عبادات:

وأول عباداته كانت ذكر الله على الدوام.

يقول أحد أصحابه: ما انتبهتُ من الليل إلا أصبت إبراهيم بن أدهم يذكر الله ويصلي، لا يمل ولا يكل عن ذكر الله ﷻ.

وسألوا خادمه: ما كانت عبادته غير الذكر؟

قال: كان يجلس يتفكَّر، وهذه عبادة الأنبياء.

فكانت عبادته الذكر والفكر والصلاة في جوف الليل والناس نيام.

وكان يستعين على ذلك بالإقلال من الطعام، ويقول:

(لا يحتمل الحلال السرف)

يعني الحلال لا يحتمل الإسراف أبدًا، ما دام سيتحرَّى الحلال، فكان يستعين على ذلك، وكان كذلك يقول:

(اتخذ الله صاحبًا، وذر الناس جانبًا)

يعني اجعل نفسك مع الله على الدوام.

خدمة الناس

الأمر الغريب مع هذه العبادات والسخاء والصدقة والتفكر والذكر ...

كان يهتمُّ بخدمة الفقراء والضعفاء.

وكان الناس يطحنون الحبوب على الرحاية، وهذه الرحاية تحتاج لمجهود، فكان بعد أن يصلي العشاء يترك أصحابه ورفاقه وينادي بأعلى صوته في الطريق: من يريد الطحن؟ فتخرج النساء والعجائز ويذهبون إليه يريدون الطحن، فيظل يطحن ولا ينام حتى ينتهي من طحين الذين جاؤوه لوجه الله، ولا يأخذ منهم أجرًا مقابل ذلك ..!!!

لنعرف أن خدمة الناس أعلى درجات التقرب إلى الله ﷻ وخاصة للنساء الضعيفات والعواجيز والفقراء والمساكين، فهؤلاء الذين يحتاجون لهذه الخدمات.

تركه ما لايعنيه

الأمر الآخر الهام في طريقه إلى الله هو تركه ما لا يعنيه، قال ﷺ:

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ }[٣٦]

ودائمًا أُكرر أن من يعمل بهذا الحديث يكون قد قطع نصف الطريق، وسهل أن نوصله للنصف الثاني؛ فمن لم يقدر على هذا الحديث ولا يستطيع ترك القيل والقال والغيبة والنميمة وكثرة الكلام فلا شأن له بطريق الله ﷻ وطريق سيد الأنام ﷺ.

قال رجل: سألتُ إبراهيم بن أدهم عما كان بين عليّ ومعاوية – وهذه الأمور التي يحب الناس الجدال فيها – فبكى، فندمتُ على سؤالي هذا، فرفع رأسه وقال:

(إن من عرف نفسه اشتغل بنفسه، ومن عرف ربه اشتغل بربه عن غيره).

يعني لا شأن لي وهذه الأمور، فما كان بين علي ومعاوية قد انتهى، فهل أعيد فيه؟ لا، لأني مشغول عن هذا الكلام، وهذا أساس في طريق الله ﷻ.

طريق إبراهيم بن أدهم

فهل عرفنا كيف كان طريق هذا الرجل؟

فلنعدُّ الأبواب التي كان يتقرب بها إلى الله ﷻ:

– الزهد أولًا في طيبات الدنيا:

لأنه زهد في الملك والمال الذي أرسلوه له وفي كل طيبات الدنيا.

– وبعد ذلك الورع.

– وبعد ذلك أن لا يأكل إلا من عمل يده.

– وبعد ذلك السخاء مع قلة ذات اليد: فلم يكن عنده شيء وكان يقترض ليسخو ويُعطي.

– وبعد ذلك دوام ذكر الله وقيام الليل والتفكر.

– وبعد ذلك خدمة الفقراء والمساكين والعواجيز.

– وبعد ذلك تركه ما لا يعنيه.

---

٣٦ جامع الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

فهل وضح الطريق؟

نعم !!

وهو طريق من بين الطرق.

وبعد ذلك يقولون:

.... ما الطريق الذي نصل به إلى الله ... ونريد أن نمشي فيه؟

ها هي الطرق !!!

..... فخذ لك طريقًا منهم !!

.... وامشِ فيه.

كراماته

وهل من يمشي في هذا الطريق يكون له كرامات؟

نعم، كرامات كثيرة، وحدِّث ولا حرج، ...

– فقد كان واقفًا ذات يوم مع بعض أصحابه على جبل في مكة فقال:

(يبلغ المؤمن من كرامته على الله أنه لو قال لجبل: تحرك، لتحرك)

فتحرك الجبل، فقال: **(ما إياك عنيت، إنما ضربتك مثلًا لأصحابي)** !!

يعني لم يلتفت للكرامة ولا مشغول بها ولا يريد أن يظهر بها.

– وسافر ذات مرة في مركب والمركب أشرفت على الغرق فخافوا، فسمعوا صوتًا في الجو يقول: أتخافون وفيكم إبراهيم بن أدهم؟

يعني كيف تخافون ومعكم هذا الرجل؟!.

– وسافر ذات مرة أخرى في المركب أيضًا لأنهم كانوا يتنقلون في البحر ... فهاج الموج وأيقنوا الغرق، فدعا بدعاء ليتنا ندعو به في أوقات الشدة .. فقال:

(يا حي حين لا حي، ويا حي قبل كل شيء، ويا حي بعد كل شيء،
يا حي يا قيوم يا محسن يا مُجْمِل قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك)

فهدأت السفينه في الحال.

– ومن العجائب التي يروونها عنه:

أنه كان ينام في أي مكان، فذات يوم كان نائمًا في بستان فوجدوا حية في فمها عود نرجس وأخذت تروّح عليه لأن اليوم كان شديد الحرارة!!!

ما هذا؟ هذه ولاية الله ﷻ.

– ويقول: رأيت في المنام مَلَكا نزل من السماء فسألته: لِم نزلت؟ قال لأكتب أسماء المحبين، فقلت له: من هم؟

قال: مالك بن دينار وثابت البناني والسخيتاني، وأناس من الصالحين، قلت: هل أنا من منهم؟ قال: لا، قلت: **اكتبهم واكتب تحتهم محب المحبين.**

قال: الساعة أمرت أن أكتبك في أولهم.

لماذا؟

للتواضع والمسكنة ...

فلا يرى نفسه ولا عنده إعجاب بنفسه ولا عنده ذرة من الكِبْر ...

وإنما التواضع الذي حضرة النبي قال فيه:

{ وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ }[٣٧]

ويقول: ذات مرة كان المطاف خاليًا، فطفتُ وقلت: يا رب أسالك الحفظ من المعاصي، فهتف بي هاتف:

(يا إبراهيم أنت تسألني الحفظ وكل عبادي يسألوني ذلك، فإذا حفظتهم من المعاصي فعلى من أتفضَّل؟!.

يعني لو حفظتهم من المعاصي فعلى من أتفضَّل بالمغفرة؟!

فلا تسأل عن مثل هذه الأشياء !!!

لكن أنت تترك الأمر لله !!!

وإذا أخطأت ارجع إلى الله.

---

٣٧ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

نور أقواله

له أقوال كثيرة اكتفينا ببعضها:

كان حول الكعبة فقال له أحد الطائفين: كيف يبلغ الرجل درجة الصالحين؟

فقال له:

(لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات:
تُغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة، تُغلق باب العز وتفتح باب الذل،
تُغلق باب الراحة وتفتح باب الجد، تُغلق باب النوم وتفتح باب السهر،
تُغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر،
تُغلق باب الأمل وتفتح باب التأهب للموت)

وكل هذا لله.

كان ماشيًا ذات يوم من الأيام في سوق البصرة، فتجمع الناس حوله وقالوا له: إنا ندعو الله ولا يستجاب الدعاء مع أنه قال: ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ ﴾ (غافر) فقال لهم:

(ماتت قلوبكم بعشرة أشياء:
عرفتم الله فلم تؤدوا حقه، وقرأتم كتابه فلم تعملوا به،
وزعمتم محبة رسوله وتركتم سُنَّته، وادَّعيتم محبة الشيطان ورافقتموه،
وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها، وقلتم نخاف من النار ووهبتم أنفسكم لها،
وقلتم الموت حق ولم تستعدوا له، واشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم،
وأكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها، ودفنتم موتاكم ولم تعتبروا،
فأنَّى يُستجاب لكم؟!).

أنا ألاحظ شيء، عندما يقول عشرة أشياء، ويأتي بالعشرة فيعرفنا أنها علوم إلهام، لأنه ليس فِكر فَكَّر فيه دقيقة أو دقيقتين، بل جاءت وراء بعضها فكلها علوم إلهام.

نسأل الله ﷻ أن ينفعنا به وبأمثاله في الدنيا والآخرة، وأن يوفقنا لسلوك هذا الطريق القويم والمنهج المستقيم، وأن يجعلنا في الدنيا من أهل عنايته، ويتوّجنا فيها بتاج ولايته، ويتوّجنا في الآخرة بتاج كرامته، ويجعلنا من المكرمين بالنظر إلى جمال حضرته.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

٠٨ سيدي محي الدين بن العربي

٨- سيدي محي الدين بن العربي ﷺ ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
نسبه ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
ولادته ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
تربيته ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
باب التفكر ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
خلوته في حب الله ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
أبو العباس العريني ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
صلته بالشيخ أبو مدين ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
أدبه مع مشايخه ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
ذهابه إلى تونس ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
الفتوحات المكية ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
في الرد على المعترضين ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
في بلاد العراق ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
زهده ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
سياحته ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
تمسكه بالشريعة ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
الطريق إلى الله ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
موقف الناس منه ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
مؤلفاته ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
آداب المريدين ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
الأدب الأول: حسن الظن ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
الأدب الثاني: الصمت ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
الأدب الثالث: الصحبة ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
الأدب الرابع : الشيخ المرشد ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
الأدب الخامس: المطعم الحلال ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
الأدب السادس: رفع الكلفة ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
الأدب السابع: محاسبة النفس ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
الأدب الثامن: مكارم الأخاق ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
خاتمته ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
محي الدين ووحدة الوجود ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
من أقواله ..... ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.

قال سيدى محى الدين بن العربى ﷺ:

(لقد كتبت ما كتبت وأنا أُقر - بحمد الله تعالى - أني لم أذكر أمرًا غير مشروع، وما خرجتُ عن الكتاب والسُنَّة في شيء، بل منهما استمددتُ، وبهما أُنير طريقي).

٨- سيدي محي الدين بن العربي رضي الله عنه [٣٨]

الإمام محي الدين بن العربي رضي الله عنه من أشهر شخصيات السادة الصوفية ..

ليس في العالم الإسلامي فقط بل في العالم أجمع ..

ويُطلق عليه الشيخ الأكبر.

ولماذا أقول في العالم أجمع؟

لأن هناك جمعيات كثيرة باسمه في أوروبا، في إيطاليا وفي فرنسا وفي ألمانيا جمعيات اسمها جمعية الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي.

يعتنوا بجمع تراثه ونشره ومساعدة من يقُوم بجمع هذا التراث ونشره والدفاع عنه.

لماذا؟

لأنهم وجدوا أن هذا الرجل له تأثير على كل فلاسفة أوروبا بدون استثناء، وكلهم أخذوا منه، بل وله تأثير أيضًا على أشهر أدباء أوروبا.

فأشهر أديب إيطالي دانتي والذي ألف (الكوميديا الإلهية)، وجدوا أن (الكوميديا الإلهية) أخذها كلها من ابن عربي، ومن الذي وجد هذا الكلام؟

هم في دراساتهم الأوروبية، لأن هذا الرجل كان طفرة في عالم التصوف.

بل طفرة عظيمة في العالم كله بما آتاه الله من العلوم والفهوم.

يكفي أن تعلم أنهم أوصلوا كتبه التي ألَّفها إلى ما يزيد عن ألف كتاب !!!

وكلها إلهامات ربانية.

الدكتور عثمان يحي أخذ الدكتوراه من فرنسا في مؤلفات ابن عربي المطبوعة والمخطوطة تحت عنوان (مؤلفات ابن عربي تاريخها وتصنيفها) .

والحمد لله قام الدكتور أحمد الطيب بترجمة الكتاب للعربية، لأن الدكتور أحمد الطيب حاصل على الدكتوراه من فرنسا ويتقن الفرنسية، وطُبع في مطابع الدار القومية للتأليف والنشر.

---

٣٨ المقطم – مجمع الفائزين ٣ من رجب ١٤٤٤هـ ٢٠٢٣/١/٢٥م

ماذا في هذا الكتاب؟

عدد مؤلفات ابن عربي وتوثيقها.

وكان بحثًا شاقًا، والبحث أكثر من سبعمائة صفحة، لأنه كان يأتي بالكتب والمواضع التي فيها الكتب، مثلًا: كتاب كذا في اسطنبول ورقمه كذا، وفي لندن كتاب كذا ورقمه كذا، وجمع الكتب ووثقها، لأن أناس كثيرون كانوا ينسبون بعض الكتب لابن عربي حتى يروجون له في السوق وهو ليس له.

محي الدين بن عربي بنفسه يقول:

ما ألفتُ هذه الكتب من نظر في كتاب، ولا رجوع إلى مرجع، وإنما إلهام ألهمنيه الله في فهم كتاب الله.

نسبه

هذا الرجل اسمه محمد بن علي الحاتمي الطائي.

من قبيلة (طيء)، ولقبه محي الدين.

وقد عُرف في الشرق بابن عربي بإسقاط أل التعريف تفريقًا بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي فهذا رجل فقيه كان موجودًا في بلاد المغرب ومشهور، ولكنهم في بلاد المغرب يسمونه: ابن العربي، وهذا لنعرف الفارق بين الاثنين.

كان جده الأعلى أخو عديّ بن حاتم الطائي.

لنعرف أيضًا أن بعض الناس غير العقلاء يقولون: أن الولاية لا تجوز أن تكون إلا فيمن ينتسب إلى الحسن أو الحسين، فما هذا الحِجر؟! لا يوجد حجر في دين الله ﷻ.

هل أبو بكر وعمر لم يأخذا الولاية؟! هل بلال وصُهيب لم يأخذا الولاية؟!

كانوا كلهم أولياء لله، والكلام الذي يقوله هؤلاء ما أنزل الله به من سلطان !!

وهذه عصبية يقول فيها خير البرية:

{ لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ }[٣٩]

٣٩ سنن أبي داود والبيهقي عن جبير بن مطعم ﷺ

فنحن كلنا أولياء الله.

قال الله تعالى:

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ ﴾ (يونس)

أليست هذه شروطهم؟! قال أيضًا:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ (٧١التوبة).

محي الدين بن عربي ينتسب إلى قبيلة (طيء) العربية.

وجده الأعلى كان أحد قادة الفتح لبلاد الأندلس ردَّها الله إلى الإسلام مرة ثانية.

وجده المباشر من أبيه كان قاضيًا من قضاة بلاد الأندلس.

وأبوه كان رجلًا فقيهًا وعالمًا وصوفيًا.

وهو يحكي بنفسه كرامات لأبيه، فيقول: أنبأني قبل وفاته بخمسة عشر يومًا أنه سيموت يوم الأربعاء الموافق كذا، وعند يوم الأربعاء قبل الظهر استدعاني وقال لي: يا محمد اليوم يتم اللقاء، فقلت يا أبت في سلامة الله، قال: لا تخبر إخوتك، فقلت: سأذهب إلى المسجد أنتظر جنازتك، وذهب إلى المسجد إلى أن جاءت الجنازة.

فهؤلاء الناس كانت أوضاعهم عجيبة وغريبة مع الله ﷻ، ..

ومع تسليمهم الكلي الظاهر والباطن لشريعة الله ﷻ.

وأمه كانت من الأنصار.

يعني الاثنان كانا من الجزيرة العربية.

ولادته

وُلد – وهذا من حسن توفيق الله – يوم السابع عشر من رمضان سنة ٥٦٠ هجرية، يعني ليلة بدر، وهي من الليالي العظيمة.

ووُلد في بلد تُسمى مرسيَّة من بلاد الأندلس، والمسلمون هم الذين أنشأوها، ... وكانت على شاطئ البحر الأبيض المتوسط.

تربيته

ظل في مرسية حتى بلغ ثمان سنوات.

ثم انتقل أبوه إلى عاصمة الإقليم أشبيلية.

فانتقل مع أبيه وأدخله الكُتَّاب ليحفظ القرآن ...

وهذا طريق الصالحين كما حكينا عن السابقين.

فحفظ القرآن بالقراءات السبع.

وأتم حفظه وعمره عشر سنين.

وكان التعليم في هذه الفترة يتم في المساجد في حلقات:

كل عالِم من العلماء تكون له حلقة يتجمَّع حوله الطلاب.

والطالب يجلس إلى أي حلقة تروقه إلى أن ينتهي من الدراسة، والأستاذ بنفسه هو الذي يعطيه الإجازة.

وهذا الأمر كان موجود إلى عصر قريب ...

فرأينا هذه الحلقات في مسجد سيدي أحمد البدوي، والمعهد الأزهري الإبتدائي كان فيه كذلك، وكل شيخ بجوار عامود وحوله الطلاب، وكان يسمونه (شيخ العامود) ولكنها كانت دراسة منتظمة، وكانت تابع لها سجلات وإدارة وغياب وحضور.

باب التفكر

درس العلوم الإسلامية من حديث وفقه وسيرة وتفسير وغيرها بقدر ..

يعني لم يتبحَّر.

وسبقت له العناية من الله ففُتح له باب التفكر ... وباب التفكر هو الباب الذي يلج منه الصالحون أجمعون، لأنه الباب الذي ولج منه الأنبياء والمرسلون ..

والتفكر لا يكون إلا بعد خُلوِّ القلب من الدنيا وشواغلها وما فيها !!!

حتى يكون تفكرًا صحيحًا ...

قال ﷺ:

{ تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ اللَّهِ }[٤٠]

لكن من يتفكَّر في الدنيا أو شواغلها أو مشاغلها !!!

فهذا يذهب في أودية الدنيا، ولا يبالي الله في أي أوديتها هلك !!!

لكنه وصل بالتفكر.

وهذا هو الجهاد الذي يقول فيه:

(جاهدتُ حتى تمكنت من حفظ خيالي حتى وأنا في المنام)

يعني وأنا في المنام لا يلعب بي الخيال ويأتي لي بشياطين أو غير ذلك !!!

فانظر إلى أي مدى وصل بالجهاد؟!

استطاع أن يتمكن من حفظ خياله في المنام كما كان يحفظه في اليقظة.

خلوته في حب الله

حدث له حالة وَلَه في حب الله وفي الإقبال على الله.

فوجد نفسه يميل إلى العُزلة عن الناس ..

ويريد أن يبعد عن الناس ويختلي برب الناس !

فمال إلى العُزلة ودخل خلوة في بدايته، وكان لم يزل في السابعة عشر عامًا، يعني لا يزال صبيًا صغيرًا.

ومع ذلك كان يتردد على الصالحين.

وكان يتميز بالتواضع الجم.

فكانت امرأة في بلدته من الصالحات قد بلغت تسعين سنة، وكان يتولى خدمتها على الدوام، حتى أنها كانت لا ترضي بأحد يخدمها سواه ...

فبماذا كان يتقرب إلى الله؟

بخدمة الصالحين.

---

٤٠ معجم الطبراني والبيهقي عن ابن عمر ﷺما

أبو العباس العريني

وأثناء وجوده في الخلوة أرسل الله ﷻ له رجلًا من الصالحين اسمه أبو العباس العريني، زاره وقال له: عليك بهذا المنهج:

(سُد الباب، واقطع الأسباب، وجالس الوهاب يكلمك من وراء حجاب)

ويعترف ابن عربي بأنه طبق هذا المنهج حتى فُتح عليه ..

هذه الحكمة لو سار الإنسان عليها سيصل إلى الله جل في علاه.

(سد الباب):

يعني سد باب الشهوات كلها كالعين والأذن واللسان واليد والرِجل وكل الجوارح.

(واقطع الأسباب):

يعني لا تعتقد أن ما تقدمه من طاعات وعبادات وقربات هو الذي سيوصلك إلى الله، فتعمل هذه الأعمال اقتداءًا برسول الله، ولا تفعلها إلا بمعونة الله وتوفيق الله، ولكن الولاية ومنحها وعطاءاتها محض هبة وفضل من الله جل في علاه.

فلا توجد عبادة في الشرع توصلك إلى مقام الكشف !!! فما العبادة التي توصلك كما يقولون لرؤية حضرة النبي؟ لا يوجد !!! لأن كل واحد من الصالحين يجتهد على حسب الباب الذي فتحه له الله ووصل به، ولكنه خاص به.

وكما قال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه:

(إن لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق)

وليس بعدد الخلائق، فليس كلهم يدخلون من طريق واحد، ولكن كل واحد له طريق مخصوص يخصصه له المليك القدوس ﷻ.

بعد ذلك ..

(جالس الوهاب يكلمك من وراء حجاب):

يعني من وراء حجاب البشرية، لأن أعظم حجاب يحجب الإنسان عن ربه حجاب البشرية، فعندما ينام ويتخلص من حجاب البشرية فإن الروح تسوح وتمشي هنا وهنا وهنا.

فإذا كانت تقية نقية تسوح في العوالم النورانية في الكرة الأرضية !!! كأن تزور أحدًا من الصالحين، أو تزور سيد الأنبياء والمرسلين ...

وإذا كانت أرقى تسوح في عالم الملكوت الأعلى، فتذهب إلى الجنة أو تذهب إلى العرش أو الكرسي أو إلى العوالم العلوية ...

لماذا؟

لأنها تخلصت من الجسم والجسم هو الحجاب.

وإذا تركته ركبت البراق مع الأحباب !!!

ووصلت إلى كنوز فضل العلي الوهاب ﷻ:

تجـذب الروح الهيـاكـل في الصـــفـا أعلى المنـازل
إن أداروا الــراح صرفًــا أســـكرت عال وســـافل

صلته بالشيخ أبو مدين

الإمام محي الدين بن عربي كان في زمن الشيخ أبو مدين ﷺ ..

والشيخ أبو مدين كان في (بجاية) وهي بلد على البحر في الجزائر.

ولم يتقابل معه ولكنه تربَّى على يد تلميذ من تلاميذ الشيخ أبو مدين، اسمه يوسف الكومي، وكان من الأتقياء الأنقياء الواصلين.

وهذا يعرفنا أيضًا أن بعض الناس يقول: لا بد أن يربيني الشيخ نفسه حتى لو انتقل إلى الدار الآخرة، لكن لو انتقل الشيخ إلى الدار الآخرة فكيف يربيك؟!

أنا أحتاج لرجل شبيه له، أو وصيٍّ له، أو وارث لأحواله، حتى يوجهني ويتابعني كما كان يوجه في حياته أبداله وأشباهه وأمثاله ﷺ.

فتربى على يد الشيخ يوسف الكومي، وهو في الخلوة أيضًا، والشيخ يوسف الكومي بدأ يكمله فقال له:

لا بد أن تتكمل وتقرأ كتب التصوف الصحيحة.

حتى يكون على علم بأحوال القوم، لأن الإنسان إذا لم يعرف الأحوال الصحيحة يُلبَّس عليه، أو يُغرر به الشيطان، أو تُضله نفسه.

أدبه مع مشايخه

وبدأ معه بالرسالة القشيرية.

فماذا كان يحكي عندما كان يتقابل مع مشايخه؟ يقول:

(كنت إذا قعدت بين يديه وبين يدي غيره من شيوخنا أرعد مثل الورقة في يوم الريح الشديدة، ويتعثَّر نطقي، وتتخدَّر جوارحي، حتى يعرف ذلك في حالي فيؤنسني ويطمع أن يباسطني فلا يزيدني ذلك إلا مهابة وإجلالًا)

التعظيم والتبجيل للشيوخ ..

قال ﷺ:

{ لَيْسَ مِن أَخْلاقِ المُؤمِن المَلَق إِلَّا فِي طَلَبِ العِلْم }[٤١]

لا بد من:

﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ (الكهف)

لم يقُل له: كيف تكلمني هكذا؟! أو أنا نبي من أولي العزم وكليم، وهو كان كذلك!!

لكنه قال له:

﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ (﴿٦٩﴾الكهف)

فشرط عليه:

﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ (﴿٧٠﴾ الكهف).

نبي الله موسى كان معه النبوة والشريعة والرسالة، فلِمَ ذهب لهذا الرجل؟

حتى يأخذ الحقيقة، ويكون جامعًا بين الشريعة والحقيقة، وفعلًا جمع بين الشريعة والحقيقة عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

وكان أيضًا محي الدين بن عربي يذهب لأحد المشايخ اسمه الشيخ صالح العدوي، وكان من أهل الجذب، وكان على قدم الشيخ أُويس القَرني، فيقول:

---

٤١ الدر المنثور

(أخبرني عن أمور تحدث لي في المستقبل،
فرأيتها كلها ما غادرت منها كلمة واحدة)

ما هذا؟

هذه الأمور من فضل الله وعطاء الله وإكرام الله لمن اجتباهم واصطفاهم واختارهم الله جل في علاه.

– إذًا بدأ أولًا بالعلم .

– بعد القرآن.

– وبعد ذلك التفكر.

– وبعد ذلك الخلوة والعُزلة عن الخلق.

نحن في زماننا ما معنى الخلوة؟

الخُلو من مجالسة الشرار، والبعد عن ما يُحدث للعبد في قلبه الأغيار وتمنع قلبه من نزول الأنوار، فهذه غير جلسات القيل والقال وفلان وفلان، وهل أحد منا عنده وقت لهذا الكلام؟! لا !!! ...

ولذلك كان المنهج له بعد ذلك في الوصول إلى الله (الصدّ) !!!

فكان لا يتحدث إلا إذا كان لحديثه ضرورة، وأكثر حديثه إلهام من الله وكان يسجله بنفسه، وهي الكتب التي ليس لها نهاية، والتي فيها أحوال غريبة وعجيبة.

ذهابه إلى تونس

ظل في بلاد الأندلس إلى أن سمع به والي تونس فطلبه وعيَّنه عنده رئيسًا للديوان، وطلب منه أن يُعلِّم ويربي أولاده، فجاء لتونس من أجل هذا الأمر.

وبعدها وكالعادة الملوك لا يحبون إلا من يجاملهم، لكن من يقُول الحق لا يعجبهم، فحدثت جفوة بينهما.

فخرج بحجة أنه ذاهب لأداء الحج إلى بيت الله الحرام وجاء لمصر وذهب إلى مكة ومكث في مكة عدة سنوات، وكان أكثر جلوسه عند الركن اليماني المقابل للحجر الأسعد، يُدرِّس للطلاب الذين جمعهم الله ﷻ عليه ويتعبد لمولاه.

الفتوحات المكية

هناك فتح الله عليه بأعظم كتبه.

بل وأعظم كتب التصوف والذي سماه (الفتوحات المكية).

فسألوه: لماذا سميته الفتوحات المكية؟

قال: لأن الله فتح عليَّ بعلومه وأنا أطوف بالبيت أو أنا بجوار البيت.

هذا الكتاب عبارة عن أربع مجلدات كبيرة، ويزيد عن ثلاثة آلاف صفحة.

ومن العجب أنه بعد أن كتبه بيده وانتهى من تأليفه:

وضع الورق على ظهر الكعبة، وظل الورق على ظهر الكعبة لمدة عام، ولم يُزل المطر كتابته ولا أحباره، ولم تحركه الرياح شمالًا أو جنوبًا أو شرقًا أو غربًا، وظل على حالته لمدة عام، وبعد ذلك قال: أذن الله في نشره.

في الرد على المعترضين

فهذا دليل على أنه كان إلهام من الله.

ولو سمعتم من يخوض فيه، فاعلم علم اليقين أنه لم يبلغ فهم ما فيه، ولم يدر العلوم الإلهية التي اختص الله بها مؤلفه، لماذا؟

لأن معظم من اعترضوا على الشيخ محي الدين وأمثاله يُحكمِّون العقل !!!

والعقل لا يتحكم في الإلهام، فالإلهام لا شأن له بالعقل.

ولذلك من الخطأ الشنيع الموجود في كل جامعات العالم أن التصوف يُدرَّس في قسم الفلسفة، والتصوف لا شأن له بالفلسفة، لأن التصوف الجانب الأساسي فيه الجانب العملي، والفلسفة ليس فيها جانب عملي.

التصوف كان يُدرَّس في فترة من الزمن في الأزهر الشريف بطريقة عملية، لأن الدراسة في الأزهر كانت في داخل الجامع الأزهر ولم يكن هناك كليات مبنية كما هو الآن، وكان الشيوخ كلهم أولياء لله ذو كشف وذو بصيرة.

فعندما تقرأ عن حياة الشيخ صالح الجعفري يحدثك عما شاهده عن الشيوخ من الكرامات في الدروس.

فمثلًا ذات مرة كان أحدهم في درس وكان في مسجد سيدنا الحسين وفجأة توقف، وبعد قليل عاد للدرس، فسألوه: لماذا توقفت؟ فقال: رأيتُ سيدنا النبي جاء ليزور سيدنا الحسين، ولا يصح أن أتكلم في حضرته، وكلهم كانوا على هذه الشاكلة إلا القليل.

فكان الطالب منهم بعد أن يُنهي الدراسة الأزهرية يدخل الخلوة.

والجامع الأزهر فيه خلوات موجودة لوقتنا هذا.

فيُدخلوه الخلوة، وكلهم مشايخ مربين ويعطون الأوراد، فيشتغل وينفذ ما درسه عمليًا، فإذا فتح الله عليه وتأكدوا من الفتح يسمحوا له بالانتقال إلى بلده لينشر ما وهبه الله من العلوم الظاهرة والباطنة.

ولذلك كانوا كلهم على هذه الشاكلة ..

كالشيخ الدردير شيخ الإسلام، لأنه كان شيخ التصوف وغيره وغيره.

فلذلك عندما يعترض الفلاسفة على هؤلاء لسببين:

السبب الأول: أنه يدرس العلوم الصوفية ويُحَكِّم فيها عقله، .... والعقل لا يعقل هذه العلوم.

السبب الثاني والمهم: أنه لا يدري ولا يستطيع أن يدري ماذا كان في أُفق هذا العالِم أو الولي وهو يكتب هذا الكلام.

فكلنا نقرأ، لكن ماذا يريد أن يقول هذا الرجل؟

لا أحد يستطيع أن يصل هذه بهذه إلا من يمشي على منهاجه، ويصل إلى مراده، وقد يصل إلى الاجتماع به باطنًا، ويقول له: أردتُ أن أقول في هذا الأمر كذا، وأردتُ أن أقول في هذا الأمر كذا، وهذه أحوال الصالحين.

والشيخ محي الدين يقول:

أسمع بالحديث فأعرضه على رسول الله ﷺ، فإذا قال لي: أنا قلته أعلم أنه حديث صحيح، وليس له شأن بباقي السند، فهل يبحث عن السند والعنعنة وهذا الكلام؟ لا !!!!، ولا يصل إلى هذه المرتبة إلا من نبغ في الناحية الروحانية، !!! ونال فضل الله ورضا خير البرية ﷺ.

في بلاد العراق

ومن عجائبه أنه بعد خروجه من مكة ذهب إلى الموصل وزار أولياء الموصل، ثم رجع إلى بغداد، وكانت سمعته دارت على البلاد لأن الناس كان عددهم محدود، وكان موسنم الحج يعتبر الموسم الأعظم لنشر الأخبار في كل الأقطار.

فاجتمع حوله جماعة كثُر من أهل بغداد وقالوا له: نريد كتابك (الفتوحات المكية) فقال لهم: أنا تركته في مكة، فأخذوا يلحُّون عليه، فأملاهم الكتاب من عقله، وبعد ذلك طابقوا الكتاب على الكتاب الذي في مكة وجدوه كما هو لم ينقص حرفًا ولم يزد حرفًا، ما هذا؟! ... هذا هو الإلهام.

بعد ذلك ذهب إلى دمشق، وأيضًا قالوا له: نريد كتاب (الفتوحات المكية) فقال لهم: أنا تركته في مكة وفي بغداد، فألحُّوا عليه، فأملاه لهم مرة ثالثة!.

وهذه حقيقة، فالدروس التي قلتها في شتَّى أنحاء البلاد منذ شبابي، أتذكَّر هذا الدرس قلته في يوم كذا وفي مكان كذا، لماذا؟ لأنها كلها دروس إلهامية من الله ﷻ!!

فما بالكم بهؤلاء العظماء الأجلاء رضوان الله عليهم؟!.

زهده

أهم ركن من الأركان التي بُنيت عليها ولايته الزهد.

كان لا يرغب في الدنيا بالكلية، مع أن الملوك كانوا يتقربون إليه في أي مكانٍ يذهب إليه، وقد قلنا أن والي تونس عيَّنه رئيسًا للديوان، ووالي دمشق تقرب إليه وطلب منه أن يأذن له بأن يكون تلميذًا له وأن يُصرِّح له بمطالعة كتبه، وكذلك والي حلب، ومع ذلك كان لا يتقرب إلى هؤلاء الولاة إلا إذا كان في شفاعة رجل فقير إلى الله ﷻ عندهم ليقضي مصالحه، لكن هو نفسه لا يريد شيء.

حتى بلغ به الأمر أن ملك الروم دعاه عندما سمع عنه، والروم كانت في تركيا حاليًا، فلما جلس معه كان ملك الروم لا يستطيع أن يمسك نفسه، وكان يرتعد مع أنه غير مسلم، فسألوه بعد ذلك: لِمَ يخاف منك الملوك؟ فقال: دعا لي رجل صالح كنت أخدمه في مكة أن يهابني الملوك فاستجاب الله دعاءه.

هذا الملك أعطاه دارًا هدية، فجاءه سائل وقال له: أعطني شيئًا لله، فقال للسائل: أنا لا أملك شيئًا غير هذه الدار، خذها لك، من الذي يصل إلى هذا المقام في الزهد؟!!.

استقر في دمشق في آخر حياته، وكانت تأتيه العطايا من الملوك ومن الوجهاء، وكان لا يدَخر شيئًا منها لنفسه، ويوزعها كلها على الفقراء والمساكين، قال ﷺ للرجل الذي سأله:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فقال ﷺ: ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ ﷻ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ }[٤٢]

ومن ضمن عجائبه وهو في حالة الجذب كان يصلي بالناس إمامًا ولا تفوته حركة من حركات الصلاة، لذلك يحكي فيقول: **(ومن فضل الله عليَّ أني في حالة الوله - يعني كنت لا أشعر - لكن الله حفظني بالشريعة) .. فلم يخرج عن الشريعة طرفة عين ولا أقل.**

لكن كان مع الزهد من العُبَّاد، والعُبَّاد في هؤلاء القوم الذين لا تغفل قلوبهم عن ذكر الله طرفة عين ولا أقل، وهذه العبادة الأكرم والأعظم.

سياحته

وإلى جانب أن البلاد كانت مفتوحة ولم يكن فيها حواجز، فكان سائحًا يسوح في بلاد الله، من الأندلس للمغرب للجزائر لتونس لمصر لمكة للعراق للموصل للشام لتركيا .. دار في البلاد كلها، فكانت السياحة أساس من أسس القوم، لأنهم كانوا يذهبون إلى الصالحين يتعرفون عليهم ويجالسونهم.

ولذلك وهو في بغداد كان هناك رجل من الصالحين الأكابر اسمه السهروردي وكان رجلًا مشهورًا، فذهب للسهروردي ومكث معه ساعة، لم يتكلم أحدهما كلمة باللسان.

فقالوا: لابن عربي: ما تقول في السهروردي؟ قال: مملوء سُنَّة من مفرقه إلى قدمه.

وقيل للسهروردي: ما تقول في ابن عربي؟ قال: بحر الحقائق وإمام العارفين، مع أنهما لم يتكلما مع بعضهما كلمة واحدة لكن الأرواح تلاقت.

تمسكه بالشريعة

هذا كان منهجه في الطريق إلى الله؛ وأهم شيء في ختام هذا المنهج تمسكه بالشريعة تمسكًا تامًا، فيقول رضي الله عنه وأرضاه حتى يعرف من يتهموه بالحلول والاتحاد هداهم الله:

(من رمى بميزان الشريعة من يده لحظةً هلك).

ويقول أيضًا:

---

٤٢ سنن ابن ماجة والحاكم في المستدرك عن سهل بن سعد رضي الله عنه

(لقد كتبت ما كتبت وأنا أُقر - بحمد الله تعالى - أني لم أذكر أمرًا غير مشروع، وما خرجتُ عن الكتاب والسُنَّة في شيء، بل منهما استمددتُ، وبهما أُنير طريقي).

ويقول أيضًا: **(لقد أجمع رجال التصوف جميعًا على أنه لا تحليل ولا تحريم بعد شريعة رسول الله وخاتم النبيين، وإنما هو فهمٌ يُعطَى في القرآن لرجال الله كما ثبت من حديث عَليّ، وفيض من العلم يهبه لمن أطاعه فأحبه فألهمه وجعل له نورًا).**

يقصد بحديث عليّ عندما قيل له:

{ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلْ عِنْدَكُمْ مِنَ الْوَحْيِ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ؟ فَقَالَ: لَا، وَالَّذِي فَلَقَ الْحِبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهْمٌ يُعْطِيهِ اللَّهُ ﷻ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ }[٤٣]

ويقول أيضًا: **(كل من قال من أهل الكشف أنه مأمور بأمر إلهي في حركاته وسكناته مخالف لأمر شرعي محمدي؛ فقد التُبس عليه، أو زجَّ بنفسه بيننا وليس منا).**

هل توجد نصوص بعد ذلك؟!

فنحن نتكلم عن الصوفيين الحقيقيين الذين هم متمسكون بشرع الله، والذين قال فيهم الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

من فارق الشرع الشريف فليس من آل العزئم فافهمن برهاني

من يفارق الشرع فليس لنا شأن به حتى ولو رأيناه يمشي في الهواء، أو رأيناه يمشي على المياه، لماذا؟ ... لأن الشيطان قد يحمله في الهواء، أو يحمله على الماء، لكن الكرامة في الاستقامة، والاستقامة خير من ألف كرامة.

الطريق إلى الله

سألوا أحد الصالحين: ما نقاط الطريق إلى الله؟

فقال لهم: **ثلاثة أمور: حق لله، وحق لخلق الله، وحق لنفسك.**

حق الله: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق الخلق: كفُّ الأذى عنهم كلهم، وصنائع المعروف معهم على قدر الاستطاعة، وحق نفسك: أن لا تسلك بها إلى الطرق إلا الطريق الذي فيه سعادتها ونجاتها، وهو طريق الفطرة :

(طريق العبادة والطاعة والرضا والمحبة).

---

٤٣ المعجم الأوسط للطبراني

هذا باختصار الطريق إلى الله ﷻ لمن أراد أن يمشي في هذا الطريق، عليه أن يقوم بما عليه من حق لله، وما عليه من حق لخلق الله، وما عليه من حق لنفسه.

حق الله أن يعبد الله ولا يشرك به شيئًا إن كان شرك ظاهر أو باطن.

وحق الخلق أن يكفُّ عنهم الأذى ويصنع معهم المعروف، وإن هم لم يصنعوا معي المعروف، فلا شأن لي بذلك لأن من يحاسب الكل الواحد الأحد ﷻ.

وحق نفسي أن لا أجعلها تُخرج نَفَسًا ليس فيه منفعة لي في الدنيا أو رفعة لي في الآخرة، فلا يوجد شيء اسمه لهو ولا لعب ولا شيء من هذا القبيل، فهي أنفاس محدودة وأيامي أنا وأنت معدودة، ولا يؤذن لنا بالمزيد.

يعني هل يطلب أحد أن يمدوا له عمره قليلًا؟ لا، فالنَفَس أغلى شيء عند الإنسان، والنَفَس الذي يتنفسه الإنسان أغلى من كل نفيس في عالم الدنيا، أغلى من الدولار ومن الريال ومن الاسترليني، وأغلى من الذهب، وهذا الذي يندم عليه أهل الجنة بعد أن يدخلوا الجنة، قال رسول الله ﷺ:

{ لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى شَيْءٍ إِلا سَاعَةً مَرَّتْ بِهِمْ، لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا }[٤٤]

موقف الناس منه

اختلف الناس في الإمام محي الدين بن عربي اختلافًا كبيرًا، فالذين لم يفهموا كلامه هم واقفون عند ظاهر الشرع، وغير قادرين على أن يدخلوا إلى عالم الحقيقة، بعضهم يتهمه بالكفر، وبعضهم يتهمه بأنه زنديق، مع أن الحكم لا يكون إلا لله ﷻ، وهل يوجد أحد منا يستطيع أن يحكم على أحد؟ لا، وهل يوجد أحد منا يستطيع أن يضمن وقت خروج روحه كيف يكون؟ لا، فحضرة النبي كان يسأل الله بعد كل صلاة:

{ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ }[٤٥]

إذًا كيف يحكمون ويلقون القول جُذافًا؟! بعضهم يقول: هذا مشرك وبعضهم يقول: هذا جاحد، وهؤلاء لم يشموا رائحة اليقين، ويعيشون مع ظاهر الشريعة وليس لهم شأن بالحقيقة التي أودعها الله ﷻ في باطن الشريعة.

وبعضهم يقول أنه من كبار الأولياء، وسموه شيخ الشيوخ، وهناك كتب كثيرة في هذا المجال عن حضرته، وبعضهم يقول:

---

٤٤ معجم الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل ﷺ

٤٥ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أنس ﷺ

هو كان رجل صالح ولا ننصح مريدينا أن يقرأوا في كتبه، وهذه نصيحة طيبة في موضعها إذا كان المريد مبتدئ فليس له شأن وهذه العلوم.

يعني على سبيل المثال عندما تقرأ في كتاب (الفتوحات المكية) تجد جزء كبير منه جدًا يتكلم عن أسرار الحروف، فمن منا يستطيع أن يصل إلى أسرار الحروف؟ لا يوجد غير أهل المكاشفة، فهذا علم من علوم المكاشفة لن يستوعبه العقل، ولا الفكر يستطيع أن يعقله، فماذا يكون؟ ليس لي شأن بهذه الجزئية، أقرأ ما أستطيع فهمه، والباقي لا أعترض عليه ولا أقف عنده حتى لا أفسره بعقلي، فيكون على غير مراد صاحب هذا الكلام، وأنا لم أبلغ هذا المقام.

مؤلفاته

مؤلفاته يقول فيها الشيخ الشيرازي الذي جمع حوالي ستمائة كتاب من مؤلفاته: (أما كتبه ومصنفاته فالبحور الزواخر التي لكثرتها وجواهرها لا يُعرف لها أول ولا آخر، وما وضع الواضعون مثلها، وإنما خصَّ الله بمعرفة قدرها أهلها، ولا غرو، فهو صاحب الولاية العُظمى والصديقية الكبرى، وإني أصفه وهو يقينًا فوق ما أصفه).

وأشهر كتبه (الفتوحات المكية) وهناك كتاب أثار جدلًا كبيرًا اسمه (فصوص الحكم) وله شروح كثيرة، ولماذا أثار الجدل؟ لأن فصوص الحكم كتاب كشفي، يقول فيه: التقت روحي بروح نبي الله آدم فسألته عن كذا فأجابني بكذا، والتقت روحي بروح نبي الله شُعيب فسألته عن كذا فأجابني بكذا، فهذا الأمر لا يستوعبه القراء العاديين؟ وهذا الذي جعل الناس لا يتريثوا في دراسة هذا الأمر.

وطبعًا كثير من الصالحين يصلون إلى هذا المقام ولكن كما قال سيدنا موسى: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (الشعراء) يعني يضيق بما فيه من الحقائق التي لا أستطيع أن أبيحها إلا لأهلها، ولكنه كان مأذونًا أن لا ينطق بشيء إلا بإذن، ولكن من الذي يعقل هذا الكلام؟ أهله.

فإذا كنت أنا لم أصل إليه بعد أن أُسلِّم لا أجادل ولا أناقش ولا أعترض، لأن الاعتراض انطراد.

ومن مؤلفاته أيضًا كتاب (لطائف الأسرار) وكتاب (محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار) وكتاب (مواقع النجوم، وكتاب (شجرة الكون) وكتاب (العبادلة) وله كتب كثيرة موجودة ومطبوعة، وهناك كتب كثيرة بعضها ضاع، وبعضها ما زال مخطوطًا ولم يُطبع.

آداب المريدين

ما الآداب التي يطالب بها محي الدين بن عربي المريدين؟ له كتاب اسمه (الوصايا) مليئ بالآداب الكثيرة جدًا، وله كتاب اسمه (الكُنه فيما لا بد للمريد منه) وكتب كثيرة كلها آداب، وأنا اختصرتها في الآتي:

الأدب الأول: حسن الظن

حسن الظن بالناس كافة وسلامة الصدر والدعاء للمسلمين بظهر الغيب وخدمة الفقراء برؤيه المنة لهم وحمل كلفهم وتحمل أذاهم وجفاهم والصبر بالله على أخلاقهم.

وهذه ركائز المريد المستقيم الذي يمشي على منهاج الكريم، فيكون عنده حسن الظن بالناس جميعًا، لأن كل ما يسبب المشاكل بين الأحباب ويسبب الصدود وأحيانًا الخصام وأحيانًا الجفاء وسوء الظن، لكن يجب أن أعمل كالصحابة الأجلاء، كما ورد ببعض الأثر ..

أن سيدنا عمر ذهب واشتكى سيدنا أبو بكر لسيدنا رسول الله، ماذا حدث؟ قال له: أبو بكر مر بي ولم يُلقي عليَّ السلام، فسأل سيدنا أبو بكر هل حدث هذا؟ قال: لا، فعلم أنه كان مشغول البال بالواحد المتعال، ولم يفطن إلى من حوله على جانبي الطريق.

وهذا وارد لنا كلنا، وليس فقط للمشغول بالله، فأحيانًا الإنسان يكون مشغول بأمر دنيوي هام ويمر على جماعة ولا ينتبه إليهم ولا يلقي عليهم السلام، لماذا فعل ذلك؟ لا بد أنه مشغول بشيء، إذا كنت أنا سليم القلب أنادي عليه: يا فلان أنت مررت بنا ولم تلق علينا السلام، فينتهي الأمر في وقته، لكن البعض يأخذ موقفًا ويقول: مرَّ علينا ولم يُلق السلام وأنا سأعامله بالمثل، فتتطور الأمور، ولذلك الإمام أبو العزائم يقول:

سُـــلّم الارتـقـا وبـاب الـتـداني حُســـن ظن بـالله في كـل شـــانِ

هناك مصيبة أكبر في هذه الجزئية، أن كثيرًا من الناس – والعياذ بالله – يسيئ ظنه بالله ﷻ، كيف؟! نزل عنده همٌّ أو غمٌّ أو مشكلة أو مصيبة، يقول: أنا أعلم أن الله لا يحبني، لو كان يحبني لما حدث هذا، وهذا اسمه الشرك الخفي وهو سوء الظن بالله، والذي يقول فيه الله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (١٠٦ يوسف) وحضرة النبي ﷺ يقول:

{ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ }[٤٦]

٤٦ معجم الطبراني عن رافع بن خديج الأنصاري رضي الله عنه

فأول شيء حسن الظن بالإخوان، ولو أن الإنسان مشى على هذا الأمر سيكون صدره سليم إلى الجميع على الدوام، يعني حتى معي أنا كثير من الأحباب المريدين يتصل بالهاتف، فيقولون له: هو يقضي مصلحة كذا، فعلى الفور يُسيئ الظن ويتخذ موقفًا مني، وماذا أفعل لك؟ هل أعطل مصالحي؟! بعض الأحباب يريد أن أرد على الهاتف فورًا إذا اتصل، وإلا تكون لا تحبه أو أنت حزين منه، لكن **(المؤمن عذري)** فنحن عندنا شواغل ومشاكل، وما المانع أن هذه الشواغل منعتنا من الرد هذه المرة؟! فاتصل مرة أخرى، فالأساس كله في طريق الله في البداية والنهاية هو حسن الظن.

سيدنا رسول الله ﷺ جاءه عمه العباس يريد الإمارة فقال: **{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ فَقَالَ: يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ نَفْسٌ تُنَجِّيهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا }**[٤٧] .... هل حزن العباس؟ لا !!!، وذهب إليه أبو ذر وقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةُ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا }[٤٨]

وهذا أيضًا مع الأحباب، يظن واحد منهم في نفسه أنه أهل للقيادة في هذا العمل مثلًا، لكنه في الحق والحقيقة لا يصلح لهذا العمل، وهل دين الله ينفع فيه الممالأة والمداراة؟ لا، وإذا فعلنا ذلك فلن نجد أحد يمشي على الطريق الصحيح، فهذه من علامات الساعة، قال ﷺ:

{ إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ }[٤٩]

فلماذا نفعل ذلك مع بعضنا؟! فيجب أن نأخذ الأمور كلها بحسن ظن، يعني هذا العمل أنا أريده وهو يراني أنني أريده، وهم دائمًا يروا أن ما أريده لا يعطوه لي، لكن يعطيني ما يريده وهذا هو المهم ... مثلًا:

من منا يأخذ ما يريده في أمر الزواج والوظيفة؟ معظمنا ينالهما بالصدفة، ومن منا يأخذ ما يريده في الإنجاب؟! تريد بنت أو ولد؟ وما شكلها؟ وما طولها؟ وما شعرها؟ وما عينيها؟ هل فينا من استُشير في هذا الأمر؟ لا أحد، هذه أمور تحتاج التسليم إلى رب البرية ﷻ ...

ومن فاز بالتسليم فاز بكمال النعيم.

---

٤٧ مصنف ابن أبي شيبة
٤٨ صحيح مسلم والحاكم في المستدرك عن أبي ذر ﷺ
٤٩ صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ

فإذا منعوك فقد منعوك لمعرفتهم أن هذا الأمر قد لا تستطيع القيام به، وهناك أمر آخر أنفع لك سيقيمونك فيه ... الذي يدخل الجيش هل يرشّح نفسه في سلاح من الأسلحة؟ لا، هل يختار سلاح الحرس الجمهوري أو المدفعية أو مشاة أو غيره؟ لا، فكيف يرشحوه؟ هم عندهم مقاييس وموازين، فإذا كان هذا في الجيوش الأرضية !!!

فما بالك في الجيوش المحمدية؟! ... فهذا يكون الأكمل والأعظم.

الأدب الثانى: الصمت

الصمت إلا عن ذكر الله، وتلاوة القرآن، أو إرشاد الضال، أو أمر بالمعروف، أونهي عن منكر، أو إصلاح بين المتهاجرين، أو تحريض على صدقة، بل على كل خير.

لو أن الإنسان ملك هذا الزمام فقد فاز وجاز.

قيل: **(من مَلَك زمامه، صار سيد زمانه)**، ولذلك دائمًا يقولون لي: كيف تعرف المريد الصادق؟ أقول: إذا كان مالكًا للسانه، فلا يُخرج منه كلمة جارحة ولا كلمة لاغية ولا كلمة لاهية ولا كلمة فارغة، لا يخرج منه إلا الكلام الذي كالعسل، من يسمعه يتذوقه بأذنه وبقلبه ويحب أن يستزيد منه لحلاوته وطلاوته، قال ﷺ:

{ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّحْلَةِ لا تَأْكُلُ إِلا طَيِّبًا، وَلا تَضَعُ إِلا طَيِّبًا }[٥٠]

قال تعالى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ (٢٤الحج)

فهذا هو الأساس كله، إذا حكمت اللسان فافرح واعلم علم اليقين أنك فورًا ستوضع في كشوف الوراثة: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ ﴾ (٣٢فاطر).

لكن لا يقدر عليه، مرة يكذب على هذا، ومرة يسب هذا، ومرة يغتاب هذا، ومرة يشتم هذا، فكيف يوضع في كشوف الوراثة؟! هل يوجد من يمسك وظيفة قيادية وعليه قضايا معلقة؟ لا !!!، لا بد أن يكون الفيش والتشبيه سليمًا وكذلك التحريات لا بد أن تكون سليمة؛ لكن لو كان عندي قضية عند فلان لأنني اغتبته !!!، وقضية عند فلان لأنني كذبت عليه !!!، وقضية عند فلان لأنني ضحكت عليه !!!، وقضية عند فلان لأنني استهزأت به !!!، فكل هذه قضايا معلقة لأنني لم أبتّ فيها، فكيف أترقى عند الله؟!

يقول سيدنا أبو بكر ﷺ: **(كنا نتعلم الصمت كما تتعلمون الكلام)** .

كان له دروس في الصمت، وقال سيدنا عمر ﷺ وأرضاه:

---

٥٠ صحيح ابن حبان والنسائي عن لقيط بن عامر ﷺ

(إنا كنا ننتقي أطايب الكلام كما تنتقون أطايب الطعام) نختار الكلام !!!، وتنقية الكلام تحتاج إلى الروية والتدبر والتفكر.

قد يكون بينك وبين خطيبتك مودة ومحبة، فتخرج منك كلمة خاطئة تعكر الصفو بينكما وتؤدي للإنفصال، لكن يجب أن لا تخرج كلمة إلا وأراجعها وأفكر وأقدر، هل بهذه الكلمة سيخرج لي شيك من مَلَك اليمين؟ فلا مانع منها، أم هل يتحرر بها محضر؟ لا أخرجها، وهذا هو الإنسان السالك الصادق في طريق الله، يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

والصمت معراج وجوعك طُهرة والصمت رفرف حضرة التواب

أعلى شيء في المعراج الرفرف .. وهو الصمت !!

، قال لقمان عليه السلام: **{ الصَّمْتُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ }**[٥١]

فمن يتكلم كثيرًا لا بد أن يخطئ، ولذلك تجد دائمًا الصالحين كلامهم حكمة، لماذا؟ لأنه قليل الكلام، يفكر ويقدر قبل أن تخرج الكلمة، ولا يتكلم وهو غاضب حتى لا تنفلت الكلمة، ولا يتكلم وهو جوعان حتى لا تنفلت الكلمة، كالقاضي تمامًا لا يحكم وهو جوعان ولا يحكم وهو غاضب، فماذا يفعل؟ لا بد أن يهدأ أولًا حتى يخرج الألفاظ الحسنة: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (٨٣البقرة).

الأدب الثالث: الصحبة

طلب أخ موافق يعينك على ما أنت بسبيله، وإياك وصُحبة الضد.

وماذا يعني هذا؟ ... أولًا: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ (١١٩ التوبة) ، ... وثانيًا: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام)

قد تظن أنك ستجلس معه لتهديه، فإذا جلست معه لتهديه قد يشدك هو معه، فمن أين تضمن هذا الامر؟!! إذا كنت قد وصلت لدرجة أنك مبعوث العناية الإلهية له؟ على بركة الله، لكن نفسك تقول لك اجلس مع هؤلاء لتهديهم، فهؤلاء قد يشدوك!! كما سمعنا عن بعض الناس الذين يدَّعون الصلاح تجده يشرب الشيشة وأحيانًا يضع فيها مُخدر، ما هذا؟! فيقول: حتى أجمع العصاة والمذنبين.

لكن هل تجمع العصاة والمذنبين بهذه الطريقة؟!

وهل سيدنا رسول الله فعل ذلك؟! ..لا ! .

---

٥١ الحاكم في المستدرك عن أنس رضي الله عنه

وتجد المريدين كلهم يشربون الشيشة والحشيش، لماذا؟ لأن الشيخ فعل ذلك، وتكلمه يقول لك لا يوجد نص في القرآن يقول أن الحشيش حرام !!!!، أرأيت ماذا يفعل إبليس مع حلفائه؟ ... فهؤلاء حلفاء إبليس والعياذ بالله.

الأدب الرابع: الشيخ المرشد

طلب شيخ مرشد والصدق من شعار المريد قبل أن تذهب للشيخ وطَّن نفسك على الصدق، فالصدق سُلَّم اليقين، تريد أن تذهب للشيخ لقضاء مصلحة أو منفعة فهذا ليس له شأن بطريق الله، فأول شيء تمرن نفسك عليه الصدق واليقين.

ولذلك أنا أعجب عندما أجد أحد الأحباب يكون معنا له زمن ويكذب عليَّ، أو يكذب على أحد الأحباب وينسب الكلام لي، وحدثت كثيرًا كأن يريد مال من فلان، فيقول له: يا فلان قلت للشيخ أن ظروفي كذا، فقال لي: اذهب لفلان وخذ منه، وأنا لا أعرف هذا الأمر!، ومتى أعرف؟ بعد خمس أو ست سنين لأنه لم يسد ما عليه، فصاحبه يسألني: فلان جاءني وقال لي: أن الشيخ قال لي اذهب لفلان وخذ منه مال ولم يسدده إلى الآن، فأقول له: لا أعرف عن هذا الأمر شيء!، فماذا يكون هذا؟ هذا طالب دنيا ولكن يتزيَّ بزي أهل الآخرة، وهذا يقول فيه رسول الله ﷺ:

{ مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ طُمِسَ وَجْهُهُ وَمُحِقَ ذِكْرُهُ وَأُثْبِتَ اسْمُهُ فِي النَّارِ }[٥٢]

فأهم شيء الصدق، قال ﷺ: **{ إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ }**[٥٣] ... يقول: أنا كان نيتي الخير ونيتي المصلحة، لكن لم يربينا مشايخنا على هذا، نيتك الخير والمصلحة فتشاور شيخك أولًا، هل أفعل كذا أم لا أفعل؟ لكن لا تكذب، لأن الكذب لا ينفع في طريق الله ﷻ حتى ولو لهو ولو مزاح لأن الناس يعرفون أننا صادقين، فنجعل صورتنا طيبة أمام العالمين أجمعين.

الأدب الخامس: المطعم الحلال

البحث عن اللقمة الحلال وهي أساس، قال ﷺ: **{ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا }**[٥٤]، فالأساس كله في الحلال، وأنت إخوانك يأتونك في بيتك، وكذلك شيخك يأتيك في بيتك، فأهم شيء تحرص عليه اللقمة الحلال، وهذه أفضل من قيام الليل وصيام النهار والجهاد في سبيل الله.

---

٥٢ معجم الطبراني عن الجارود بن العلاء رضي الله عنه

٥٣ صحيح مسلم عن شعبة بن المغيرة رضي الله عنه

٥٤ المعجم الأوسط الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

لأنك تجاهد في سبيل الحصول على اللقمة الحلال في هذا الزمن الجائر، القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر.

وما اللقمة الحلال؟ يعني إذا كنت موظفًا مثلًا أؤدي العمل الموكل به بما يرضي الله، وإذا كنت تاجرًا تعامل الله في تجارتك، وهكذا في أي أمرٍ من الأمور.

الأدب السادس: رفع الكلفة

ترفع كلفاتك عن الخلق، ولا تثقل على أحد، وتورع في كسبك كله ونطقك ونظرك في جميع حركاتك وسكناتك، ولا تتوسع في مسكن ولا ملبس ولا مأكل فإن الحلال قليل ولا يحتمل السرف.

الأدب السابع: محاسبة النفس

محاسبة نفسك ومراعاة خواطرك مع الأوقات، واستشعار الحياء مع الله بقلبك.

الأدب الثامن: مكارم الأخاق

البحث عن مكارم الأخلاق وإتيانها، ويقول: **(وعندنا في الطريق أن الرجل إذا لحق بأهل الله تعالى وبأوليائه ثم بخل فإنه يستبدل وينزل من ذلك المقام ثم يُجعل فيه كريمًا من كرماء الخلق قال الله تعالى:** ﴿ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ (٣٨محمد).٦

خاتمته

الإمام محي الدين بن عربي ﷺ وأرضاه ختم حياته في دمشق وتزوج وأنجب ولدين، وقد عمل تفسيرًا للقرآن، وتفسيره للقرآن قيل أنه مائة مجلد ولكنه ضاع.

وفي يوم الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة ٦٣٦ هجرية كان يكتب تفسيرًا للقرآن في الشام والمحابر كانت أمامه والأوراق ويكتب بيده اليمين، ولما وصل إلى قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (الكهف) وقف القلم واهتز جسمه وخرج إلى لقاء الله ﷻ، يعني وصل لتفسير نصف القرآن وهذا الجزء الصحيح الموجود الآن.

والجزء الآخر من التفسير هو كلام القاشاني، فعندما ذهب القاشاني إلى دمشق أخرج كتبًا لمحي الدين، وأخذها من كتب محي الدين وأدخل تفسيرات لمحي الدين في كتبه وعملها في أربع مجلدات وسماها تفسير ابن عربي.

ولذلك هي ليست متتالية يترك أجزاء كثيرة لأنه ناقل من هنا ومن هنا.

وظل قبره في دمشق في مكانه، وكان مهملًا لأن المتشددين تعمدوا إلقاء المخلفات فيه، وكان ﷺ عنده مكاشفات كثيرة فقد قال: **(إذا دخل السين في الشين، ظهر قبر محي الدين)** فظل القبر كذلك حتى دخل السلطان سليم العثماني الشام، وكانوا مغرمين بمحي الدين لأنهم كانوا صوفية، فسأل عن قبر محي الدين وأعاد بناءه وجهَّز مسجدًا كبيرًا حوله ومدرسة، وأظهر قبر محي الدين كما قال محي الدين ﷺ وأرضاه.

كانت له إشراقات ولكن دخل فيها كثير من الأهواء، وكتب أحداث إلهامية إلى قيام الساعة للمستقبليات، ولكن فيها أشياء صحيحة لأن لها شروح كثيرة، وأشياء لا يستطيع أحد أن يستفسرها أو يستفهمها، فالشراح على قدرهم.

وأتكلم عن الأحداث القدرية التي تحدث لآخر الزمان، وكتبها في بعض الكتب، من ضمنها أن مصر سيحكمها الخوارج في آخر الزمان، ولكن حكمهم لن يمكث إلا قدر حمل امرأة أو يزيد قليلًا، وحدث هذا كما قال الرجل، وهذه كلها إلهامات من الله ﷻ.

محي الدين ووحدة الوجود

قمة الحب الإلهي عند العارفين هي حال الفناء، فناء المحب في محبوبه فناءًا معنويًا لا يمكن تصوره، إنهم لقوم غمرهم النور الإلهي الأسنى فتعلقت أبصارهم به ورفرفت أرواحهم حوله وذهلت عقولهم من التجلي والمشاهدة فما رأوا في الوجود سواه تعالى الله.

إنهم بعين حبهم وشوقهم ليرون الله في كل شيء هو الأول والآخر والظاهر والباطن.

إن جولد تسيهر المستشرق اليهودي ومعه رجال الاستشراق هم الذين أثاروا غبار وحدة الوجود على رجال التصوف الاسلامي والحب الإلهي وجرى في أعقابهم بعض المتعالمين من كُتَّابنا الذين تعيش أفكارهم على فتات الموائد الأوروبية فيقولون: إن للتصوف الاسلامي علاقة وثيقة ببوذا والهند وإن وحدة الوجود عند متصوفة الإسلام من الصوفية البوذية ونسوا أن التصوف الإسلامي قام على كتاب الله وهدي نبيه.

يقول الشعراني في اليواقيت:

(ولعمري إن عُبَّاد الأوثان لم يتجرؤو أن يجعلوا آلهتهم عين الله بل قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فكيف يظنوا بأولياء الله أن يدعوا الاتحاد بالحق سبحانه؟ هذا محال في حقهم رضوان الله عليهم).

ويقول محي الدين في عقيدته الوسطى:

(اعلم أن الله تعالى واحد بإجماع، وقيام الواحد يتعالى أن يحل فيه شيء أو يحل هو في شيء أو يتحد بشيء)

ويقول في الباب الثالث من الفتوحات:

(اعلم أنه ليس في أحد من الله شيء ولا يجوز ذلك عليه بوجه من الوجوه)

وقال في باب الأسرار:

(لا يجوز لعارف أن يقول أنا الله ولو بلغ أقصى درجات القرب، وحاشا العارف من هذا حاشاه).

وقال في لواقح الأنوار:

(من كمال العرفان شهود عبد ورب وكل عارف نفى شهود العبد في وقت ما فليس بعارف وإنما هو في ذلك الوقت صاحب حال، وصاحب الحال سكران لا تحقيق عنده)ن ثم يقول: (لا حلول ولا اتحاد فإن القول بالحلول مرض لا يزول، ومن فصل بينك وبينه فقد أثبت عينك وعينه، ألا ترى إلى قوله (كنت سمعه الذي يسمع به) فأثبتك بإعادة الضمير إليك ليدلك عليه وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد كما أن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول).

ويقول في باب الأسرار: **(أنت أنت، وهو هو، فإياك أن تقول كما قال العاشق: أنا من أهوى ومن أهوى أنا)**

ويقول محي الدين في الباب الثاني والتسعين ومائتين من الفتوحات: **(من أعظم الأدلة على نفي الحلول والاتحاد الذي يتوهمه بعضهم أن تعلم عقلًا أن القمر ليس فيه من نور الشمس شيء وأن الشمس ما انتقلت إليه بذاتها وإنما كان القمر محلًا لها ومشرقًا بها فكذلك العبد ليس فيه من خالقه شيء ولا حل فيه)**

ويقول في لواقح الأنوار:

(لا يقدر أحد ولو ارتفعت درجات مشاهدته أن يقول: إن العالم عين الحق أو اتحد به أبدًا، ومن فهم ما أومأنا إليه فهم معنى قوله تعالى: (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) فلم يحدث بابتداعه العالم في ذاته حادث، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا)ز

ثم يأتي محي الدين بكلمة الفصل فيقول:

(وبالجملة فالقلوب به تعالى هائمة، والعقول فيه حائرة، يريد العارفون أن يفصلوه تعالى بالكلية عن العالم من شدة التنزيه فلا يقدرون، ويريدون أن يجعلوه عين العالم من شدة القرب فلا يتحقق لهم، فهم على الدوام متحيرون، فتارة يقولون: هو، وتارة يقولون: ما هو: وتارة يقولون: هو ما هو، وبذلك ظهرت عظمته تعالى).

من أقواله

١- علامة الراسخ أن يزداد تمكنًا عند سلبه لأنه مع الحق بما أحب لا مع نفسه بما يحب فمن وجد اللذة في حال المعرفة دون السلب فهو مع نفسه، غيبة وحضورًا.

٢- من صدق في شيء وتعلقت همته بحصوله كان له عاجلًا أو آجلًا فإن لم يصل إليه في الدنيا فهو له في الآخرة، ومن مات قبل الفتح رفعه إلى محل همته.

٣- العارف يعرف ببصره ما يعرفه غيره ببصيرته، ويعرف ببصيرته ما لا يدركه أحد غيره إلا نادرًا، ومع ذلك فلا يأمن على نفسه من نفسه، فكيف يأمن على نفسه من مقدور ربه؟! هذا مما قطع الظهور (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون).

٤- من صح له قدم في التوحيد انتفت عنه الدعاوى من نحو رياء وإعجاب فإنه يجد جميع الصفات المحمودة لله لا له، والعبد لا يعجب بعمل غيره ولا بمتاع غيره.

٥- من ملكته نفسه عُذِّب بنار التدبير، ومن مَلَّكها لله عُذِّب بنار الاختيار، ومن عجز عن العجز أذاقه الله حلاوة الإيمان ولم يبق عنده حجاب.

٦- من علامة فقد النفس في حق المريد عدم شهوته لشيء من أمر الدارين.

٧- حسن الأدب في الظاهر آية حسنه في الباطن فإياك وسوء الظن.

٨- معنى الفتح عندهم كشف حجاب النفس أو القلب أو الروح أو السر لما في الكتاب والسُنَّة.

٩- من لم يقم بقلبه تصديق ما يسمعه من كلام القوم فلا يجالسهم، فإن مجالستهم بغير تصديق سم قاتل.

١٠- ربما فهم أحدهم من اللفظ ضد ما قصده المتكلم.

١١- الصوفي من أسقط الياءات الثلاثة، فلا يقول: لي ولا عندي ولا متاعي، أي لا يصنف لنفسه شيء.

١٢- شرط الشيخ أن يكون عنده جميع ما يحتاجه المريد في التربية، لا ظهور كرامة ولا كشف باطن المريد.

نسأل الله ﷻ أن ينفعنا به وينفعنا بالصالحين أجمعين.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

٠٩ سيدي جلال الدين الرومي

٩- سيدي جلال الدين الرومي ﷺ ١٤٤
نسبه وموطنه ١٤٤
أبوه: بهاء الدين ولد ١٤٥
نجم الدين والمغول ١٤٦
في الأناضول ١٤٧
في قونية ١٤٧
مع برهان الدين محقق الترمذي ١٤٨
سياحته للتزود بالعلم ١٤٩
مع شمس الدين التبريزي ١٤٩
حالة الوله ١٥٠
مع شمس الدين مرة أخرى ١٥١
الرفيق في الطريق ١٥٣
مع حسام الدين جلبي والمثنوي ١٥٣
وفاته ١٥٤
جهاده لنفسه ١٥٥
ميله إلى السماع ١٥٦
منهجه ١٥٧
الطريقة المولوية ١٥٨

من منهج سيدى جلال الدين الرومى:

(التصوف كله أدب، لكل وقت أدب، ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب، فمن يلزم الأدب يبلغ مبلغ الرجال، ومن حرم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يرجو القبول.)

٩- سيدي جلال الدين الرومي رضي الله عنه [٥٥]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي أنعم علينا بولايته، وتوَّجنا في الدنيا بتاج كرامته، ونسأله ﷻ أن يتوِّجنا في الآخرة بتاج محبوبيته، وأن يجعلنا في جوار حبيبه ومصطفاه، ناظرين إلى حضرته على منابر من نور قدام عرش الله، وأن نكون من أهل جواره في جنة النعيم أجمعين، اللهم صل وسلم وبارك على شمس الأنوار القدسية، وتاج البها لجميع الصالحين من البدء إلى النهايات، سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من اهتدى به إلى يوم الدين، آمين يا رب العالمين.

نتحدث عن وليٍّ ذاعت شهرته في العالم كله، وذيوع الشهرة في البداية لا يكون لما كتب وألَّف ولا لكثرة المريدين وإنما لنقاء القلب وصفائه عند رب العالمين ﷻ.

هذا الرجل اشتهر باسم جلال الدين الرومي، نأخذ قبسًا من سيرته على قدرنا، وسنركِّز على جهاده لنفسه لعلنا نقتدي به، والمنهج الذي وضعه لمريديه لنقيس أحوالنا به، وننظر كيف كان هؤلاء القوم يربون مريديهم؟ لأننا معنا مريدين كثيرين ويلومونا، يقول أحدهم: أنا معكم منذ سنين ولم أر ولم أشاهد شيئًا مما أسمعه من الصالحين ومن أتباع الصالحين، وما ذنبنا؟ هل مشيت على النهج ولم تر؟! الإمام أبو العزائم يقول:

أروني فتىً ذكر الإله مصـدقًا ولم يرَ نور الله في كل وجهة

أروني مريد صدق مع الله ولم تلُح له أنوار الله، لكننا دأبنا أن نجعل العيب في شيوخنا – حاشا لله – ولا نعيب أنفسنا، بل بعضنا يشتدُّ ويشمئز وينفر إذا ذكَّرته ولو من بعيد بعيوب نفسه، يريد أن يظهر بلا عيوب، فلِمَ أتيت إلى العيادة؟ هل يوجد أحد سليم ويذهب للعيادة؟ لا، فمن الذي يذهب للعيادة؟ المريض، لماذا؟ يطلب الاستشفاء، فإذا جئنا كلنا بهذه الشاكلة يصح حالنا إن شاء الله رب العالمين.

نسبه وموطنه

اسمه محمد بن حسين بهاء الدين، وجلال الدين لقب أُطلق عليه، وُلد في الثالث من ربيع الأول سنة ٦٠٤ هجرية في مدينة اسمها بلخ، ومدينة بلخ هذه في أفغانستان الآن.

والحقيقة ليت إخواننا الذين يسجلون رسالات ماجستير ودكتوراة يعملون رسالات في منطقة بلخ وشمال إيران والجمهوريات الإسلامية الروسية، هذه المناطق خرجَّت فحول الأولياء، فلا أشعار صوفية بعد أشعار الإمام أبو العزائم كانت في قوة شعر هؤلاء الأبطال الذين لهم في طريق الله مجال.

---

٥٥ المقطم – مجمع الفائزين ٢٦ من رجب ١٤٤٤هـ ٢٠٢٣/٢/١٧م

وقد ذكرنا منهم في أحاديثنا الماضية الإمام أبو اليزيد البسطامي، والإمام القُشيري، والإمام إبراهيم بن أدهم، فهم من هذه البلاد، وكأنهم انطبق عليهم حديث الحبيب ﷺ:

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ مَنُوطًا بِالثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسَ }[٥٦]

فهذه المناطق كلها كان اسمها بلاد فارس، ولم يكن هناك حدود بين البلاد، وهذه الحدود وضعها أهل أوروبا قاتلهم الله، وهم الذين يضعون المكائد في العالم الآن ليستغلوا خيرات العباد وهذه البلاد، لأن بلادهم قافرة ليس فيها خيرات، فمن أين يأخذوا هذه الخيرات؟ من عندنا.

أبوه: بهاء الدين ولد

كان أبوه من كبار العلماء – النشأة الصالحة هي المهمة – وله حديث عذب في جذب الناس إلى الله، وأيضًا كان شيخًا صوفيًا ينتسب إلى الطريقة الكوبروية لأنه التقى بشيخ الطريقة في زمانه وتربى على يديه.

كان اسمه بهاء الدين ولد، ويلقبونه في المنطقة هناك بسلطان العلماء لكثرة علمه وزهده وحكمته في التعامل مع الناس أجمعين، ولما وُلد ابنه محمد تفرَّس فيه وعلم بالفراسة النورانية أنه سيكون له شأن، فأطلق عليه لقب (مولانا)، ومولانا يعني سيدنا مع أنه كان لا يزال طفلًا صغيرًا!.

وكان يأخذه معه إلى الرحلات، حتى أنه حدثت معه نادرة عندما أخذه معه لزيارة دمشق، والتقى هناك بسيدي محي الدين بن العربي وكان في زمانه، وأثناء مشيه كان ابنه يمشي وراءه، وإذا بابن عربي عندما يراهما يصرخ ويقول: (بحر محيط يمشي وراء نهر)، سبحان الله! أين كان هذا البحر المحيط؟! لكنها عيون كشفية نورانية أعطاها لهم الله ﷻ.

وهم ينتسبون في الأصل إلى سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه من حيث النسب، والناس المنتسبين في تلك الأيام كانوا يبعدون عن الخلافة الأموية والخلافة العباسية ويذهبون للأطراف، لأن حكام هذه البلاد كانوا يضطهدونهم، لأنهم كانوا يسمونهم الأشراف ويخافون أن ينتزعوا الحكم منهم، فكانوا يفرون بأنفسهم.

وقد تلاحظون أن البلد الوحيدة التي فيها حكم آل البيت إلى الآن هي المغرب، هاجر إليها من ذرية الإمام الحسن رجل اسمه إدريس الأكبر وأقام فيها الدولة الإدريسية والتي هم من سلالتها وموجودة إلى الآن ويسمون قائدهم أمير المؤمنين، وكل من يسلم عليه إن كان وزيرًا أو كبيرًا أو صغيرًا لا بد أن يقبل يده لأنه من آل البيت.

---

٥٦ سنن الترمذي والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

وأيضًا كثيرًا من الأولياء عندنا في مصر كسيدي أحمد البدوي وسيدي أبو الحسن الشاذلي وسيدي عبد الرحيم القنائي وغيرهم جاءوا من المغرب فقد هاجر أهليهم في البداية إلى بلاد المغرب بعيدًا عن الدولة الأموية التي كانت تحارب آل البيت، وبعد أن استقرت الأحوال بعضهم كان يرجع بأمر الواحد المتعالي ﷻ.

نجم الدين والمغول

انتسب أبوه إلى الشيخ نجم الدين الكوبري، وهذا كان إمام من أئمة الصالحين، والتف حوله عدد كبير من المريدين في نفس المنطقة، وكان من صدقه مع ربه ظهر في هذه الفترة المغول، ودائمًا الأحداث لا تأتي إلا من حاكم جهول.

فالمغول كانوا في حلب، وكان في هذه المنطقة دولة اسمها الدولة السلجوقية، وكان الحاكم اسمه جلال الدين، فقال له ملك المغول: نعمل معاهدة مع بعضنا ونتبادل التجارة، فقال له: موافق، فأرسل ملك المغول نفر من التجار ومعهم رسل ليبدأوا في التجارة، وهنا حضر الجهل، فقتلهم الحاكم أجمعين!!، وهذا سبب نكبة الإسلام والمسلمين فهذا الذي جلب المغول إلى أرض المسلمين، والمغول كانوا عُبَّاد أوثان، لكنهم كانوا أقوياء الأجسام، ويجيدون الرماية ويجيدون الضرب بالسيف لأنهم نشأوا في جبال منغوليا وغرب الصين الآن وأفغانستان، وكانوا جبابرة، والإنسان لا يوجد في قلبه رحمة إلا إذا مسَّ قلبه الإيمان.

لماذا أهل الغرب ليس عندهم رحمة بنا الآن؟ لعدم وجود الإيمان، قال ﷺ:

{ لا تُنزَعُ الرَّحْمَة إلَّا مِن شَقيٍّ }[٥٧]

ففاقدي الرحمة هم هؤلاء، ولذلك تجدهم جبارين في كل أحوالهم، وكان هذا حال المغول، فأصَّر الشيخ نجم الدين أن لا يهاجر من بلدته، وأن يقاتل المغول، واستبسل في القتال حتى قتل على أيديهم شهيدًا، حتى لا يقال أن الصوفية سلبيين وليس لهم شأن بالجهاد، فهذا هو الجهاد، وكان يعلم أنه سيموت لأنه ليس معه قوة تحميه من بطش هؤلاء الجبارين، ولكنه مات شهيدًا.

لكن الشيخ سلطان والد جلال الدين الرومي كان رجلًا حكيمًا كما قلت وعالمًا، علَّم ابنه كالمعتاد القرآن الكريم، وبدأ يدرس له علوم الدين، وعندما شعر أن المغول قادمون واقتربوا من مدينة بلخ، ترك المدينة وأخذ أولاده وهاجر إلى مدينة نيسابور، وهي شمال بلاد فارس الآن، وبقي فيها.

---

٥٧ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه

وفي نيسابور هناك التقى برجل من كبار الصوفية اسمه فريد الدين العطار، وهذا من أشهر شعراء الصوفية في العالم كله، فتقابل سيدي جلال الدين الرومي ووالده مع الشيخ فريد الدين العطار، وورد أنه أهداه نسخة من منظومته الشعرية اسمها بالفارسية (أسرار نامة) وهي موجودة ومترجمة بالعربية.

في الأناضول

ولما اقترب المغول من نيسابور هاجر مرة ثانية جلال الدين الرومي وأبوه إلى بلد أخرى اسمها (قُرَّة مان) في بلاد الأناضول في آسيا الآن في شرق تركيا، ومكثوا فيها فترة، وتوفت أمّه في هذه البلد ودفنت فيها، وهو كان قد بلغ سن الرشد، فتزوج من امرأة من أصول طيبة وأنجب منها ولد وسماه (سلطان ولد) كان هذا الولد هو خليفته في الطريق بعد ذلك.

بعد ذلك أخذ والده الأسرة وذهب إلى حج بيت الله الحرام، ورجع مرة ثانية إلى نفس البلدة، وفي هذا الوقت كان أمير هذه المنطقة رجل اسمه موسى، فكان هذا الأمير يحب العلماء حبًا جمًا، وكان يطلب منهم أن يكونوا حوله ليتعلم منهم ويستفيد منهم، لأن العلماء كان لهم حُظوة عظيمة في هذا الوقت، وكان الناس في هذا الزمن يقدسون العلماء.

فلما جاء إلى قُرة مان طلب من والد جلال الدين الرومي أن ينتقل إلى قونية وبنى له مدرسة وكلَّفه بالتدريس فيها، وكانت مدرسة شرعية تُعلِّم القرآن والفقه والتفسير واللغة العربية وأحكام الدين كلها، فكان يشرف على المدرسة ويستعين بمن يختارهم ليعاونوه في هذه المدرسة.

فعاش في هذه البلدة، وأكرمه الله وألَّف كتابًا سماه (المعارف) يحوي علومًا صوفية مع علوم شرعية فيها روح صوفية، يعني أبوه كان له الفضل عليه ﷺ، وأشرف على ابنه مع التربية الشرعية في التربية الصوفية.

في قونية

بعد سنتين في قُونية تُوفي أبوه، وكُلِّف جلال الدين من جهة أمير الدولة أن يقوم بالإشراف على المدرسة، كان عدد طلاب المدرسة في عهده حوالي أربعمائة طالب، وكانت المدارس الإسلامية في هذا الزمان تتكفل بها الدولة، وكل ما يحتاجه الطلاب من سكن وإعاشة وكتب وأوراق وكل ما يلزمهم تكفله المدرسة، والدولة تصرف راتبًا سنويًا أو شهريًا للمدرسين الذين يدرسون، فيكون التعليم مجاني على حساب الدولة، هذا كان التعليم في كل الأصقاع الإسلامية.

فهذا كان عصر إنشاء المدارس، أولها المدرسة التي أنشأها نظام الملك في بغداد والتي كان يشرف عليها الإمام الغزالي في فترة من الفترات، وتفرعت المدارس في البلاد، فكانت مدارس كثيرة.

وهذه مدرسة قونية كان يشرف عليها جلال الدين الرومي، وحدث في ذاك الوقت أن تعرضت بلاد الشام إلى حملات المغول، فهاجر كثير من طلاب سيدي محي الدين بن العربي والعلماء إلى مدينة قونية، فكانت هي الأمان للعلماء في هذا الوقت ومدينة قونية شمال شرق تركيا، والأجواء في هذه البلاد شديدة البرودة في أغلب فصول العام.

مع برهان الدين محقق الترمذي

لاحظ جلال الدين أنه لم يستكمل بناءه الروحي، مع أنه عالم جليل في الشريعة، وعالم جليل في الفقه، وعالم جليل في القراءات، لكن لم يستكمل بناءه الروحي، فجاءه تلميذ مخلص من تلاميذ أبيه تربى على يد أبيه اسمه برهان الدين محقق الترمذي، وأراد أن يرد الجميل لأبيه بأن يُكمل تربية جلال الدين الروحية.

كيف يكمل بناءه الروحي؟ كان المتعارف عليه بين الصوفية في هذا الزمان أنهم كانوا دائمًا يعملون بالحديث الذي يقول فيه سيد ولد عدنان ﷺ:

{ مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا إِلَّا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ}[٥٨]

فيُدخلوه الخلوة، والخلوة مكان خاص به بعد أن يتفقه ويحفظ القرآن ويعرفوه آداب الخلوة ويلقنوه الأذكار التي تهيم روحه وتصفي قلبه وتُهيؤه لقبول الأنوار وتلقي الأسرار من الله الواحد القهار.

إذا لم تُحقق الخلوة الأولى الغرض يدخلوه خلوة ثانية وثالثة إلى أن يتم بناءه الروحي، كيف يكون بناءه الروحي؟ يعني يكون قد وصل واتصل إلى حضرة الحبيب المصطفى ﷺ.

فأعطاه عدة دورات نسميها (الدورات الأربعينية) يأخذ وقت منها في التأمل كما كان حضرة المصطفى يعمل، ووقت في العبادة، ووقت في تلاوة القرآن، ووقت في الأذكار، وشيخه لاحظ أنه في حاجة إلى استكمال بعض العلوم، فقال له: أنا أريد أن تذهب في رحلة إلى حلب وإلى دمشق – وكانت مراكز علمية عظيمة في هذا الزمان – تتلقى من علمائها علومهم، حتى إذا دخلت الخلوة تدخل وأنت على يقين.

---

٥٨ مصنف ابن أبي شيبة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

فالخلوة لا يصلح أن يدخلها أحد وهو جاهل، لأن بعض الجهال حاليًا يضحك على الناس ويدَّعي فيعمل له كوخ في جبل أو يحفر لنفسه مكان في جبل، ويقول: جاءني أمر أن أدخل الخلوة، ويمكث شهر أو غيره، والناس عندنا طيبين، فبمجرد أن يمكث ثلاثين أو أربعين يومًا يقولون: فتح الله عليه لأنه دخل بالأمر وخرج بالأمر فأصبح شيخًا كبيرًا.

سياحته للتزود بالعلم

قبل أن يدخل الخلوة ماذا كان؟ هل كان عالمًا أم ماذا؟

فنحن نريد العالِم العامل، وهذا مطلوب للسالكين الصادقين في طريق الله ﷻ.

فذهب الشيخ جلال الدين الرومي في شبابه إلى دمشق والتقى بسيدي محي الدين بن عربي ومكث معه فترة، وذهب إلى حلب، كم مكث في هذه الرحلة؟ سبع سنين في طلب العلم، وطبعًا طلب العلم لم يكن فيه أي إشكال لأن المدارس العلمية كانت مهيأة لأي إنسان يدخلها، فيكون له إقامة وله معيشة وله الكتب التي يحتاجها وكل شيء مطلوب، فلا يحتاج إلى أموال ولا غيره، فبمجرد أن يصل يجد كل شيء موجود.

فمكث في هذه الرحلة سبع سنين، ورجع مرة ثانية إلى قُونية، وبعد رجوعه بفترة بسيطة عَلِم الشيخ برهان الدين بعلم الله له أن أجله قد اقترب فخرج من قونية وذهب إلى بلدته (قيصرية) وهناك فاضت روحه إلى بارئها ﷻ، فذهب الشيخ جلال وحضر جنازته وأتى بكتبه التي كان قد أوصى بها له، وعاد مرة ثانية إلى قُونية.

مع شمس الدين التبريزي

ولكنه كان لا يزال لم يستكمل بناءه الروحي، فدائمًا طالب الله يلهث ولا يشبع من المعارف والعلوم التي تقربه إلى مولاه، فرجع يُدرِّس في المدرسة مرة ثانية، وكان له جاه عظيم وهيمنة في هذا البلد حتى عند أمير البلد وعند الوجهاء، ولكنه مشغول بالله، يعني ذات مرة اعتذر له الأمير عن الحضور، فقال: (لا داعي إلى الاعتذار فالغيبة أحب إليّ من الحضور) فانظر إلى الزهد في المناصب وذوي الجاه لأنه يريد الله ﷻ.

كان يذهب من مدرسته إلى بيته سواء في الذهاب أو في الإياب في موكب راكبًا فرسًا وحوله طلاب العلم، وكان العلماء في هذا الزمان على هذه الشاكلة، والمواكب كانت كبيرة.

كان هناك رجل درويش اسمه شمس الدين التبريزي، وهو رجل درويش عادي، ولكن له جاه ومكانة عند مولاه، وله كشف عال تفضل به عليه الله ﷻ.

وكلمة درويش باللغة الفارسية يعني فقير، فالسالك في طريق الله في الصوفية يسمونه درويش، ودرويش يعني فقير إلى الله ﷻ، وإن كان بعض السادة الصوفية عندنا يأخذون الإشارات في كل العبارات، فيقول: درويش يعني دار وشُّه – وجهه – إلى الله ﷻ وظهره للخلق، لكن المعنى اللغوي درويش يعني فقير.

الشيخ جلال الدين كان ذات يوم راكب الفرس في موكبه وحوله جموع رهيبة من الطلاب، فرآه الشيخ شمس الدين التبريزي فقال له: انتظر فأنا أريد أن أسألك سؤالًا، ما المقصود من الرياضات والعلوم؟ قال: الاطلاع على آداب الشرع، قال له: لا، المقصد من الرياضات والعلوم الوصول إلى حضرة المعلوم، ثم قال له قول الحكيم السنائي الشاعر الفارسي المشهور: **(إذا لم يجردك العلم من نفسك، فالجهل خير منه).**

تحير جلال الدين وكأن السهم قد أصاب قلبه، فرجع معه ودخل معه حجرة وجلسا مع بعضهما وترك المجلس والتدريس والطلاب، هناك رواية تقول: جلسا معًاأربعين يومًا، ورواية أخرى تقول: ستة أشهر.

الطلاب في الخارج لا يعرفون الأمر، وهذا الرجل جاءه ليرقيه ويصل به إلى الرتبة التي يريد الله أن يقيمه فيها، وهو مكلَّف لكن هؤلاء لا يعرفون شيئًا، فقد جاءوا ليتعلموا الشريعة والقرآن والفقه وهذه العلوم، وفي النهاية دبروا مكيدة ليقتلوا الشيخ شمس الدين، والشيخ شمس الدين ألهمه الله فمشى من البلد وذهب إلى بلاد الشام.

حالة الوله

الطلاب ظنوا أن الشيخ جلال الدين سيرجع ويدرس لهم، لكنه لم يسأل وظل كما هو، ومال إلى العُزلة والخلوة، وانقطع عنهم وعن الخلق جميعًا شغلًا بمولاه ﷻ، وحدث له حالة الوله، والوله يشبه الجنون، ولكن جنون في الله.

كسيدي أحمد البدوي رضي الله عنه وأرضاه عندما اشتكاه بعض العلماء إلى الظاهر بيبرس، وقالوا: هذا رجل مجنون وحوله مجموع من المجانين، وقال البعض: هو جاسوس فاطمي جاء ليتجسَّس للشيعة لأنه كان قادمًا من المغرب ومن آل البيت، فحوَّل الشكوى إلى قاضي القضاة والعلماء وكان القاضي اسمه ابن دقيق العيد، فقالوا: ماذا نفعل؟ قالوا: نمتحنه لننظر هل هو عالم أم لا؟ فاختاروا عشرة أسئلة في التوحيد، لأن التوحيد هو الذي يبين صحة عقيدة الإنسان، وكان هناك كتاب مشهور في العقيدة اسمه (الشجرة) وأخذوا هذه الأسئلة منه، فمن الذي يذهب إليه؟ اتفقوا على أن يذهب الشيخ عبد العزيز الدريني.

وسيدي أحمد البدوي كانت تحدث له حالة الوله، ... وما الوله؟

تُفاض التجليات على باطنه حتى أنه من شدة التجليات يغيب عن ظاهره، فكان أحيانًا يقف أربعين يومًا ينظر إلى السماء لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، وهل هذه حالة يستطيع أحد أن يعملها من نفسه؟ لا، إلا إذا أُخذ.

فكان سيدي أحمد البدوي واقفًا وهو في حالة الوله والتلاميذ من حوله، وجاء الشيخ عبد العزيز الدريني ووضع في كمه كتاب الشجرة، ووقف على السلم ساعة، وأنتظر أن يجلس ليكلمه فلم يتحرك، فقال في نفسه: أنا سأكتب في التقرير أنه رجل مجنون وحوله جماعة من المجانين، وإذا بسيدي أحمد البدوي يلتفت إليه ويقول:

مجـانـين لـكـن سر جـنـونـهـم غريب على أعتابه يسجد العقل

يا عبد العزيز جئت تمتحني وفي كمك كتاب الشجرة؟ أما السؤال الأول فإجابته كذا، وأما السؤال الثاني فإجابته كذا حتى أجاب الأسئلة كلها، فلما ذهب وحكى لهم أصَّر ابن دقيق العيد أن يأتيه ويأخذ القبضة منه والبيعة، ويكون من كبار تلاميذه.

هذه الحالة التي نسميها حالة الولَه، وهي أن يكون الإنسان في حضرة التجليات الإلهية القلبية التي تجعله لا يشعر بالمشاعر البشرية التي فينا، وإن كان الله يتولاه، فليس معنى هذا أنك تستطيع أن تعمل معه شيئًا، لا، فهو في حصون الله وفي رعاية الله ﷻ.

لما وجد الطلاب أنه لا فائدة من خروج الشيخ جلال الدين لهم أرسلوا ابنه (سلطان ولد) ولكن بلا فائدة.

مع شمس الدين مرة أخرى

في هذا الوقت جاءته رسالة من شمس الدين التبريزي أنه في بلاد الشام ففرح، وأرسل له ابنه وقال له: لا تأتي إلا وهو معك، وأعطاه خطاب يعتذر فيه عن كل ما حدث وأنه في حاجة إليه لأنه يريد أن يصل إلى بغية نفسه ورضاء قلبه، فذهب ابنه ورجع معه شمس الدين التبريزي، وأيضًا بدأ يختلي به، ولماذا يختلي به؟

لأن الأسرار التي يبثها فيه لا يتحملها أي قلب من قلوب تلاميذه ومريديه، وهذا حال العارفين كلهم .... سيدنا رسول الله ﷺ كان معه نفر من أصحابه، فقال لهم:

{ هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ؟ فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَمَرَ بِغَلْقِ الْبَابِ }[٥٩]

٥٩ مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن شداد بن أوس ﷺ

وأخذ يحدثهم بحديث خاص، لماذا؟ لأن الغريب لن يعقل هذه الأحاديث، وذات مرة قال لهم:

{ هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِكُمْ؟ قَالُوا: لَا، إِلَّا ابْنُ أُخْتٍ لَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ }[٦٠]

سيدنا الإمام الجنيد سيد الطائفة كان يُدخل خلوته عددًا لا يزيد عن إحدى عشر، ويغلق الباب بالمفتاح ويضع المفتاح تحت فخذه حتى لا يفتحه غيره، لماذا؟ لأنها أسرار علية:

علمنا فوق العقول مكانةً ... كيف ذا وهو الغيب الصُراح
خَصَّنا بالفضل فيه ربنا ... ذاك سرٌ غامضٌ كيف يُباح
احفظن سري فسري لا يُباح ... من يبُح بالسر بعد العلم طاح

لأن هذه علوم فوق العقول، والإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه اقتداءًا بسيدنا رسول الله كان يُدخل معه الخلوة عدد بسيط ويقول بالمد الطويل: (يا الله) فهذه فتح الكنز الإلهي، وإذا دخل أحد معهم الخلوة خِلسة كان عندما يقول الإمام أبو العزائم (يا الله) ينام، وبعد أن يُنهي الخلوة يقول بالمد الطويل: (يا الله) فيستيقظ الرجل من المنام، ما هذا؟

لأن هذه أسرار لا تُباح إلا للأطهار والأخيار.

لذلك كان الشيخ جلال الدين الرومي يجلس مع الشيخ شمس الدين التبريزي بمفردهما لأن الأسرار التي يحملها له لا يستطيع أحد أن يتحملها، قال فيها الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه: **(إن هاهنا لعلومًا جمَّة، لو أجد لها حملة!)** يعني لا أجد أحدًا يحملها، فمن الذي يحملها؟ قال: **(يحملها الأمناء يستودعونها في قلوبهم، حتى يجدون أشباههم وأمثالهم)** فيعطوهم هذه الأمانات وهي أمانات الولاية وعلوم الولاية، نسأل الله أن نكون من أهل الولاية أجمعين.

عندما رجع الشيخ شمس الدين وجلس مع جلال الدين فترة رجع مرة ثانية الغيظ والحقد في نفوس المريدين، وهذه المرة دبروا مكيدة أكبر، قيل أنهم استدرجوه وأخذوه وقتلوه!! شيء غريب حصل من مريدين، حتى نتحقق بقول رب العالمين: ﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾ (يوسف) ... ولكن هذا تأويل في غير محله.

---

٦٠ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

الرفيق في الطريق

بعدها أدرك جلال الدين الرومي أن الطريق إلى الله لا بد له من صديق في مقام الصدِّيق ويكون للمرء رفيق، لأن الطريق لا يستطيع الإنسان أن يمشي فيه وحده، لا بد أن يكون معه رفيق يسانده ويساعده ويفسر له ما غاب عنه، ويرشده إلى ما ينبغي أن يفعله، ويتشاورا مع بعضهما في كل أمورهما وكل أحوالهما فقد قيل: (خذ الرفيق قبل الطريق) فاختار واحدًا من المريدين الصادقين اسمه الشيخ صلاح الدين الدقاق ليكون رفيقًا له في طريق الله ﷻ، وعاش مع هذا الرفيق يتنعمان معًا في طاعة الله وعبادة الله لمدة عشر سنوات.

مع حسام الدين جلبي والمثنوي

بعد العشر سنوات مات الرفيق، فماذا يفعل؟

بحث عن رفيق آخر، فاتخذ رجل اسمه حسام الدين جلبي أو شلبي، وكلمة جلبي وشلبي بمعنى واحد في اللغة، هذا الرجل عندما صاحب جلال الدين الرومي وجد أن جلال الدين عنده ميول للأدب وأن عنده ميول شعرية عظيمة، فشجعه وقال له: هذا الشعر الذي يُفاض عليك أنا سأكتبه وراءك.

فكتب (المثنوي) الذي تُرجم إلى معظم لغات العالم، وهو في ست مجلدات فيهم حوالي ٢٥ ألف بيت، وسمي المثنوي لأن كل بيت مكون من شطرين بقافية واحدة، وكل بيت قائم بذاته أي كل بيت غير البيت الذي يليه، فهو ليس كالقصائد الشعرية.

هذا المثنوي الذي ألهمه به الله فيه حكايات رمزية تحتاج أن تُفكُّ، وفيه مسائل شرعية، وفيه حِكمٌ صوفية، وفيه من كل شيء، لكن أعظم ما فيه أن الله جعل له القبول لكل من يُقبل عليه، وهذه هي النعمة العُظمى، لأن القبول من الله ﷻ.

ألَّف غير المثنوي ديوان كان يتكلم فيه عن شيخه شمس الدين التبريزي، وسماه (ديوان شمس الدين التبريزي).

وعمل رباعيات كرباعيات عمر الخيام، واسمها (رباعيات جلال الدين الرومي) وهي تختلف عن المثنوي بأن القافية هنا تكون واحدة في كل بيتين، وعمل كتاب سماه (المجالس السبعة)، وعمل كتاب نثري وسماه (فيه ما فيه) وقال عنه:

(فيه ما فيه بديع في معانيه، إذا طالعت ما فيه رأيت الدرَّ يحويه).

وفاته

بعد ذلك في سنة ٦٧٢ هجرية حدثت زلازل شديدة لمدة أسبوع في منطقة قُونية، وكان مريضًا وقتها، فجاء إليه الناس وسألوه أن يدعو الله أن ينتهي هذا الزلزال، فقال لهم: **(إن الأرض جائعة تطلب لقمة دسمة، وستنالها عن قريب ويرفع عنكم هذا البلاء)** ما هذه اللقمة؟

كانت جسده، ففاضت روحه في غروب شمس الخامس من جمادى الآخرة سنة ٦٧٢ هجرية.

وحدث العجب العجاب، فقد خرجت الجنازة في الصباح، ولم يتم دفنه إلا في العشاء بسبب الزحام، فقد كانت خلائق لا تُحصى، مسلمون يقرأون القرآن، ومسيحيون يقرأون الأناجيل، ويهود يقرأون التوراة، وكلهم يمشون في الجنازة، وبلغ ذلك حاكم البلد فقال لقساوستهم ورهبانهم: ما لكم ولهذا الأمر إنها جنازة عالم مسلم؟! فقالوا: به عرفنا حقيقة الأنبياء السابقين وفيه رأينا سيرة الأولياء الكاملين.

لأنه كان لا يفرق بين الناس في التعامل والذوق السليم والأدب بسبب الدين أو غيره، فقد كان مرهف الحس لدرجة لا تُتصور !!!

وهكذا الأولياء والعلماء العاملين، ومن رهافة حسِّه كان ماشيًا ذات يوم ورأى كلبًا نائمًا يسد الطريق، فوقف وكره أن يوقظه، إلى أن رآه رجل يعرفه فجاء وطرد الكلب، فقال له: لقد آذيته، لِمَ لم تتركه نائمًا؟!

ما هذا الحس المرهف؟!.

طلب من أحد مريديه يومًا أن يشتري حلوى كثيرة، وأخذها وتوجه بها ناحية المقابر، فوجدوا كلبة قد ولدت ولا تجد طعامًا لها ولصغارها، فأخذ يطعمها الحلوى ويقول: إن هذه في هذا المكان منذ أسبوع ولم تجد طعامًا قط، وألهمني الله بأن آتي إليها لأُطعمها، حتى نعرف مدى رقة مشاعر وأحاسيس الصالحين، وكلهم على هذه الشاكلة أجمعين.

الإمام أبو العزائم ﷺ كان في الليالي الحافلة ينزل بعد أن ينام الجميع على أطراف أصابعه حتى لا يوقظ النائمين يغطي من كشف غطاءه، ويعدل من كان نائمًا وغير معدول، حتى يناموا في هناء وسرور ولا يشعر به أحد، ما هذا؟

هذه أوصاف العلماء.

جهاده لنفسه

عندما نصف أخلاق الشيخ جلال الدين الرومي ومنهجه مع نفسه ومع الله ﷻ، يقول خادمه: **(صاحبته أعواما طويلة لم أره قط في لباس النوم، ولم أر عنده فراشًا للنوم ولا وسادة فإذا غلبه النوم نام جالسًا)** يخاف أن ينام لحظات فيضيِّع من عمره لحظات في غير ذكر الله ﷻ وطاعته، لذلك نالوها ولكن بالجهاد الشديد.

ويقول أيضًا: **(رأيته دخل مرارًا في الصلاة بعد العشاء وقضى الليل كله في ركعة واحدة)** هذا إن لم يكن يتلذذ بالمناجاة سيشعر بالمعاناة، ولن يستطيع أن يسد، لكن حلاوة المناجاة تُذهب المعاناة التي كان يجدها في ذلك، ويقول أيضًا: **(رأيته في الشتاء البارد القارص الذي يشعر فيه الشبان بالبرد رغم ارتداء الفراء والجلوس إلى جانب المدفأة، كان يصعد إلى السطح ويقضي الليلة كلها في الصلاة والنحيب حتى مطلع الفجر، وعندما ينزل لصلاة الفجر أخلع له نعليه فأجد رجليه دامية من شدة البرد)**.

وكل هذا طمعًا فيما عند الله ﷻ تأسيًا بحبيب الله ومصطفاه، فقد كان ﷺ يقف الليل كله على قدم واحدة، ولذلك كانت تتورم إلى أن أنزل الله له قوله: ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ ﴾ (طه) وفي قراءة أخرى: (طأها) يعني أنزلها، تقول له السيدة عائشة:

{ لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا }[٦١]

فما بالنا نريد أن نأخذ مقام من مقامات الولاية ونحن نائمون ليل نهار؟!! هل توجد حلاوة بدون أن تدخل النار؟ لا بد من ذلك.

وكان يجهد نفسه بالصوم، فكان في معظم الأيام صائمًا لله، ولذلك كان نحيف الجسم من الصيام والقيام لله ﷻ.

وكان زاهدًا في الدنيا، يكتفي براتبه الذي قُرر له على أداء دروسه ولا ينال شيئًا آخر، فقد كانت تأتيه الهدايا وتأتيه العطايا من الملوك والوجهاء فيوزعها على الخلق ولا يأخذ شيئًا منها ويقول: **(لا آكل إلا حلالًا من عمل يدي)** غير الفتاوى التي كان يفتيها خالصة لوجه الله، لا يرجو من ورائها جزاءًا ولا شكورًا.

وكان مع هذا عظيم البذل والسخاء كعادة الصالحين والأتقياء والأولياء في كل زمان ومكان، ما اتخذ الله من ولي بخيل، الإمام الشعراني يقول: **(أقبح القبيح صوفي شحيح)**.

---

٦١ البخاري ومسلم عن عائشة ﵂

البخيل لا شأن له بالتصوف، ولكن لا بد كما قيل في مدح سيدنا رسول الله ﷺ:

يُمناك تهمي بالعطا وتجود وسما بنسبته إليك الجود

كان الشيخ جلال لدين الرومي مع خلق الله الأدب التام والكامل في الوعظ والنصيحة، كان ماشيًا ذات مرة فوجد اثنين يسبان بعضهما، فكما نسمع واحد يقول للآخر: لو قلت لي كلمة سأقول لك عشرة، فدخل بينهما وقال للآخر: قل لي أنا ألف كلمة ولن أقول لك كلمة، فكظم الغيظ وارتمى الرجلان على قدميه وتصالحا وانتهت المشكلة والمعضلة.

ميله إلى السماع

المنهج الذي رسمه للمريدين أتباعه كان اسمه (المولوية) نسبة إلى كلمة (مولانا) التي سماه بها أبوه من طفولته، وكان يميل إلى صوت الناي، ولذلك تلاميذه اشتهروا في العالم كله بأن حضراتهم تكون على صوت الناي، ولكنه لم يفعل ذلك والذي فعل ذلك هو ابنه الذي أمسك بمشيخة الطريق من بعده.

لكنه كان يسمع في صوت الناي حنين، وهو كان يحب هذا الأنين والحنين وكأنه يسمع إلى روحه ونفسه وهي تئن إلى ربه ﷻ، وهذا هو الحال الذي كان فيه وهذا حال الصالحين أجمعين، فالصالحون الواصلون عندما يسمعون أي شيء يأخذونه على ما عندهم.

الشيخ أحمد رضوان رضوان الله عليه رأى رجلًا من المداحين الذين يدورون في البلاد ماسك بالرق ويقول: (يا أبو الشال خليك على البال) فأخذ الرق منه وتاه وأخذ يغني ويقول: (يا أبو الشال خليك على البال) وماذا يقصد هنا؟ سيدنا رسول الله، ولا يقصد أحدًا بشري أو ما شابه ذلك.

فكانوا يسمعون أي شيء وخاصة في الحب وقصائد الحب والوجد يأخذونها على محبوبهم وهو رسول الله ﷺ، وليس المحبوب الجسماني

فكان منهم من يحب القصائد التي يغنيها عبد الحليم حافظ وغيره، لماذا؟ لأنها تهيمهم في الحبيب الأعظم ﷺ، مثلًا: (بتلومني ليه؟ لو شفتم عينيه حلوين قد ايه) فيأخذ هذا الكلام على الحبيب ﷺ، أو قصيدة (كامل الأوصاف فتني) من هو كامل الأوصاف؟ سيدنا رسول الله ﷺ، فكل البشر معيوبون.

وكان نفس الأمر عند الشيخ جلال الدين الرومي رضي الله عنه وأرضاه، فكان يسمع في الناي الحنين والأنين الذي تحن به النفس والقلب إلى الله ﷻ.

منهجه

– أولًا: تصفية النفس ومجاهدتها ورياضتها وانتقالها من حال الى حال حتى يصل الصوفي إلى مقام الشهود والجذبات الصوفية والفناء.

– ثانيًا: الابتعاد عن العجب والكبرياء بالتعود بتحقير أعمال النفس مهما عظمت ومحاسبة النفس كل حين.

ما الذي يغر الإنسان ويجعله يتكبر، إذا نشط قليلًا في العبادات ويرى من حوله مقصرين، يقول: أنا أحسن منهم، وهذا خُلُق إبليسي، فهل يلحق في العبادة إبليس؟!

قيل أنه عَبَد الله اثنين وسبعين ألف سنة وطُرد في سِنَة، لكن الإنسان مهما يتعبد يرى أن العبادة لا يؤديها إلا بتوفيق الله ومعونة الله وإكرام الله، فلا يتكبر.

والله ﷻ لا ينظر إلى المظاهر ولا إلى الظاهر، وإنما ينظر إلى القلوب.

وأهم شيء النظر إلى القلوب.

– ثالثًا: العمل بالشريعة والابتعاد عن ترك الأوامر في كل حال.

لأنه كان رجل شرعي وكان عالم من كبار علماء الشريعة، وكان مفتي البلد.

– رابعًا: العمل على طهارة الباطن بعد الأخذ بطهارة الظاهر.

وهذه الجزئية التي نحتاج إلى الاهتمام بها في سيرنا إلى الله ﷻ.

– خامسًا: التصوف كله أدب.

لكل وقت أدب، ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب، فمن يلزم الأدب يبلغ مبلغ الرجال، ومن حرم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يرجو القبول.

وهذا هو الشيء الذي كان يركز عليه:

أهم شيء نحافظ عليه كلنا الأدب.

وسيدنا رسول الله كان إمامنا في الأدب صلوات ربي وتسليماته عليه.

– سادسًا: التسليم، والسخاء، وحُسن الخُلق، والشفقة على الخلق، وعدم الانكباب على جمع الدنيا الدنية، وعدم الشكوى من ضيق العيش، والصبر عند المصائب، والتلذذ باللذات الروحية من العبادات والأذكار.

الطريقة المولوية

أسَّس الطريقة المولوية، لكن ابنه سلطان ولد هو الذي وضع لها النظم ووضع لها هذه التقاليد من السماع والدوران الذي اشتهروا به في العالم كله.

فالطريقة المولوية هي طريقة الارتقاء للمريد، وهي طريقة فريدة وعجيبة، عندما يريد مريد أن يدخل على الله ويذهب إليهم ويسلم نفسه، يقولون: لا بد أن يجلس ألف يوم في عُزلة عن الخلق مشغول بالكلية بذكر الله ﷻ، ولا أعرف هل هذا منهج الشيخ جلال الدين الرومي أم هم أضافوها؟ لأنه دائمًا في الطرق يضيف الخلفاء التاليون إضافات، وفي هذه المدة ممنوع عليه أن يخالف أي مخالفة شرعية لكتاب الله أو لسُنَّة رسول الله أو لأدب الصالحين السابقين، لا بد أن يكون ملتزمًا تمام الالتزام.

إذا ارتقى لهذه المرحلة عليه بتهذيب النفس، كيف؟ يُكلَّف المريد بمهمات صعبة ومُجهدة، ككنس أرض الحجرات التي يجتمعون فيها في المدارس، وتنظيف الحمامات، وإصلاح أحذية الدراويش، ويؤدي هذه الأعباء بأمانة واستعداد مرددًا على الدوام: (الحمد لله) فلا يتضرر ولا يشمئذ، ويُبدي احترامًا كبيرًا للذين سبقوه في الطريق، ويشتغل طوال النهار ولا ينام إلا بعد صلاة العشاء، وينام في حجرة وحده منفردًا على الأرض دون فراش أو لحاف، يغطي نفسه بمعطفه فقط في البرد الشديد.

إذا ارتكب خطأ أثناء عزلته فإن الشيخ يأتي ويضربه عشرة أو عشرين ضربة بالسوط على رجليه أمام المريدين.

لهم نظام في الطعام عجيب وغريب، يفرشون جلد ويجلسوا ويتجمعوا حوله ليأكلوا من صحن واحد كبير، وكل واحد منهم يجلس في وضع غير مريح حتى لا يأكل كثيرًا، يعني يجلس على رجل واحدة ويثني الثانية حتى لا يُكثر من الطعام ويظل يقظ في مناجاة الملك العلام ﷻ.

إذا ذهب إلى مكان ونفد ما معه من ماء لا يسأل أحدًا، ولا يتعرض للسؤال إلا إذا مضى عليه ثلاثة أيام لم يذق طعامًا قط، لكن قبل الثلاثة أيام لا يسأل أحد ويستغني بالله.

المنهج الرئيسي لهم في العبادة الذكر، وبينهم وبين بعضهم الحب، كل واحد يحب أخيه أكبر من حبه لنفسه، وكل رجل منهم يرى أنه ابن لشيخه، وهم كلهم أبناء وكلهم أحباء.

نسأل الله ﷻ أن ينفعنا بالصالحين، وأن يجعلنا لهم من خيار المتبعين، وأن يرزقنا أرزاقهم الباطنة من الإشراقات والتجليات والأسرار في كل وقت وحين.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

١٠ الإمام سهل التستري

١٠- الإمام سهل التستري ﷺ ١٦٠
أهمية الحديث عن نوابغ الإسلام ١٦٠
مميزات نوابغنا ١٦٠
نشأته ووردة ١٦١
مجاهداته ١٦١
سجود القلب ١٦٢
سياحته ١٦٣
صفته ١٦٤
من كراماته ١٦٥
حاله مع الله ١٦٦
مؤلفاته ١٦٧
وفاته ١٦٧
من أقواله ١٦٨

قال سيدى سهل التسترى ﷺ:

(أصول طريقنا سبعة:
التمسك بالكتاب، والاقتداء بالسُنَّة،
وأكل الحلال، وكفّ الأذى، وتجنب المعاصي،
والتوبة، وأداء الحقوق).

١٠- الإمام سهل التستري رضي الله عنه [٦٢]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله واسع الفضل والجود، والشكر لله ﷻ على نعمه التي عمَّت كل أركان الوجود، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي هو خير لنا من كل الآباء والجدود ومن والد ومولود، صلى الله عليه وآله الرُّكَّع السجود، وأصحابه الذين صحبوه في أعلى مقامات الشهود، وكل من تبعهم على هذا الهدي الكريم إلى يوم الدين .. آمين آمين يا رب العالمين.

أهمية الحديث عن نوابغ الإسلام

نحن نقف وقفات عند بعض الأشخاص الأفذاذ في الأمَّة الإسلامية، لماذا؟ لأن الحقيقة لو نظر الإنسان بعين فكره لوجد أن في الأمَّة الإسلامية رجال أظهر الله على أيديهم مواهب نُباهي بها العوالم كلها، لم يصل إلى ظِفر واحد منهم كل علماء أوروبا وأمريكا بما آتاهم الله ﷻ من الحكمة والإلهام والمُثُل القويمة، هؤلاء الرجال لا بد أن نحيي ذكراهم لعل شبابنا يمشوا في آثارهم، وتنهض الأمَّة من غفوتها وترجع إلى حالات الإشراق على العوالم كلها كما كان سلفنا الصالح رضوان الله ﷻ عليهم أجمعين.

مميزات نوابغنا

والحقيقة أنا في اختياري للشخصيات التي أتحدث عنها أراعي ما يلي:

– أولًا: أن يكون من العلماء الأجلاء، فاق أهل زمانه بعلوم الشريعة وزاد عليهم بعلوم الحقيقة.

– ثانيًا: أن يكون من العلماء العاملين أهل الوسطية الإسلامية التي حرص عليها ربنا ﷻ في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (١٤٣البقرة).، وحاولت قدر جهدي أن أختار مشارب متنوعة، فكل رجل منهم له ميزات ومواهب ليست لأحد غيره.

حتى نرى تنوع فضل الله على رجال الله ﷻ، وحتى يكون للحاضرين والسامعين فرص لا تُعد لأن يختار منهجًا من المناهج التي ظهرت وأينعت وأثمرت فتحًا نورانيًا على أصحابها، ومن مشى على الدرب وصل.

وإمامنا الذي نتحدث عنه هو الإمام سهل التُستري رضي الله عنه وأرضاه، وأنا ألقبه: (إمام أهل العناية) لأن حياته كلها ترى فيها عناية الله ﷻ منذ نعومة أظفارهِ فقد وُلد في مدينة تُستر وإليها نُسب، وهي مدينة من مدن خوراسان في إقليم أفغانستان الآن.

---

٦٢ المقطم – مجمع الفائزين ١٣ من شوال ١٤٤٤هـ ٢٠٢٣/٥/٣م

نشأته وورده

توفي والده وهو صغير، فكان هو وأمه في كفالة خاله محمد بن سوار وهو رجل من الصالحين، وكان خاله يقوم الليل يتهجد ويصلي لله، فكان سهل وعمره ثلاث سنوات يقوم ويقف بجوار خاله ويحاكيه في الصلاة، فقال له: يا سهل نَم فقد أتعبت قلبي، ولكنه واصل هذا الأمر، فلما وجد إصراره قال له: يا سهل قُل ثلاث مرات بقلبك وليس بلسانك: **(الله معي، الله ناظرٌ إليَّ، الله شاهدٌ عليَّ)** قال سهل: فواظبتُ عليها، وبعد أسبوع قلت له: أنا قلتها كما ذكرت، قال: كررها سبعًا كل ليلة، قال سهل: فكررتها سبعًا، ثم بعد مدة قال لي: كررها إحدى عشرة مرة، قال: فواظبت على ذلك فوجدتُ لذلك حلاوة في قلبي، وكان لا يزال طفلًا صغيرًا، ولكن كما قلت أنه إمام أهل العناية!.

قال سهل: فلما رآني داومتُ عليها قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فأخذ الوِرد وعمره ثلاث سنوات.

هذا الوِرد يتحدث عنه الصالحون ويذكرون عنه أشياءًا عجيبة وغريبة، يقول الإمام المناوي في كتابه (الكواكب الدرية): وهو وِردٌ عظيم الشأن جربه أهل العرفان، وكان طريق ناجح دائمًا، فيقول الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي في فتوحاته عن هذا الورد وهو رجل كبير: ودخلت الخلوة بوِرد سهل، ففُتح لي به في ليلة واحدة، وفيه أسرار عجيبة وأذواق غريبة، ثم يقول: من أكثر من ذكره حُببت له الطاعات وبُغضت إليه المنكرات، ومن ذكره كل ليلة سبع مرات وهو في فراشه وجد له حلاوة في سره.

مجاهداته

من دواعي العناية أنه حفظ القرآن وعنده سبع سنين، ولما أراد أهله أن يذهبوا به إلى مكتب تحفيظ القرآن قال لهم: لي شرط، فقالوا: وما شرطك؟ قال: لا أذهب إليه إلا ساعة واحدة في اليوم حتى لا أعطل أوقاتي.

فتىً ابن ست سنين أو سبع سنين ولا يريد قطع أوقاته عن ذكر الله!، لا يريد أن يمكث في الكُتَّاب في اللهو واللعب من الصباح حتى الظهر، فاشترط عليهم ساعة واحدة فقط يحفظ فيها ويقرأ ويتعلم فيها.

ومن غرائبه وعجائبه التي تُحكى عنه أنه وهو ابن عشر سنين كان يُستشار في المسائل الخاصة للصالحين فيجيب عنها جميعًا، إن كان في الزهد أو في الورع أو في المقامات أو في فقه العبادات، ويُحسن الإجابة في كل ذلك

وأظن أنه لا يكون ذلك إلا إذا كان معه إلهام ومدد من رب العالمين ﷻ.

ولذلك أخذ نفسه ببرنامج شديد في طاعة الله وهو صغير في السن لم يبلغ العاشرة بعد، فكان يديم الصيام الأيام المتوالية ويجتهد أن يزيد في مدة الصيام، فكان لا يفطر إلا كل خمسة عشر يوم مرة، وإذا دخل رمضان يأكل مرة واحدة في أوله ولا يأكل طوال الشهر، يعني يصوم طوال الشهر.

ولذلك قالوا: كان يكفيه لطعامه درهم واحد في العام كله، ومن العجائب التي يحكونها عنه أنه كان أغلب أكله الماء وخبز الشعير، وما أدراك ما حاجة الجسم لأنواع الأغذية المختلفة؟! لكن من تولاه مولاه والاه: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١٩٦الأعراف).

ومن الغرائب أيضًا التي تدل على عُلو شأنه أنه كان إذا جاع يصحُّ جسمه، وإذا شبع يمرض جسمه، وهذا دليل على أن غذاؤه كان من عالم النور، فإن الذي يتغذى من عالم النور يدخل في مقام:

{ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي }[٦٣]

قليل من الأكل الحسي يكفيه، لأن الأنوار تملأه كله وتغذيه وتنميه، وهو يتلقاه من خالقه وباريه ﷻ ... إذًا كانت حياته ذكر وقيام وطاعة وعبادة لله ﷻ.

سجود القلب

لما بلغ الثالثة عشرة أُلهم بمسألة وقف عندها، وسأل كل من حوله من الصالحين فعجزوا عن الإجابة حتى دلُّوه على رجل اسمه أبو حبيب من بلدة تُسمى عبدان، فذهب إليه وسأله: يا شيخ، أيسجد القلب؟ فقال الشيخ: إلى الأبد، يعني إن سجد لا يقوم من هذه السجدة إلى الأبد، هذا أمر يقول فيه الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي:

كان بدء سهل في الطريق سجود القلب، ويقول: وكم من ولي كبير الشأن طويل العمر ومات وما حصَّل سجود القلب ولا علم أن للقلب سجود مع تحققه بالولاية ورسوخ قدمه فيها.

فإن سجود القلب إذا حصل لا يرفع رأسه أبدًا من سجدته، ولذلك اشتهر سهل التُستري بأنه كان ساجد القلب لمولاه على الدوام، ويقول فيه الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه:

---

٦٣ سنن البيهقي ومستخرج أبي عوانة عن أبي هريرة رضي الله عنه

مقام سـهل سـجود قلب ليس له ... في غير سـهـل من الأكوان أحكام
لا يرفع القلب رأسًـا بعد سـجدته ... والـوجـه يُـرفـع والـتـغـيـير إعـلام
فـإنـه غـير مشـهـود بـقـبـلـتـه ... وقبلـة القـلـب أسـمـاءٌ وأعلام
تُبدي حقيقته تـأييد سـجـدتـه ... ومـا لـه في عـلـوم الـخـلـق أقـدام

فكان مقامه من البداية مقام سجود القلب،

سياحته

وكعادة الصالحين في هذا الزمان الفاضل وفي كل زمان ومكان ونحن على آثارهم يحبون السياحة، فالأحباب الذين جاءوا من هنا ومن هنا لا بد أن تنوي أنك قادم للسياحة، سياحة للجلوس مع الصالحين، سياحة لزيادة العلم والمعرفة، نوايا كثيرة تحصلها بهذه النية، لكنك جئت وسافرت بدون نية فلن تأخذ أجرًا، قال ﷺ:

{ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى }[٦٤]

كانوا يُلهمون بنوايا لا تُعد ولا تُحد، حتى كان يقول أحدهم:

(لا أخرج من بيتي حتى أستحضر سبعين نية كلها لله)

نوايا في الوجهة التي يمشي إليها، فاستحضار النوايا هي مكسبك، لأنك تتاجر مع الله فلا بد أن تستحضر النوايا.

فبعد أن مشى سهل التستري فترة مع الشيخ أبي حبيب في عبدان رجع إلى بلدته تُستر، ثم حنَّ إلى السياحة مرة أخرى فخرج إلى السياحة، والسياحة كانت له ولمن حوله لضبط العلم، لأنهم في هذا الزمن كانوا حريصين على تلقي العلم من مصدره، وهذا الكلام ورثوه من أصحاب رسول الله ﷺ.

أحد أصحاب حضرة النبي جاء من المدينة إلى مصر حتى يستمع إلى حديث يرويه عُقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ، وعندما وصل عنده قال له: سمعتُ أنك تروي حديث كذا عن رسول الله ﷺ، قال: نعم قال: فأسمعنيه، فروى له الحديث، فأدار ظهر ركوبته وولى، فقال له: انتظر الضيافة، قال له: قد جئتُ لأجل هذا فقط.

ورجع مرة أخرى إلى المدينة، .... مشى كل هذا السفر الطويل لأجل هذا الحديث، وكان أمرهم هكذا.

---

٦٤ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ

كانوا يسافرون ليسمعوا العلوم من مصادرها الأصلية لتحصيل العلم، وكان بعضهم سياحته العبادة والتعبد، لأنه طالما الإنسان في وسط أهله وذويه تكثر المشاغل وتزيد المشاكل، فيكون كل حين له سياحة ليتفرغ القلب لطاعة الله وعبادة الله وخاصة في الأماكن الفاضلة، فبعضهم كان يذهب لبيت المقدس، وبعضهم كان يذهب إلى المدينة المنورة، وبعضهم كان يذهب إلى مكة.

ولم يكن وقتها تأشيرات ولا جوازات ولا جمارك، ولم يكن أحد يمنع أحد عن الزيارة، فأرض الإسلام كلها للمسلمين، فيذهب من هنا إلى هنا ولا أحد يقول له: أين تذهب؟ بل يجد في كل موضع ينزل فيه ما يستقبله ويحييه ويضيفه ويحرص على تبجيله وإكرامه، لماذا؟ لأنه أخوه المسلم، وكان هذا في الزمان الفاضل.

فلجأ سهل إلى هذه السياحة وخرج من بلدته في طلب العلم وضبطه وإتقانه من المعلمين، يعني إذا سمع أن فلان يشتهر في الفقه يذهب إليه ليأخذ الفقه منه، وفلان هذا يشتهر بعلم الحديث فيذهب إليه ويأخذ الحديث منه.

وهكذا كان الإسلام كأنه مدينة واحدة، كان الناس يعرفون الأعلام في كل العالم الإسلامي وكانوا مشهورين، فكان الناس يذهبون إليهم لتحصيل العلم وتحقيقه والعمل به بعد ذلك إن شاء الله رب العالمين.

صفته

وصفه رجل من رجالات الله، وهو الذي جمع تفسير سهل للقرآن ولكن لم يكن تفسيرًا كاملًا، ولكن جمع التفاسير التي سُئل عنها أو قيلت عنه في مواضع من القرآن، يعني تجد كل سورة فسر فيها آية أو آيتين أو أكثر أو أقل، لكن ليس تفسيرًا كاملًا للقرآن، فيقول:

كان كثير الشكر والذكر، دائم الصمت والفكر، قليل الخلاف، سخي النفس، قد ساد الناس بحسن الخلق والرحمة والشفقة عليهم والنصيحة لهم، مستمسكًا بالأصل عالمًا بالفرع، قد حشى الله قلبه نورًا وأنطق لسانه بالحكمة، ولولا أن الصحابة لا يُقاس بهم أحد لصحبتهم ورؤيتهم لوجه الحبيب لكان كأحدهم، عاش حميدًا ومات غريبًا بالبصرة.

هذه الأوصاف نذكرها حتى نتخلق بها لأنه من تشبه بقوم فهو منهم، فقد قيل:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

من كراماته

هذا الرجل كان له كرامات وإكرامات من الله لا تعد ولا تحد.

من جملة هذه الإكرامات الغريبة الشأن أنه كان قد أُصيب في آخر عمره بمرض الفالج، والفالج هو الشلل، فكان إذا حضرت الصلاة صحَّ جسمه، وإذا فرغ منها رجع إلى حالته، وأظن هذه الحالة حدثت للإمام أبي العزائم في أخريات حياته، فقد أُصيب في رجليه بالشلل وكان يتحرك على كرسي، فإذا نُصبت حلقة الذكر وهام الإخوان في الذكر وقف على قدميه ويمسك حلقة الذكر ويصفق بكفيه، فإذا انتهت حلقة الذكر رجع إلى حالته التي كان عليها.

ومن العجائب التي حدثت مع سهل التستري لنرى أنه من أهل العناية أنه كان في إحدى السياحات وأراد أن يصلي، ولم يجد ماءً في المكان الذي هو فيه، وإذا بدُبٍّ يحمل جرة مملوءة بالماء وجاء إليه ووضعها بين يديه ثم انصرف، كما يقولون:

عبيد ولكن الملوك عبيدهم وعبدهم صار له الكون خادمًا

وإن كان هو ﷺ يؤكد ويقول: **(أكبر الكرامات أن تُبدِّل خُلُقًا مذمومًا بخُلُق محمود).**

ونحن نبذل مع الأحباب الجهد في هذا الأمر، ولكن الكثير يُصرّ على أوصافه ولا يريد أن يغير أخلاقه، فلا بد من تغيير الأوصاف الإنسانية واستبدالها بأوصاف الحضرة المحمدية، لكن الذي يكابر على ذلك فلا ينتظر الفضل ولا العطية، فالفضل والعطية للصورة المحمدية في أخلاقه صلوات ربي وتسليماته عليه.

وكان لشدة تعلق سهل بمولاه وصفاء قلبه وتنعمه دومًا بنور حضرة الله في كل ما يراه يقول: (لي أربعون سنة أكلم الله والناس يظنون أني أكلمهم) هو يتكلم مع الله ﷻ.

أيضًا من ضمن عجائبه أنه كان يصلي صلاة العشاء فقرأ قول الله تعالى: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الإنسان) فجعل يحرك فمه كأنه يمص شيئًا ويشربه، فلما فرغ قيل له أتشرب في الصلاة؟ فقال: **(والله لو لم أجد لذته عند قراءته كأني عند شربه ما فعلت ذلك)** وجد اللذة وهو يقرأ الآية كأنه كان يشرب بالفعل!، ما هذا؟

هذه قراءة أهل العيان وهي غير قراءة أهل البيان. ...

وسُئل ذات مرة عن قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ (﴿٢٥٥﴾ البقرة) فقال:

(هذه أعظم آية في كتاب الله، فيها اسم الله الأعظم، وهو مكتوب بالنور الأخضر في السماء سطرًا واحدًا من المشرق إلى المغرب، كنت رأيته كذلك في ليلة القدر مكتوبًا وأنا بعبادان (لا إله إلا هو الحي القيوم).

عندما سُئل رسول الله ﷺ عن اسم الله الأعظم، فقال ﷺ:

{ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ) }[٦٥]

وفي رواية أخرى:

{ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ:(الم اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) }[٦٦]

يعني هو في آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ (البقرة) وأول سورة آل عمران: ﴿ ٱلٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ (آل عمران) والذي يشترك في آية الكرسي وأول سورة آل عمران (الحي القيوم) فكأنه ﷺ يشير إلى اسم الحي القيوم.

ولذلك من ضمن ما ورثناه ورأيناه عند آبائنا وأجدادنا مع أنهم في نظرنا أميين، كانوا إذا طُلب من أحدهم قراءة الفاتحة يقول: يا حي يا قيوم بسم الله الرحمن الرحيم ويبدأ بقراءة الفاتحة، وكان دائمًا على ألسنتهم يا حي يا قيوم، لماذا؟

لأنهم يعرفون أنه اسم الله الأعظم.

حاله مع الله

كان سهل يعلم أنه ذو حالة خاصة اختصه بها مولاه، لذلك في تربيته لأصحابه كان يأمرهم أن لا يقتدوا به في هذه الأحوال الخاصة كالمداومة على الصيام، وعدم الأكل إلا خبز الشعير لأنها خصوصية، وعدم المداواة من الأمراض، فكان يأمر أصحابه أن يأكلوا اللحم في كل جمعة مرة كي لا يضعفوا عن العبادة، لكنه كما قلنا كان إذا أكل ضعف وإذا جاع قوي ... وكان يعرق في البرد الشديد في الشتاء وعليه قميص واحد، وهذا لو تعلمون من شدة الذكر، لأن الإنسان إذا اشتغل بذكر الله يجد لذكر الله حرارة، فالرجل الذي كنت أصحبه قبل الإمام أبو العزائم ﷺ وهو الشيخ إبراهيم عمار وكان من المجاذيب،

---

٦٥ سنن الدارمي عن أسماء بنت يزيد ﷺا

٦٦ سنن أبي داود والترمذي عن أسماء بنت يزيد ﷺا

حكى لي أنه كان في حالة جذبه من شدة الذكر في الأيام الباردة يقول: أريد مراوح تروح عليَّ، فإذا لم يأتوا له بالمراوح يقول: كنت أقذف بنفسي في الترعة حتى يبرد الحرارة التي دخلت في جسمه.

أما ما يدلنا على عِظم هذا الرجل عند ربه فهو قوله: (حالي في الصلاة وقبل الدخول فيها سواء) يعني أنا قبل الصلاة كما في الصلاة في الحضور مع من يقُول للشيء كن فيكون، وهذا دليل على أنه كان يراعي قلبه ويراقب الله بسره سواء في الصلاة أو خارج الصلاة، فإذا دخل في الصلاة يدخل بحضور قلب وجمع الهمة على الله، فيكون حاضرًا تمام الحضور مع مولاه ﷻ.

وقيل له: لقد آتاك الله الحكمة، فقال:

[قد أوتيت الحكمة، وغيبًا علمت من غيب سره فأغناني عن علم ما سواه: (وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى) وبإتمام ما بدأني به من فضله وإحسانه] يعني ليست الحكمة فقط، بل كذلك معه علوم من علوم الغيب.

مؤلفاته

هذا الرجل له كتب كثيرة ألهمه بها مولاه، منها كتاب (تفسير القرآن العظيم) وهو جزء واحد، ومن كتبه كتاب (رقائق المحبين) وكتاب (مواعظ العارفين) وكتاب (جوابات أهل اليقين) وكتاب (الميثاق) وكتاب (مناقب أهل الحق ومناقب أهل الله) وكتاب (رسالة في الحكم والتصوف) وكتب كثيرة أظن أغلبها فُقد وغير موجود الآن.

وفاته

لما وجد أهل الظاهر في بلدته أنه فتح الله عليه بالعلوم الإلهامية، ودائمًا كما أذكر في كل سير الصالحين تجد الحسد يدب في قلوب علماء الظاهر للعلم الإلهامي الذي يُلهموا به، وللجموع التي تحرص على الحضور معهم وعلى التربّي على أيديهم وعلى سماع علومهم ومحاولة القرب منهم، فتصيبهم الغيرة، والغيرة تنقلب إلى حسد، والحسد ينقلب إلى حقد، والحقد يُترجم في صورة تشويه لهم ومحاولة إبعاد الناس عنهم، ولا يكون ذلك إلا باتهامهم بتهم باطلة عند الحكام والولاة حتى يطردوهم من بلادهم، ولذلك نادرًا من لا يُطرد من بلدته من هؤلاء الأكابر.

فلما أفاض الله عليه من علوم الحقائق كان من جملة ما قاله وكان يحرص عليه:

(التوبة فرض على العبد في كل نَفَس) هل يوجد شيء يُؤخذ عليه في هذا القول؟ لا، لأنه لن يُوجد أحد منا سيؤدي ما عليه كاملًا لمولاه، ففي كل نَفَس لا بد له من سهو ولا بد له من غفلة ولا بد له من جهل ولا بد له من معصية ظاهرة أو باطنة، وأعظم المعاصي التي لا يفطن إليها الناس الغفلة عن ذكر الله، فمن يحاسب نفسه على الغفلة عن ذكر الله وأن هذه معصية ينبغي عليه أن يتوب منها.

لكنهم أمسكوا في هذه المقولة حتى اضطروه أن يهاجر هو ومن معه من بلدته تستر ورحل إلى البصرة، ولما وصل البصرة عاش فيها إلى أن كانت ليلة الجمعة من شهر رجب سنة ٢٨٣ هجرية ووافته المنية.

فلما مات كان من إكرام الله له بعد موته أن جنازته كانت تملأ السهل والصحراء، وأحد اليهود كان موجود في البلدة فلما سمع الأصوات الشديدة والزحام خرج لينظر، فلما نظر إلى الجنازة صاح وقال: أترون ما أرى؟ فقالوا: وماذا ترى؟ قال: أرى أقوامًا ينزلون من السماء ويتمسَّحون بالجنازة ثم تَشهَّد وأسلم، وهذا دليل على علوِّ شأن صاحب هذه الجنازة رضوان الله ﷻ عليه.

من أقواله

الإمام سهل التستري أقواله كثيرة وحِكمه غزيرة اقتطفت بعضها لننتفع بها في سلوكنا إلى الله ﷻ:

يقول: **(الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، فإذا انتبهوا ندموا فلم ينفعهم الندم)** وهذه حقيقة في زماننا هذا، فالناس تظل تعظهم لتوقظهم من الغفلة ولا فائدة، متى يفيقوا؟ عند الموت، وبعد الموت يكون الندم، وبعد ذلك يقول: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴾ (الفجر) وليس لمماتي، لأنها حياة كريمة عند الله، وحياة الصالحين في البرزخ أو في الآخرة حياة كاملة.

وكان يقول: **(التائب الذي يتوب من غفلته في كل لمحة)** لا يتوب بعد الصلاة أو يوم الجمعة فقط، بل في كل لمحة:

هفوة العارفين أكبر ذنب فابذل النفس تمُنحن

العارف بالله ﷻ أو من يصحب العارفين:
لا بد أن يكون حاضرًا فاكرًا ذاكرًا لله في كل أنفاسه،
ويستغفر الله في كل نَفَس عن غفلته عن عدم حضوره في ذكره،

وعن ذكره بلسانه وقلبه غير حاضر، وعن عدم خشوعه لجلال ربه عند ذكره، وعن عدم استحضاره لجلال الله وعظمته عند ذكره فيكون ذكره بخشوع وحضور قلب، كل ذلك يحتاج من الإنسان دائمًا أن يتوب إلى الله ﷻ في كل نَفَس.

وبيَّن طريقه لأصحابه فقال:

(أصول طريقنا سبعة: التمسك بالكتاب، والاقتداء بالسُنَّة، وأكل الحلال، وكفّ الأذى، وتجنب المعاصي، والتوبة، وأداء الحقوق).

هل نحتاج إلى طريق آخر بعد هذه الطرق؟

فهي طريق كل الصالحين، وهؤلاء إذا عملت بهم تنال المواهب العلية التي يتفضل الله بها على الصالحين، وإذا تركت واحدة منهن فلا تنتظر أي عطاء.

ولذلك يقول في الحكمة الأخرى: **(من لم يكن مطعمه من حلال لم يُكشف عنه حجاب)** حتى لو عَبَد الله في مكة مائة سنة وكان مطعمه من حرام، فكيف ينكشف له الحجاب؟! فأول أمر لكشف الحجاب اللقمة الحلال.

ثم يقول في تهذيب أخلاق السالكين والمريدين، وهذا أمر أتمنى من إخواننا أن يعقلوه ويعملوا به:

(من أخلاق الصديقين ألا يحلفوا بالله لا صادقين ولا كاذبين، ولا يغتابون، ولا يُغتاب عندهم، ولا يُشبعون بطونهم، وإذا وعدوا لم يُخلفوا، ولا يتكلمون إلا والاستثناء في كلامهم، ولا يمزحون أصلًا).

لا يحلف بالله أبدًا: ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ ﴾ (البقرة) أهل الكتاب يقول لك أحدهم: صدقني، فإن صدقته أو لم تصدقه فأنت حر، فهل أحد منهم يحلف؟ لا، فلماذا تحلف أنت؟! وإذا تعودت على الحلف فإن الناس لا يثقون فيك، لأن من يحلف كثيرًا يكون كاذبًا، فلا تحلف بالله لا صادقًا ولا كاذبًا.

ومن أخلاق الصديقين لا يغتاب أحدًا ولا يجلس في مجلس فيه غيبة، فالسامع والمغتاب في الإثم شريكان، ولا يُشبعون بطونهم، وإذا وعدوا لم يخلفوا، ولا يتكلمون إلا والاستثناء في كلامهم، يعني لا يتكلم في شيء إلا ويقول: (إن شاء الله) وليس لديهم وقت للمزاح أبدًا.

ثم يبيّن أركان الطريق التي اتفق عليها أهل الطريق فقال:

(إنما صار الأبدال أبدالًا بإخماص البطون والصمت والسهر والخلوة)

وهذه الأركان الأربعة التي يُبنى عليها الطريق، فمن أراد أن يكون له نصيب من فتح أهل الطريق لا بد له من الجوع والسهر والصمت والعُزلة عن الناس إلا من يحب الله ورسوله.

وقال للذين يريدون أن يكونوا أصحاب مناصب في طريق الله:

(لا يستحق الرجل الرئاسة على الناس؛
إلا إن احتمل أذاهم وبذل لهم ما بيده وزهد بما في أيديهم)

يعطيهم ما معه ولا يريد شيء منهم، ولذلك يولوه الرئاسة ويختاروه، ولكن إذا أراد شيئًا منهم فهل يوافقوا عليه؟ لا ... ويُعرِّف الولي فيقول: **(الولي من توالت أفعاله على الموافقة)** يعني كل أفعاله موافقة للسُنَّة والكتاب، وأولها أن يُسلم لله قلبه، فلا ينشغل إلا بالله، ولذلك يقول:

(من أسلم قلبه لله تولَّى الله جوارحه).

وقال في الذي يريد أن يصل إلى مقام المكاشفة وهذا من مقامات الصديقين:

(من أحب أن يُكاشف بآيات الصديقين؛ فلا يأكل إلا حلالًا ولا يعمل إلا في سُنَّة أو ضرورة).

وأظن أن هذه الأقوال تكاد تتكرر مع من ذكرناهم من الصالحين، لأن المنهج واحد، وما وصلوا إلا بهذا المنهاج الكريم، والمشي على هدي سيدنا محمد الرؤوف الرحيم ﷺ، ويوضح الطريق الأقرب إلى حضرة الله، وهذا أيضًا يتفق فيه مع الصالحين أجمعين فيقول ﷺ:

(ليس بين العبد وربه حجاب أغلظ من الدعوى،
ولا طريق أقرب إلى الله من الذلة والافتقار)

والدعوى يعني يدَّعي أنه ولي ويدَّعي أنه شيخ ويدَّعي أنه عالم وليس معه شيء، فهذا أعظم حجاب يحجبه عن الله، فما أقرب طريق؟ الذلة والافتقار وهي العبودية لله وهي التي قال فيها الشيخ البسطامي ﷺ وأرضاه عندما خاطبه مولاه:

(نوديت في سري: خزائني مملوءة من الخدمة، فإن أردتنا فعليك بالذلة والافتقار)

والخدمة هي الصيام والصلاة والتلاوة والذكر وما شابه ذلك .. ويقول فيها أيضًا سيدي أحمد الرفاعي ﷺ:

(طرقتُ سبعين بابًا فما دخلتُ إلا من باب الذل والعبودية لله ﷻ.)

نسأل الله ﷻ أن يكرمنا بالصالحين، وأن يرزقنا حُسن اتِّباعهم، والعمل بهديهم، والرقي إلى جميل أخلاقهم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

١١. عبد الله بن المبارك ملك العلماء

١١- عبد الله بن المبارك ﷺ ملك العلماء ١٧٢
مولده ونشأته ١٧٢
تعليمه ١٧٢
سياحته ١٧٣
مكانته العلمية ١٧٤
منزلته ١٧٤
خلوته العلمية ١٧٥
نصائحه لطالب العلم ١٧٦
ورعه وزهده ١٧٩
التجارة الرابحة ١٧٩
سخاؤه ١٨٠
جهاده في سبيل الله ١٨١
وفاته ١٨٢

قال سيدى عبدالله بن المبارك ﷺ:

(عجبت لطالب العلم كيف تدعوه نفسه لمحبة الدنيا؛
مع إيمانه بما حمل من العلم؟!)

١١- عبد الله بن المبارك رضي الله عنه
ملك العلماء[٦٧]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي اصطفى من عباده عبادًا صالحين، ووفَّقهم لما يحبه ويرضاه في كل وقت وحين، وجعلهم نماذج طيبة لمن أراد أن يكون من المقربين، وأُسوة حسنة لمن أراد أن يكون على نهج سيد الأولين والآخرين ﷺ، والصلاة والسلام على إمام كل إمام، وعلى من رقَّى هؤلاء الأئمة وأوصلهم إلى أعلى مقام؛ سيدنا محمد، وآله سكان دار السلام، وصحابته الذين شاركوه في المعية ونالوا بفضله أعلى مقام، وعلينا معهم أجمعين .. آمين يا رب العالمين.

هؤلاء الرجال نفاخر بهم نحن أهل الإسلام جميعًا العالم أجمع، فقلَّ أن يكون مثلهم ولو واحد في أي بقعة من بقاع الأرض حتى مع المدنية الحديثة العصرية.

عبد الله بن المبارك رجل جمع كل خصال الخير، فلا تُذكر خصلة من خصال الخير في كتاب أو على لسان الحبيب إلا ورأيته مُتخلقًا بها ومكتملًا بفعلها، ولذلك اخترت له اسمًا يناسب مقامه وأحواله وهو (ملك العلماء) فإذا كان للعلماء ملكًا فهذا الرجل ينبغي أن يكون هو هذا الملك.

مولده ونشأته

وُلد هذا الرجل في سنة ١١٨ هجرية بمدينة (مَرْو) من أب تركي وأم خوارزمية، ومدينة مرو حاليًا في أفغانستان، وهذه المنطقة كما رأينا سابقًا خرَّجت كثيرًا من الصالحين ورجال الله ﷻ الصادقين.

تعليمه

رجال الله الذين اصطفاهم الله يبدأون بالعلم، فتعلَّم عبد الله بن المبارك العلوم الإسلامية، فقد حفظ القرآن وتعلم اللغة العربية وتعلم الفقه والنحو والصرف والتفسير وكل العلوم العربية في بلدته.

ودائمًا وأبدًا المُصطفين الأخيار يكون لهم ذاكرة خاصة هبة لهم من الله ﷻ، وإن كانوا يتظاهرون أحيانًا بالتغافل حرصًا على الحضور، لكن أول صفة من صفاتهم الفطانة

---

٦٧ المقطم – مجمع الفائزين ٤ من ذو القعدة ١٤٤٤هـ ٢٠٢٣/٥/٢٤م

لانهم ورثة الأنبياء، وأول صفة من صفات الأنبياء الفطانة، فلا بد أن يكون النبي لا يسامته أحد في الذكاء والفطنة، والصالحين على هذا النسق.

ولذلك عندما يأتي بعض الأحباب المبتدئين أو الغافلين ويظن أنه يضحك علينا، فأضحك في نفسي وأتعجب، وفي نفس الوقت أريد أن أستره ولا أكشفه، والغافلين والجاهلين لا يسلم منهم زمان ولا مكان، وإلا كان قد سلم مجتمع الحبيب من المنافقين وكانوا جمعًا غفيرًا، وكانوا يحضرون معه الصلاة ويذهبون معه للجهاد، لا ليجاهدوا في سبيل الله ولكن ليخذلوا المجاهدين ويشقُّوا صف المسلمين.

فخصَّ الله ﷻ عبد الله بن المبارك بحافظة قوية ككُمَّل الصالحين، فكان لا يقرأ شيئًا إلا حفظه من أول مرة، ولذلك من الحوادث الطريفة التي يحكيها رفيق له كان معه في الكُتَّاب يحفظا معًا القرآن: أنهم خرجوا من الكُتَّاب وإذا بخطيب يخطب وأطال الخطبة، وبعد انتهاء الخطبة قال الإمام عبد الله بن المبارك لرفيقه ومن معه: لقد حفظتها، فقال أحد الحضور ليمتحنه: إن كنت قد حفظتها فهاتها – يعني كررها لنا مرة ثانية – فكررها كلها ولم ينس حرفًا منها!.

وذات مرة غضب أبوه من الكتب الكثيرة التي عنده فقال له: سآخذ هذه الكتب وأحرقها، فقال له: هذه الكتب كلها في ذاكرتي فاحرقها إن شئت.

ولذلك كانوا يسمونه أمير المؤمنين في الحديث، مع أنه كان له نصيب في كل العلوم لكنه كان مُحدِّثًا بليغًا، فذات مرة سألوه: هل اشتغلت بمزاولة حفظ الأحاديث؟ فكان جوابه: إني أقرأ فما راقني نقش في قلبي فكان محفوظًا.

يعني من أول مرة يحفظه ولا يحتاج لتكرار ولا غيره، ولو لاحظنا كُمَّل الصالحين نجدهم على هذه الشاكلة، ومن أبرزهم كما ذكرنا قبل ذلك الإمام الشافعي ﷺ وأرضاه، فكان لا يقرأ شيئًا إلا حفظه.

سياحته

ظل ابن المبارك في مرو حتى بلغ من العمر ثلاثة وعشرين سنة، وبعد ذلك خرج للسياحة، والسياحة منهج إسلامي، وتكون إما لطلب العلم من العلماء الأجلاء الفقهاء المشار إليهم بالبنان، وإما للعبادة يعني يخرج من البلد التي هو فيها أو البيت الذي هو فيه من المشاغل لينفرد بطاعة الله وعبادة الله جل في علاه، وإما للجهاد في سبيل الله، وهو قد جمع كل هذه الخصال.

فسافر ﷺ وأرضاه إلى العراق وطاف بمدن العراق مدينة إثر مدينة، وإلى بلاد الشام وإلى الحجاز وإلى اليمن، ومعظم البلاد الإسلامية طاف بها رغبة في تلقي العلم من أهله، فكانوا حريصين على أن يتلقوا العلم من مصدره الأول.

مكانته العلمية

ولذلك هو أُعجب في الفقه بثلاثة من الأفذاذ في هذا الزمان أولهم الإمام أبو حنيفة، وثانيهم الإمام سفيان الثورى، وثالثهم الإمام مالك بن أنس، وكلهم أصحاب مذاهب فقهية ولا يباروا في مجال الفقه، ولقاءاته معهم لم تكن لقاءات عابرة بل جلس مع كل واحد منهم فترة حتى هضم فقهه، فانظر كيف بلغ في الفقه؟!.

إذا كان قد درس فقه الإمام أبو حنيفة وفقه الإمام مالك وفقه الإمام سفيان الثوري، فكيف يكون حاله في علم الفقه؟! فكان هذا مبدأه في هذا الأمر، فلم يكن بارعًا في الفقه فقط، بل في كل مجالات العلم في هذا الزمان.

ولذلك قال عنه الإمام الذهبي ﷺ: دوَّن العلم – يعني كتب كتب – في أبواب الفقه وفي الغزو وفي الزهد وفي الرقائق فكان في الحديث مثل أمير المؤمنين في الناس، ومع ذلك اشتغل بتفسير القرآن، وله كتاب في تفسير القرآن، واشتغل في التاريخ وله كتاب في التاريخ، واشتغل بالفقه وتفقه على سفيان الثوري والإمام مالك والإمام أبي حنيفة وألف فيه كتاب السنن في الفقه وكتاب الفتاوى، وله كتاب في الزهد والرقائق، وله في الجهاد كتاب الجهاد.

منزلته

كان عالم موسوعي في كل هذه المجالات، ولذلك كانت له منزلة عُظمى بين الناس جميعًا في زمانه، فقد اجتمع جماعة من أصحاب ابن المبارك فقالوا: تعالوا حتى نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: جمع العلم والفقه والأدب والنحو واللغة والشعر والفصاحة والزهد والورع والإنصاف وقيام الليل والعبادة والحج والغزو والفروسية والشجاعة والشدة في بدنه وترك الكلام فيما لا يعنيه وقلة الخلاف على أصحابه.

وبلغ من قدره ومنزلته أن هارون الرشيد الذي كان يُشار إليه بالبنان في خلافته ذهب إلى مدينة الرقة في سوريا لزيارتها، وتصادف أن جاء بعده بقليل عبد الله بن المبارك فخرجت حشود لا عد لها ولا حصر لها وراء عبد الله بن المبارك، وزوجة هارون الرشيد كانت تنظر من الشرفة، فوجدت هذه الحشود، فسألت ما هذا؟

فقالوا لها: هذا عبد الله بن المبارك فقيه خراسان، فقالت لهم: هذا هو المُلك لا مُلك هارون الرشيد الذي لا يُجمع له الناس إلا بالشرطة والعصا والسيف!!.

الناس جاؤوا من أجل هذا الرجل، وانظر الفارق بين هذا وذاك، ولذلك سُئل مرة: من الملوك؟ قال: الزُهَّاد، لأن هؤلاء لهم المنزلة العُظمى، ولذلك أشاد أهل زمانه به إشادات قد يرى البعض فيها مبالغة، لكنهم رأوها رأي العين.

أحد الفقهاء المشهورين اسمه ابن عُيينة يقول: (نظرتُ في أمر الصحابة وأمر ابن المبارك، فما رأيت لهم عليه فضلًا إلا بصحبتهم للنبي ﷺ وغزوهم معه) يعني كأنه يشبه الصحابة في هديه وسمته وأخلاقه وكل شيء.

وقال عمار بن الحسن يمدح ابن المبارك:

إذا سار عبد الله من مرو ليلًا ... فقد سار منها نورها وجمالها
إذا ذكر الأخيار في كل بلدة ... فهم أنجم فيها وأنت هلالها

وقال إسماعيل بن عباس عنه: (ما على وجه الأرض مثل ابن المبارك، ولا أعلم أن الله خلق خُصلة من خصال الخير إلا قد جعلها فيه) يعني لا توجد خُصلة يسمعوا عنها من القرآن أو من السُنَّة إلا ووُجدت في هذا الرجل، يعني عالِم عامل ولكن في الدرجة الأولى في هذا المقام.

خلوته العلمية

ما الذي أوصله إلى هذا الأمر؟ نحن نسمع عن الخلوة التي يدخل فيها الصالحون، والخلوة يعني مكان مخصص يختلي فيه الرجل ليتعبد لله ﷻ، لكن خِلوة عبد الله بن المبارك كانت من نوع فريد، فقد كانت خلوته في طلب العلم وفي مطالعة كتب العلم.

فكان يصلي في المسجد وبعد انتهاء الصلاة يخرج مسرعًا، فسألوه إذا صليت معنا لِمَ لا تجلس معنا؟ قال: أذهب مع الصحابة والتابعين، قالوا: ومن أين الصحابة والتابعون؟ قال: أذهب أنظر في علمي فأدرك آثارهم وأعمالهم، فما أصنع معكم! أنتم تغتابون الناس، يعني لا شأن لي بمجالسكم لأنها في الغيبة.

أرأيتم كيف تكون الخلوة؟! خلوة في العلم وبُعد كامل عن شهوات النفس، وأهم شهوات النفس الحديث مع الناس والقيل والقال والغيبة وما شابه ذلك.

ولذلك كان أحد رفقاؤه واسمه يحي بن آدم يقول: **(كنت إذا طلبت الدقيق من المسائل فلم أجده في كتب ابن المبارك آيستُ منه)** يعني لن أجده في كتب أخرى، ومعنى ذلك أن هذه الكتب شاملة فيها كل العلوم التي وردت إليهم إلى عصره ﷺ وقال أحدهم: **(ما رأيتُ مثل بن المبارك تصيب عنده الشيء الذي لا تصيبه عند أحد).**

نصائحه لطالب العلم

لنا وقفة مع نصائح قدَّمها لطالب العلم:

النصيحة الأولى: يقول:

(تعلمنا العلم للدنيا فدلَّنا على ترك الدنيا)

يعني تعلَّمنا العلم لنطلب به الدنيا، فدلَّنا العلم على ترك الدنيا.

النصيحة الثانية: يقول:

(عجبت لطالب العلم كيف تدعوه نفسه لمحبة الدنيا؛ مع إيمانه بما حمل من العلم؟!)

يتعجب كيف لأحد أن يحمل العلم ويميل إلى الدنيا، فأين علمه؟! وهذه حقيقة:

ألا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُسمع ما تقول ويُشتفى ... بالقول منك وينفع التعليم

لا بد أن يبدأ الإنسان بنفسه.

النصيحة الثالثة: يقول:

(أكثركم علمًا ينبغي أن يكون أشدكم خوفًا من الله)

وهي حقيقة، فقد قال ﷺ: **{ أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً }**[٦٨]

كلما زاد علم المرء كلما زاد خوفه وزادت خشيته من الله، وإذا لم يصاحب العلم خشية يصيب القلب قسوة، ولذلك يقول الإمام الغزالي ﷺ في كتابه إحياء علوم الدين: **(علم الفقه وهو أشرف العلوم إذا لم يصحبه عمل به لم يزد القلب إلا قسوة).**

---

٦٨ صحيح البخاري

وهذا شيء نراه في مجتمعنا، فنجد من نُصبوا كعلماء في مساجد الله إذا لم يكن عاملًا بعلمه يتجرأ أن يُفتي الناس بما لا ينبغي في دين الله ﷻ، ولذلك من نسأل ومن نستفتي؟ ... قال: أهل الخشية.

النصيحة الرابعة: جعل من شرط العالِم شرطًا ضروريًا فقال:

(من شرط العالِم أن لا تخطر محبة الدنيا على باله قط)

كيف يكون عالمًا ويبغض الناس في الدنيا، ويكون هو أول من يحب الدنيا؟!.

النصيحة الخامسة:

(قيل له: من سفلة الناس؟ قال: الذين يتعيشون بدينهم).

وهذه الحديث واضح فيها، فقد قال ﷺ:

{ مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ؛ طُمِسَ وَجْهُهُ وَمُحِقَ ذِكْرُهُ وَأُثْبِتَ اسْمُهُ فِي النَّارِ }[٦٩]

وفي رواية أخرى:

{ مَنْ طَلَبَ عَمَلَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ فَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ }[٧٠]

يتظاهر بعمل من أعمال الآخرة ليستجدي الناس ويعطوه أموالهم، وهو طالب للدنيا وظاهره الدين ولكن في باطنه طالبًا للدنيا، فمثل هذا لا يكون عالِمًا وإنما جاهلًا مهما حفظ من كتب العلم.

النصيحة السادسة: يقول:

(إذا تعلَّم أحدكم من القرآن ما يقيم به صلاته، فليشتغل بالعلم فإنه به تُعرف معاني القرآن)

وهذه النصيحة وجهتها لكثير من الأحباب، ولكن كالعادة بعضهم يُصرّ على ما في نفسه، مثلًا بعضهم أُحيل إلى التقاعد وتعدَّى الستين سنة، أقول له: ماذا تفعل؟ يقول: أنا أحفظ القرآن، فأقول له: ليس الشأن أن تحفظ القرآن، ولكن الشأن أن يحفظك القرآن.

---

٦٩ معجم الطبراني عن الجارود بن العلاء ﷺ

٧٠ مسند الشهاب عن أُبي بن كعب ﷺ

فماذا تحتاج؟

آيات تحفظها من كتاب الله لتقرأها وأنت في الصلاة سواء كنت تؤم الناس أو تؤم نفسك، لكن بعد ذلك تحتاج أن تفهم معاني القرآن وتفهم علوم القرآن وتفهم ما ورد عن النبي العدنان من المعاني الحسان التي تعين المرء على بلوغ الغاية وهي رضاء حضرة الرحمن ﷻ.

النصيحة السابعة:

سُئل: ما ينبغي للعالم أن يتكرَّم عنه؟

يعني ما الذي يجب للعالم أن يُكرم به نفسه ويبعد عنه؟ قال:

(ينبغي أن يتكرَّم عما حرم الله تعالى عليه،
ويرفع نفسه عن الدنيا، فلا تكون منه على بال).

النصيحة الثامنة: يقول:

(جالس المساكين، وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة لأن المرء على دين خليله).

إياك أن تعرف رجلًا صاحب بدعة وتجلس معه وتظن في نفسك أنك تحاول أن تُقرِّبه، إذا حاولت أن تُقرِّب مُبعَد سيُبعدك معه، فمن نجالس؟ جالس الفقراء والمساكين الذي يريدون الله ﷻ.

وكان شاعرًا وله أبيات عظيمة في الوصايا والوعظ والنصائح، أحد أصحابه واسمه إسماعيل بن علية ولُّوه على الصدقات، يعني يجمع الصدقات من الناس، فأرسل إليه هذه القصيدة:

يا جاعل العلم له بازيًا[٧١]	يصطاد أموال السلاطين
احتلت للدنيا ولذاتها	بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنونًا بها بعدما	كنت دواءًا للمجانين
أين رواياتك فيما مضى	فى ترك أبواب السلاطين
إن قلت أُكرهت فما هكذا	زلَّ حمار الشيخ في الطين

نصائح تدل على علوُّ قدمه في الزهد.

٧١ البازي هو الصقر

ورعه وزهده

مع زهده كان شديد الورع، ولذلك له أقوال عظيمة في الورع، فيقول ﷺ: لو أن رجلًا اتقى مائة شيء، ولم يتورع عن شيء واحد لم يكن ورعًا، ومن كان فيه خُلة من الجهل كان من الجاهلين، أما سمعت أن الله تعالى قال لنوح عليه السلام لما قال: ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي ﴾ (٤٥هود) فقال الله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦ ﴾ (هود).

أحد أصحابه كان يزوره فشاهد حمامة تطير في البيت فسأله عنها، فقال له: كنا ننتفع بفراخ هذه الحمامة، فليس ننتفع بها اليوم، قلت: ولِم ذلك؟ قال: اختلطت بها حمام غيرها فتزاوجت بها فنحن نكره أن ننتفع بشيء من فراخها من أجل ذلك.

وأظن هذا وارد عن كثير من الصالحين، كان لا يأكل الحمام يعني لا يربيه لماذا؟ لأن الحمام لا يقف عند ما تطعمه به، بل يسرح ويلوف فتراه قد أتى لك بزوجين من هذه الجهة، وزوجين من الجهة الأخرى، فلا يوجد غير الحمام القطاوي الأرضي وهو لا يطير، فهذا ربما يكون بعيدًا عن هذا الأمر.

وكان يقول: **(لأن أردُّ درهمًا من شبهة أحب إليَّ من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف حتى ستمائة ألف)** لأن الشبهة ستجعله حرام، وأظن هذا ما كان عليه الصدِّيق، وكان عليه الفاروق، وكان عليه أصحاب رسول الله، فالصدِّيق كان يقول: **(كنا نترك سبعين بابًا من حلال، مخافة الوقوع في باب واحد من الحرام)** وقال ﷺ:

{ لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنْ الْمُتَّقِينَ؛ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ الْبَأْسُ }[٧٢]

وقال ابن المبارك: استعرت قلمًا بأرض الشام، فذهبت على أن أرده، فلما قدمت مَرو نظرت فإذا هو معي، فرجعت إلى الشام حتى رددته على صاحبه.

التجارة الرابحة

مع هذا كله كان تاجرًا مشهورًا، ولذلك سميناه ملك العلماء وكانت تجارته رابحة، وكانت تجارته نقل البضاعة من بلد إلى بلد، والذي نُطلق عليه في زماننا الإستيراد والتصدير، وكان كما يقولون: لو تاجر في تراب لربح منه ذهبًا، وهذا يكون توفيقًا من الموفق ﷻ وله في ذلك رأي مشهور، فقد كان يزور الفضيل بن عياض إمام الزُهَّاد في مكة المكرمة، فقال له الفضيل: أنت تأمرنا بالزهد والتقلل، ونراك تأتي بالبضائع من بلاد

٧٢ سنن الترمذي وابن ماجة عن عطية السعدي ﷺ

خراسان إلى البلد الحرام، كيف يكون هذا؟! فقال عبد الله بن المبارك: **يا فضيل إنما أفعل ذلك لأصون به وجهي، وأُكرم به عرضي، وأستعين به على طاعة ربي، لا أرى لله حقًا إلا سارعت إليه حتى أقوم به**، فقال له الفضيل: يا ابن المبارك ما أحسن ذا إن تم ذا.

وروي أنه قال للفضيل: **(لولاك وأصحابك ما اتجرت)** لأنه كان يجعل معظم ماله للإنفاق على الصوفية والصالحين والمجاهدين وطلاب العلم.

وكان يخص طلاب العلم بالنصيب الأعظم، فسُئل في ذلك، فقال: هؤلاء لو تركناهم لتركوا العلم، وضاع تراث رسول الله ﷺ، فإذا أعنَّاهم نشروا علوم رسول الله، ولا أرى بابًا ولا جهادًا أفضل من نشر علم رسول الله ﷺ.

سخاؤه

وكان مع هذا شديد السخاء، فكان يرتب أموره مع هذا الذي هو فيه، يحج عام ويغزو بالجهاد في سبيل الله عام، وقد مات وهو راجع من الجهاد.

والسنة التي كان يحج فيها يُعلن الحج ويذهب إليه كثير من أهل بلده يطلبون الصحبة، فيقول لهم: لا مانع، ويقول لهم: حتى لا ننشغل كلنا فكل واحد منكم يأتي بالنفقة التي جهزها ويضع النفقة كلها في صندوق، ويمشي يطعمهم أفخر أنواع الطعام حتى يصلوا إلى بغداد، ويتولاهم بكل ما يحتاجون إليه حتى يصلوا إلى المدينة المنورة على ساكنها ﷺ أفضل الصلاة وأتم السلام.

ويقول لكل واحد منهم: ما الذي طلبه عيالك منك لتشتريه من المدينة؟ فيقول له: كذا وكذا، فيقول له: خذ واشتري لهم، ثم يذهبون إلى مكة فيُنفق عليهم بنفقات باهظة، ويقول لكل واحد منهم: ما الذي طلبه عيالك منك لتشتريه من مكة؟ فيشتريه لهم.

فإذا رجعوا يصلح بيوتهم ويدهنها بالجصِّ لأنهم قادمون من الحج، ثم يدعوهم جميعًا عنده إلى وليمة، وبعد الوليمة يكسوهم ثم يقول لمن عنده: هات الصندوق، ويعطي لكل رجل منهم كيسه الذي وضعه في الصندوق!، أين هذه الأخلاق؟ أين هؤلاء الرفاق؟ نحن نحتاج إلى هذا الوفاق.

كان خارجًا ذات مرة للحج فرأى امرأة تأخذ طيرًا ميتًا من على مزبلة، فاستدعاها وسألها: لماذا تأخذي هذا الطير الميت؟ وكانت فقيهة فقالت: أنا لي ثلاث بنات وبقي لنا ثلاثة أيام لم نطعم شيئا، فأُحلَّت لنا الميتة، فنادى وكيله: كم أعددنا من المال لنفقات الحج

هذا العام؟ قال: كذا قال له: أبق منه ما يردنا إلى ديارنا، وأعطها نفقة الحج كلها في هذا العام ولا نحج والذين ذهبوا للحج من بلده بعد أن رجعوا من الحج جاءوا ليسلموا عليه، فمنهم من يقول له: قابلتك في الطواف وسلمت عليك، ومنهم من يقول له: قابلتك على عرفات، ومنهم من يقول له: قابلتك في مِنى، فاحتار في نفسه، فرأى رسول الله ﷺ في المنام فقال له: يا رسول الله إن الناس يقولون كذا وكذا وكذا، فقال ﷺ: إن هذه المرأة من آل بيتي، ولمَّا أكرمتها أكرمك الله فأرسل مَلَكًا في صورتك وحج عنك، لماذا؟ لأنه آثر هذا على ذاك، وهذا هو الفقه في الدين.

جهاده في سبيل اللّه

كان عبد الله بن المبارك يحج عامًا ويغزو عامًا يقاتل بسيفه، وكان يذهب إلى ميدان القتال ويضع غطاءًا على وجهه حتى لا يعلم به أحد، وانظر للإخلاص لله ﷻ، حتى أن أحد أصدقائه يقول: كنا ذات مرة في معركة مع الروم وخرج فارس من الروم وطلب المبارزة فخرج له رجل من بيننا فقتله، فخرج رجل فجرى وراءه وقتله، فذهبت إليه مسرعًا وكشفتُ غطاء وجهه لأراه فوجدته عبد الله بن المبارك، فقال: يا فلان حتى أنت تريد أن تفضحنا؟ لأنه يبغي العمل خالصًا لوجه الله ﷻ.

ولما سُئل: أنت الآن في خلوتك وفلان العابد في المكان الفلاني يعمل كذا، وفلان العابد في المكان الفلاني يعمل كذا، قال: لو صنعنا مثلهم، فمن الذي يعود المرضى؟! ومن الذي يشيع الجنازات؟! ومن الذي يجاهد في سبيل الله؟! ومن الذي ينشر دين الله إذا جلسنا كلنا في الصوامع؟! ولذلك خاطب أحد هؤلاء العُبَّاد لتركه للجهاد، وقال له:

يا عابد الحرمين لو أبصـــرتنا	لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان جيده[٧٣] بدموعه	فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يُتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الصيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	وهج السنابك[٧٤] والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا	قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستقيم غبار خيل الله في	أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت لا يكذب

٧٣ الجيد هو الرقبة
٧٤ السنابك هي الرماح

وقد ألَّف كتابًا في الجهاد، فكان يجاهد بقلمه، وأول من ألَّف كتابًا عن الجهاد في الإسلام هو هذا الرجل، وكان يجاهد بوعظه ولسانه ويجاهد بسيفه ويده.

وفاته

كان راجعًا ذات مرة من الحرب ضد الروم ....، والروم كانوا في مكان تركيا الآن.

وفي مدينة اسمها (هيت) على الفرات انتقل إلى جوار الله ﷻ ..

وكان هذا في يوم العاشر من شهر رمضان سنة ١٨١ هجرية.

وقبل أن يموت قال لمن حوله: أنا ابن ثلاث وستين، يعني يريد أن يقول أنه في عمر حضرة النبي ﷺ.

أحد أصحابه رأى النبي ﷺ في المنام فقال:

قلت يا رسول الله ما فعل ابن المبارك؟ قال:

﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ (﴿٦٩﴾ النساء).

ولما بلغ موته هارون الرشيد قال: (مات سيد العلماء) لأنه عالِم ليس له مثيل.

وقال محمد بن الفضيل عابد الحرم: رأيت عبد الله بن المبارك في المنام، فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: الأمر الذي كنت فيه، فقلت: الرباط والجهاد؟ قال: نعم، قلت: وأي شيء صنع؟ قال: غُفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة، وكلمتني امرأة من الحور العين.

هذا الرجل كان مجاب الدعاء، لا يدعو إلا استجاب الله له، ويكفينا في هذا الباب أنه مر في طريقه يومًا برجل أعمى فقال له الرجل: أسألك بالله أن تدعو لي، فسأل له الله فأبصر في الوقت والحال إجابة من الله ﷻ.

رحم الله هذا الإمام الذي جاهد بقلمه وجاهد بسيفه وجاهد بماله وتجارته، وكانت حياته كلها لله.

نسأل الله ﷻ أن ينفعنا به وبأشباهه وبأمثاله وأن يلحقنا بالصالحين أجمعين.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

١٢. الإمام الحكيم الترمذي

١٢- الإمام الحكيم التُرمذي ﷺ ١٨٤
بيئته ١٨٤
الملامتية ١٨٥
مدينة ترمذ ١٨٥
نسبه ومولده ١٨٦
نشأته ١٨٧
طلبه للعلم ١٨٧
سياحته ١٨٨
الطريقة الحكيمية ١٨٩
نصر الله ١٩١
أثر الحكيم وآثاره ١٩١
أسرته ١٩٣
من أقواله ١٩٣

قال الحكيم الترمذى ﷺ:

(رأيت رب العزة في المنام ألف مرة فسألته خاتمة الخير، فقال لي: قل إحدى وأربعين مرة كل يوم بعد صلاة الفجر:
يا حي يا قيوم يا بديع السماوات والأرض
يا ذا الجلال والإكرام يا الله يا الله يا الله)

١٢ - الإمام الحكيم التُرمذي رضي الله عنه [٧٥]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله والصلاة والسلام على باب الله سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه، نتحدث عن الإمام الذي اتفق الجميع على أن يُسمى بالحكيم، وهو الحكيم الترمذي رضي الله عنه وأرضاه.

وهو أول من تكلم عن الولاية والأولياء وعلوم الأولياء في الأمّة الإسلامية جمعاء، وعنه نقل اللاحقون، ولذلك نجد نصوص كلماته موجودة في معظم المراجع والكتب للسابقين والمعاصرين في هذا الزمان.

بيئته

هذا الرجل وُلد في بلدة تُسمى (تُرمُذ) وكانت في البداية تابعة لأفغانستان، لكنها حاليًا بعد تغير الأوضاع أصبحت تابعة لجمهورية أوزبكستان الروسية، وهي دولة الآن مستقلة وأهلها مسلمين.

هذه المنطقة كلها سواء أوزبكستان وتركمنستان وأفغانستان وشمال الهند وشمال فارس وشمال باكستان وغيرهم كانت كلها بلد واحدة وكانت تُسمى خُراسان، وهذه المنطقة تحقق فيها وفي أهلها قول النبي ﷺ:

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ مَنُوطًا بِالثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسَ }[٧٦]

والثُريا نجم مشهور في السماء يظهر بضوئه اللامع يعرفه العرب، وأشار النبي إلى هؤلاء، فإن هؤلاء يحتاجون إلى مرجع كبير للحديث عنهم.

هذه المنطقة كانت أغنى المناطق الإسلامية بالعلم والعلماء، يكفي أن نعلم أن جامعي الأحاديث أصحاب الكتب الستة المشهورين كلهم من هذه المنطقة وهم البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة، لأنهم كانوا يهتمون اهتمامًا بالغًا بجمع أحاديث حضرة النبي ﷺ وتنقيحها وتنقيتها.

أيضًا كثير من فحول الصوفية – وتحدثنا من قبل عن بعضهم في هذا المقام – ينتمون إلى هذه البلاد، منهم من ينتمي إلى نيسابور، ومنهم من ينتمي إلى بلخ، ومنهم من ينتمي إلى خوارزم، وكلها كانت مدن مشهورة بكبار الصالحين، حتى أنهم اشتهر فيهم

---

٧٥ المقطم – مجمع الفائزين ٣ من ذي الحجة ١٤٤٤هـ ٢٠٢٣/٦/٢١م

٧٦ سنن الترمذي والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

طائفتين يعتبروا من ألمع طوائف الصوفية في كل زمان ومكان، طائفة اسمها الملامتية وأخرى اسمها أهل الفتوة.

الملامتية

طائفة الملامتية ظهرت هناك وكاد ينطفئ نورها الآن، وهم الذين لا يريدون أن يظهر عليهم للناس عملًا عملوه لله، لا يطلع على عملهم إلا حضرة الله، فإذا اطلع أحد من الخلق عليهم في عمل تصنعوا بخلافه حتى يسقط من نظر الخلق، فسُموا الملامتية من كثرة لومهم لأنفسهم، يعني باختصار لا يحبون الظهور، ولا يحبون أن يعرفهم إلا حضرة الله ﷻ.

مثال: واحد منهم تبرع ذات مرة في عمل خيري في مشروع بثلاثمائة ألف درهم، فأراد القائمون على المشروع كما يفعل البعض الآن أن يشجعوا الآخرين، فأعلنوا أن فلان الفلاني تبرع بثلاثمائة ألف درهم، وجمع كبير كان حاضر، فلم يستحي الرجل أن صعد على المنصة وقال: معذرة أنا تبرعت بهذا المبلغ بالأمس، ولكن كنت لم أستشر أمي، فلما استشرت أمي أمرتني أن أسترد المبلغ مرة ثانية، من الذي يستطيع فعل هذا إلا إذا كانت نفسه قد ماتت بالكلية؟! فكانوا على هذه الشاكلة ولهم أحوال عجيبة وغريبة.

والطائفة الأخرى وهم أهل الفتوة، لأنهم كان عندهم فتوة زائدة في الإقبال على الله، وفي خدمة دين الله، وفي العمل الصالح الذي يوصل إلى رضاء الله ورضوانه ﷻ.

هذه الأماكن تحتاج إلى دراسة واسعة لبيان فضل أهلها على أنفسهم، وعلى الأمة الإسلامية جمعاء.

مدينة ترمذ

مدينة ترمذ مجاورة لأفغانستان لأنها كانت من ضمن مدنها، وتقع على نهر يسمى نهر جيحون، وكانت المدينة في البداية معقلًا للديانة البوذية، كان فيها ١٢ معبد بوذي وفيها ألف راهب للديانة البوذية في هذه المعابد، ولكن الله ﷻ فتحها على يد قائد مسلم اسمه موسى بن عبد الله بن حازم.

ومنذ فتحها تحول أهلها بالكلية إلى الإسلام، وأصبحوا جنودًا في خدمة الإسلام كلهم أجمعين، وللأسف كل أهل هذه المناطق كانوا يتكلمون باللغة العربية ويحفظون القرآن ويحفظون الأحاديث، ونسوا اللغة الفارسية واللغة التركية وكل هذه اللغات، ولكن التعصب للجاهلية والحيل اليهودية والاستعمارية أججت عندهم العصبية الجاهلية فنسوا الآن اللغة العربية ورجعوا إلى لغات الجاهلية، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

نسبه ومولده

الحكيم الترمذي اسمه محمد بن علي الترمذي.

وله قريب له مشهور اسمه محمد بن عيسى الترمذي الذي اشتهر بسنن الترمذي المنسوبة إليه.

وهو أول رجل جمع الشمائل المحمدية في كتاب وسماه (الشمائل المحمدية).

وهو الذي روى أنه رأى الله ﷻ في المنام فقال: إني أخاف من سوء الخاتمة ومن يوم القيامة، فقال له:

(قل بعد صلاة الفجر كل يوم ثلاث مرات:
اللهم بحق الحسن وأخيه، وأمه وأبيه، وجده وبنيه،
فرِّج عنا ما نحن فيه، إلهي لا نسألك رد القضاء بل نسألك اللطف فيه)

وهذا دعاء مجاب لأنه تلقاه من المجيب ﷻ، فهذا محمد بن عيسى الترمذي.

أما محمد بن علي الترمذي فهو الملقب بالحكيم، وُلد سنة ٢٠٥ هجرية، وأعطاه الله عمرًا طويلًا، قال رجل لرسول الله ﷺ:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ }[٧٧]

فعاش حوالي ١١٥ عامًا، وتوفي عام ٣٢٠ هجرية ودُفن في ترمذ ولا يزال ضريحه إلى الآن موجود، ولكن في الخرائب والأماكن القديمة في ترمذ.

هذا الرجل نرى فيه بوضوح كيفية جهاد الأولياء وما يتعرضون له من بلاء، فلنا فيه وفي أشباهه أسوة حسنة، لأنه كما قيل: (لا منحة إلا بعد محنة، ولا عطية إلا بعد بلية).

فمن ينتظر أن يرتقي في مقامات ولاية الله بدون اجتهاد ولا جهاد للنفس، وبدون تعرض للبلاء وصبر وتحمل ولا يشكو إلى أحد غير مولاه فهذا يطمع في شيء محال، لأن هذا لا يكون للصالحين أبدًا:

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ (العنكبوت).

---

٧٧ سنن الترمذي ومسند أحمد عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه

نشأته

هذا الرجل كما تحدثنا عمن كان قبله، فالبيئة الأولى لها التأثير الأول في تكوين الإنسان، فأبوه كان محدثًا وفقيهًا، ولذلك كان هو معلمه الأول، وكانت أمه أيضًا محدثة، وانظر إلى هذه البلاد كانت الأمهات محدثات وحافظات لكتاب الله وباللغة العربية، لكن تغير الزمان.

فمشى في هذه البيئة، فلم يعرف طريقًا للهو ولا للعب كبقية الصبيان، وإنما أخذه أبوه ونمَّى فيه وغرس فيه حب العلم، وهي أهم فضيلة نغرسها في أبنائنا، كيف؟ اعزم وتوكل على الله فإن الله يعينك على تحقيق مرادك إن صدقت إن شاء الله.

عزم أبوه على أن يكون وقته كله للعلم فأحب العلم والعلماء وكانت كل مجالسه بدل اللهو واللعب مع العلم ومع العلماء، أبوه في البيت يحدثه، وأمه إذا خرج أبوه تحدثه، وإذا خرج هو يخرج إلى مجالس العلم ومجالس العلماء، فكان اهتمامه كله لطلب العلم.

والعلم كان في هذا الوقت هو علم الدين كعلم التفسير وعلم الفقه وعلم الحديث وعلم التاريخ الإسلامي وسيرة الرسول .. كانت هذه العلوم التي يهتم بها الناس في هذا الوقت، لأنها العلوم التي كانوا يحرصون عليها، قال ﷺ:

{ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ وَأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ }[٧٨]

ما دليل حب الله؟

أن أجد في نفسي طاقة وأريد أن أستزيد من علم الدين ومن الفقه في دين الله ﷻ.

طلبه للعلم

بعد فترة توفى أبوه، وكان طالب العلم لا بد له من السياحة، لأن العلم لم يكن متوفرًا في كل الأماكن، فاتفق مع اثنين من رفقائه على أن يهاجروا في طلب العلم، فيذهبوا أولًا إلى نيسابور وهي عاصمة الإقليم في خراسان، وإذا انتهوا من نيسابور يذهبوا إلى بغداد ليطلبوا العلم.

فأمه مرضت، وكانوا لتعلمهم العلم بررة بآبائهم وأمهاتهم، فقالت يا محمد أنا امرأة ضعيفة وليس لي أحد غيرك فإلى من تكلني؟ يعني كيف تسافر وتتركني؟!

---

٧٨ مسند البزار والطبراني عن عبد الله بن مسعود ﷺ

فحزن حزنًا بليغًا وسافر رفيقاه ولم يسافر معهما.

ولكنه من شدة الحنين كان إذا تذكر هذا الأمر يبكي بكاءًا حارقًا ومرًا لتخلفه عن طلب العلم حتى وصل به الأمر أنه كان يخرج إلى المقابر ليبكي كما يشاء لأنه لا يرى الخلق ولا الخلق يرونه.

وذات يوم ذهب إلى المقابر وأخذ يبكي بكاءًا مرًا حتى وقع من كثرة البكاء، وإذا برجل صبيح الوجه يقترب منه ويربت على كتفية، ويقول له: لِمَ تبكي؟ فأخبره، فقال له: أنا أعلِمك ما فاتك من العلم، فأنت تأتيني هنا يوم الأحد من كل أسبوع وأنا سأعلمك كل ما فاتك من العلم حتى تسبق هؤلاء، واستمر في تعليمه لمدة ثلاث سنوات، وبعد أن انتهى من تعليمه قال: أتعرف من أنا؟ قال: لا، قال: أنا الخضر وقد جئت لتعليمك لبرك بأمك، فعلَّمه الخضر الذي يقول فيه الله: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (الكهف).

فتفتقت العلوم في قلبه على العلوم الإلهامية الإلهية من هذا الولي التقي الذي سقاه من هذا النبع الإلهي.

سياحته

ظل في بلدته حتى وصل إلى سن السابعة والعشرين، وحدث عنده شوق شديد إلى الخروج للحج إلى بيت الله الحرام، وما دام خارجًا إلى بيت الله الحرام كان السفر للحج لهؤلاء يستمر لمدة سنة أو يزيد، لأنهم إذا أراد أحدهم الحج كان لا بد أن يكون هناك في مكة في شهر رجب، ويبق في هذه الأشهر في مكة، وماذا يفعل؟ يظل في العبادة والتحنث والخلوة لله ﷻ، وكانوا يعتبرونها فترة لجهاد النفس.

وهو في طريقه كان يمر على بلاد العلم ويلتقي بالعلماء ويجالسهم ويستمع منهم، فلا مانع أن يبق في بغداد شهر، ويبق في البصرة شهر، فذهب إلى بغداد وإلى الكوفة وإلى البصرة ليتعلم العلوم التي لم يتعلمها في بلدته.

ولأن هذه البلاد كانت بلاد مشهورة، فمن يُرد الفقه كان يذهب إلى بغداد لأنها كان فيها مقر الإمام أبو حنيفه وتلاميذه أبو يوسف ومحمد، وكذلك مقر الإمام أحمد بن حنبل، ومن يريد النحو والصرف واللغة العربية كان يذهب للبصرة وكان أيضًا فيها سيبويه والكسائي وفحول اللغة العربية، فكل بلد تحوي فحولًا في ناحية من نواحي العلم، فأخذ جولة في هذه البلاد، ثم في مطلع رجب كان في مكة المكرمة.

وفي مكة المكرمة هداه الله إلى جهاد النفس، فأخذ يجاهد نفسه جهادًا شديدًا في القيام والصيام والطواف وتلاوة القرآن وطلب العلم، وكانت أيضًا مكة موطنًا للعلماء الأكابر، فكان يقضي وقته بين هؤلاء جميعًا في طلب العلم.

وفي النهاية وهو يشرب من ماء زمزم طلب من الله ﷻ أن يحفظ القرآن ولا يتفلت منه بالمرة، وهذا كان أهم شيء عنده، وعند رجوعه أخذ يسترجع القرآن ويحفظ ما تيسر له من القرآن، فحفظ القرآن كله بفضل الله ومنته ﷻ.

وكم من أناس دعوا بهذا الدعاء هناك ونالوا هذه الأمنية، وأنا بنفسي شاهدتُ رجلًا لا يقرأ ولا يكتب وقف أمام الكعبة وقال: يا رب أريد أن أقرأ القرآن فيسِّر لي هذا الأمر، فيسر الله له تلاوة قراءة القرآن بدون تعلم القراءة والكتابة، فقضى بقضية حياته ممسكًا بمصحفه، لا يستطيع أن يقرأ شيئًا غيره من كتاب أو صحيفة أو غير ذلك، لكن ألهمه الله ﷻ وهداه إلى تلاوة كتاب الله ﷻ.

فحفظ الحكيم الترمذي القرآن وقال وهو مسافر من البيت الحرام: (الآن وجدتُ قلبي) كأنه كان يبحث عن الصفاء والنقاء لقلبه فوجده، وبدأ الطريق إلى الله ﷻ.

عندما رجع إلى بلدته كان يقضي الليل كله في تلاوة كتاب الله ﷻ، ففتح الله ﷻ عليه، وكان أيضًا يذهب للأولياء والصالحين ليزورهم ويتعلم منهم، ومن أبرز من ذهب إليه من الصالحين في وقته أبو تراب النخشبي، ويحي بن الجلاء وأحمد بن خضراويه، وهم من كبار الصالحين.

الطريقة الحكيمية

بدأ يتجمَّع حوله تلاميذ، فأسس الطريقة الحكيمية نسبة إليه، وجعل لها عنوانًا ليتنا نضع هذا العنوان لنا أجمعين: **(الصادق في الطريق يطلب ربه به لا بشيء سواه)** وهذا عنوان للمريد الذي يطلب سلوك هذا الطريق.

والطريق جعل له أُسس، والأساس الأول التوبة الصادقة النصوح، التي لا نكوص بعدها ولا رجوع إلى ذنب أو همّ بمعصية، بعد ذلك كان ينصح أصحابه بالخلوة والعزلة، العزلة عن الناس الذين يشغلون الإنسان عن طاعة الله والإقبال على مولاه ﷻ، ولذلك كان يقضي وقته إما في بيته معتزلًا الخلق، وإما في المقابر، وإما في الصحاري والقفار، المهم أن يبعد عن الناس.

وكان يجاهد نفسه، والعارفون في هذا المقام كل همهم إذلال النفس، النفس تميل إلى الكبر وإلى حب الظهور وإلى العزة وإلى الفخر، فوقع في يده كتاب لرجل من الصالحين، طبق هذا الكتاب على نفسه لإذلال نفسه، فماذا كان يفعل؟ تارة كان يمشي في الشوارع حافيًا والنفس لا تحب ذلك وخاصة أنه كان من الأغنياء والوجهاء، وتارة كان يمشي ويحاول أن يصنع بيده المهن أو الأعمال التي يزدريها الخلق، كمساعدة الضعفاء وخاصة ذوي العاهات وذوي الحاجات، ويقوم بهذه الأعمال إذلالًا للنفس حتى تنقاد له وتسير كما أمر الله ﷻ، ويصل إلى مراده ﷻ.

كان يجتمع مع تلاميذه ويذكروا الله، وبعد الذكر يتحدث معهم بما يفتح عليه الله من العلوم الإلهامية، وهنا ككل الصالحين ليس كل المريدين على النهج السوي، فبعضهم كان يخرج ويحدث بما يسمع، وهو كان يتكلم بعلوم عالية، فهذه كانت تؤجج نار الغيرة في قلوب علماء الظاهر، فيأولوها ويحرفوها ليكيدوا لصاحبها حسدًا منهم.

فذهبوا إلى الوالي وأخبروه أن هذا الرجل يتكلم بعلوم لا تليق بالأفهام ولا تطيقها الأسماع، وهذا فتنة للخلق، وطبعًا هؤلاء علماء السلطة ومعروفين ومشهورين ولهم جاه عند الحكام والعلماء، فالحاكم أمر أن يحضروه وقال له: لا تتحدث بعد ذلك في هذه العلوم، ونفاه من بلده ترمذ إلى خوارزم.

الأولياء عندما تتجاذبهم المصائب ماذا يحدث معهم ليُسكِّنهم؟ تأتي الرؤيات المنامية، أو يأتي فيها خير البرية ليطمئنهم ويُسكِّنهم، وهذا سر قوله ﷺ:

{ لَا يَبْقَى بَعْدِي مِنَ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ أَوْ تُرَى لَهُ }[٧٩]

هو كان يرى ويُرى له، ففي وسط هذه المعمعة يحكي أنه رأى سيدنا رسول الله ﷺ في المسجد القريب من بيته، فصعد رسول الله ﷺ المنبر وهو خلفه ولاصق بطنه بظهره ﷺ، وكلما صعد النبي درجة صعد وراءه هذه الدرجة، فلما صعد الدرجة العليا جلس هو على الدرجة التي تليها ووجهه إلى رسول الله وجسمه إلى الخلق، فاطمأن إلى أنه على قدم حضرة النبي وأنه سالك على الطريق السوي الذي كان عليه حضرة النبي، وانطبق عليه قول الله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ (الأنعام) لأن القدم على القدم بالنسبة لرسول الله ﷺ.

---

٧٩ مسند أحمد والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها

نصر الله

هذه المحنة مكث فيها عشر سنين.

ومع أنها في الظاهر كانت محنة لكن في الباطن كانت منحة، كيف؟

في أثناء هذه الفترة كان يخلو بربه، فيُلهم بعلوم إلهامية، وفي هذه الفترة سجَّل كتبه وكتبها، فكتب ما يزيد عن ستين كتابًا من العلوم الإلهامية العالية، هل كان يستطيع كتابتها وهو منشغل بالناس؟ لا، ولذلك يقول: **(ما كتبت شيئًا عن قراءة، وإنما كنت أكتب لأتسلى)** يعني كان يسلي وقته بتقييد المواهب الإلهية التي ترد على خاطره وعلى قلبه فيسجلها ويكتبها.

بعد هذه الفترة تغير الأمر، والذين كانوا يحقدون عليه كانوا يشنعون عليه بين الناس، فعرف الناس من رب الناس فضله، فذهبوا إليه وطلبوا وأَلَحّوا على الوالي فرده إلى بلده.

وبعد ذلك تزاحموا على بيته وطلبوا منه أن يحدثهم بما فتح الله ﷻ عليه، فأخذ يحدثهم، فتكاثر الناس وامتلأت الشوارع حول البيت وقالوا: لا بد لنا من الذهاب إلى المسجد، فجاء نصر الله فذهب إلى المسجد !!!

وتكاثر الناس وبدأت تنتشر طريقته وعلومه في الآفاق.

أثر الحكيم وآثاره

من ضمن إكرامات هذا الرجل أنه عندما جاءه من يفتش يبحث عن كتبه، فوضعها في صندوق وأرسلها مع أحد تلاميذه وقال له: اذهب إلى بحر قزوين ستظهر لك سمكة فارم الصندوق في فم هذه السمكة، فذهب الرجل وفعلًا وجد سمكة حوت كبيرة فألقى فيها الصندوق.

وبعد أن استقرت به الأمور إذا بالسمكة تأتي إلى شاطئ البحر وتلقي الصندوق مرة ثانية على البر فحفظ الله ﷻ علومه من التبديل والتحريف والحرق وغيره، ما هذا؟ لأنه لا يريد بذلك إلا وجه الله ﷻ.

كتبه كثيرة، منها كتاب (نوادر الأصول) وهذا جمع فيه ٢٩١ حديثًا من الأحاديث التي يرى أنها أصول يجب أن يمشي الناس عليها، وشرح هذه الأحاديث، والكتاب متوفر وموجود من جزئين والحمد لله.

وكتاب (الأمثال من القرآن والسنة).

وكتاب (نظائر القرآن)، وكتاب (الوجوه والنظائر).

وكتاب (الفرق بين القلب والصدر والفؤاد واللُّب) .

وكتاب (المسائل المكنونة)، وكتاب (علل الشريعة).

وكتاب (الصلاة ومقاصدها)، وكتاب (الحج وأسراره)، وكتاب (علم الأولياء).

وكلها كتب عظيمة.

وأبرزها الكتاب الذي كان من أسباب الفتنة الكبرى والذي سماه (ختم الأولياء) والذي تحدث فيه عن الولاية، ومن هو الولي؟ وصفات الولي، وكيف يصل إلى الولاية؟ وأنواع الأولياء، والأفراد والصديقين والأوتاد ... وهذه الأمور كلها هو أول من تحدث عنها ﷺ وأرضاه ولأن الناس يدَّعون الولاية وضع ١٥٥ سؤالًا في هذا الكتاب وقال:

من كان يدَّعي الولاية يجيب على هذه الأسئلة!!!

فإن استطاع أن يجيب عليها فيكون وليًا لله ﷻ.

الأسئلة التي وضعها لا يستطيع أن يجيب عليها أحد إلا إذا كان من أهل المكاشفة، لأنها ليست من علوم الكتب وإنما من علوم المكاشفة.

الشيخ محي الدين بن العربي أجاب عليها مرتين، أجاب عليها في كتاب (الفتوحات المكية) الشهير، وأجاب عليها في كتاب مخصوص سماه (القسطاس المستقيم فيما سأل عنه الترمذي الحكيم).

والإمام أبو الحسن الشاذلي ﷺ كان له درس أسبوعي في شرح كتاب ختم الأولياء.

وكان تلميذه سيدي أبو العباس المرسي حريصًا مهما كانت عنده الشواغل أن يحضر هذا الدرس، وكانا يسميان الحكيم الترمذي (الإمام الرباني) ويقولان:

أنه أحد أوتاد الأرض الأربعة.

وفي عصرنا عرضناها على مولانا الشيخ محمد علي سلامة فأجابها بأسلوب مبسط للعصر ووضعها في كتاب (شرح أسئلة الحكيم الترمذي)

كل من جاء بعد الترمذي وكتب في التصوف أخذ منه.

كابن القيم وابن عربي والغزالي والسيوطي والبدليسي والنقشبندي، كلهم أخذوا من كتبه لأنه أول من فتح هذا الباب من كنوز حضرة الوهاب ﷻ.

أسرته

الحكيم الترمذي تزوج وأنجب خمسة أولاد.

وكان من عناية الله ﷻ به أن امرأته كانت من الصالحات وكانت سالكة في طريق الله ﷻ، ولها مكاشفات ومنامات، حتى تعينه على سلوك طريق الله ﷻ.

من أقواله

له أقوال كثيرة وكتبه موجودة ومتوفرة تستطيعون الرجوع إليها.

يقول رضي الله عنه:

(ليس في الدنيا حمل أثقل من البر،
فمن برَّك فقد أوثقك، ومن جفاك فقد أطلقك)

ويقول: **(كفى بالمرء عيبًا أن يسره ما يضره)**

وماذا يعني هذا؟ الناس الذين يفرحون بزخارف وزينة وملاذ وشهوات الحياة الدنيا، وهو يعرف ويعلم علم اليقين أنها تضره في آخرته، ويعلم أنها تضره أيضًا في دنياه، فهل يوجد عيب أكثر من هذا؟ لا يوجد أبدًا.

ويشير رضي الله عنه إلى عُلو كعبه في الولاية فيقول:

(من جهل أوصاف العبودية، فهو بنعوت أوصاف الربوبية أجهل)

لا بد أن تعرف أولًا أوصاف العبودية لتتخلق بها، فكان الفخر لرسول الله بصفات العبودية.

ويقول رضي الله عنه:

(صلاح خمسة في خمسة:
صلاح الصبي في المكتب، وصلاح الفتى في العلم، وصلاح الكهل في المسجد،
وصلاح المرأة في البيت، وصلاح المؤذي في السجن)

ويحكي عن ابن عباس ﷺ قال:

(تلا رسول الله ﷺ: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾
{ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا مُوسَى لَنْ تَرَانِي، إِنَّهُ لَنْ يَرَانِي حَيٌّ إِلاَّ مَاتَ،
وَلاَ يَابِسٌ إِلاَّ تَدَهْدَهَ، وَلاَ رَطْبٌ إِلاَّ تَفَرَّقَ،
إِنَّمَا يَرَانِي أَهْلُ الْجَنَّةِ الَّذِينَ لاَ تَمُوتُ أَعْيُنُهُمْ، وَلاَ تَبْلَى أَجْسَادُهُمْ }[٨٠]

وهي مقولة مشهورة عند الصالحين وهو أيضًا أتى بها من عند سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

وقال:

(ما صنفت شيئًا عن تدبير ولا أن يُنسب إليَّ شيء منه،
ولكن كان إذا اشتد عليَّ وجدي فكنت أتسلى بمصنفاتي)

وقال ﷺ:

(دعا الله الموحدين للصلوات الخمس رحمة منه عليهم؛
وهيأ لهم فيها ألوان الضيافات لينال العبد من كل قول وفعل شيئًا من عطاياه ﷻ،
فالأفعال كالأطعمة، والأقوال كالأشربة وهم عرش الوحدانية)

وقال ﷺ:

(إذا مكثت الأنوار في السر نطقت الجوارح بالبر)

وقال:

(رأيت رب العزة في المنام ألف مرة فسألته خاتمة الخير،
فقال لي: قل إحدى وأربعين مرة كل يوم بعد صلاة الفجر:
يا حي يا قيوم يا بديع السماوات والأرض
يا ذا الجلال والإكرام
يا الله يا الله يا الله)

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٨٠ جامع المسانيد والمراسيل، أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» وأبو نعيم في «الحلية» عن ابن عباس

١٣- أمير أهل الحديث الفضيل بن عياض

١٣- أمير أهل الحديث الفضيل بن عياض ﷺ ١٩٦
مولده ١٩٧
نشأته ١٩٨
توبته ١٩٩
إلى الكوفة ٢٠٠
براعته في علم الحديث ٢٠٠
نظرته إلى العلم ٢٠١
في مكة ٢٠٣
حياته ٢٠٣
زهده وورعه ٢٠٤
عبادته ٢٠٦
عنايته بالقرآن الكريم ٢١٠
النصح للخلفاء ٢١١
خاتمة ٢١٥
وفاته ٢١٦

قال الفضيل بن عياض ﷺ:

(المؤمن قليل الكلام كثير العمل، والمنافق كثير الكلام قليل العمل، كلام المؤمن حكمة، وصمته تفكر. ونظره عبرة. وعمله بر، وإذا كنت كذا لم تزل في عبادة)

١٣- أمير أهل الحديث
الفضيل بن عياض رضي الله عنه [٨١]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نور الله الدال بالله على الله بالله وآله وصحبه ومن والاه.

نتحدث عن رجل من كُمَّل الصالحين:

هو الإمام الفُضيل بن عياض رضي الله عنه وأرضاه.

والإمام أبو القاسم القشيري قسَّم كتابه (الرسالة القشيرية) قسمين:

القسم الأول ذكر فيه تراجم وسير حياة نفر من الصالحين السابقين له.

والقسم الثاني ذكر فيه أحوال الصالحين ومقاماتهم.

وأول من ذكرهم في كتابه من الصالحين:

الإمام الفُضيل بن عياض والشيخ إبراهيم بن أدهم.

الدكتور عبد الحليم رحمة الله عليه هو أول من حقق كتاب (الرسالة القشيرية) وأخرجه للنور بهذه الهيئة العلمية الثرية، وله تعليق لطيف في هذا الأمر، يقول رضي الله عنه:

بدأ القشيري في تراجم الصالحين بذكر الفُضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم لأنهما كان لهما سابقة غير سوية، حتى يفتح الباب للمذنبين والعصاة ليتوبوا ويرجعوا إلى الله عز وجل ويكرمهم الله كما أكرم هؤلاء.

وقصة الفضيل بن عياض:

تفتح المجال لكل واحد منا بأنه لا محال على فضل الله، وأن فضل الله تبارك وتعالى واسع يشمل أي إنسان يتعرض لفضل الله في أي زمان ومكان مهما كانت بدايته ومهما كانت أحواله في بدايته، فإنه كما قيل:

ما بين طرفة عين وانتباهتها ... يبدل الله من حال إلى حال

---

٨١ المقطم – مجمع الفائزين ٨ من محرم ١٤٤٥هـ ٢٠٢٣/٧/٢٥م

مولده

الفُضيل بن عياض رجل عربي من قبيلة مشهورة من القبائل العربية وهي قبيلة تميم، والقبائل العربية لما منَّ الله على الأمة الإسلامية بالفتوحات الإسلامية تركوا البادية والصحراء وذهبوا إلى هذه الجهات الجديدة لأمر يبغون به رضا الله، وهو نشر الإسلام بين أهل هذه الجهات طلبًا لمرضاة الله.

فلم يهاجروا للحصول على أموال ولا لنيل مكاسب ومآرب، وإنما هاجروا لينشروا دين الله ﷻ بين هؤلاء الأجانب الذين لم يسبق لهم معرفة بالإسلام.

فقبيلة تميم في البداية هاجرت من الجزيرة العربية إلى الكوفة، والكوفة بلدة حديثة أسَّسها وبناها الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه، وجعلها عاصمة لدولته عندما كان في فترة خلافته، فانتقلوا أولًا إلى الكوفة، ومن الكوفة بعد ذلك توالت الفتوحات الإسلامية على هذه المنطقة الشاسعة، بلاد فارس وهي إيران الآن، والجمهوريات الروسية المسلمة وتتبع شمال إيران، وأفغانستان، وباكستان، وماليزيا، والهند .. فتوحات إسلامية بلغت إلى حدود بلاد الصين.

فانتقلوا مرة أخرى من الكوفة كبقية القبائل العربية إلى هذه البقاع الجديدة لنشر الإسلام، وكانت المنطقة التي تمتد من العراق إلى بلاد الهند وأفغانستان كلها إقليم واحد يُسمى إقليم خراسان، وإقليم خراسان نحفظه جيدًا لأنه كان فيه نهضة ثقافية عظيمة، وكثير من العلماء الذين أبدعوا وظهروا في مجال العلوم الإسلامية كانوا من هذا الإقليم وفيهم يقول ﷺ:

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ مَنُوطًا بِالثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسَ }[٨٢]

أي عندهم من قوة الإيمان ما يجعلهم يصلون إلى الثريَّا – وهو نجم يسطع في أفق السماء – بقوة إيمانهم وقربهم لله ﷻ.

إقليم خراسان كان فيه بلدان كثيرة مشهورة أشهرها مدينة مرو ومدينة بخارى والتي منها الإمام البخاري، ومدينة طوس والتي منها الإمام الغزالي، فهاجرت قبيلة تميم إلى ناحية مرو، ووُلد هناك الفضيل بن عياض مع أن أصله من الكوفة، وأصله قبل ذلك من الجزيرة

---

٨٢ سنن الترمذي والطبراني عن أبي هريرة ﷺ

العربية، وكان ميلاده في القرن الثاني الهجري في عام ١٠٧ هجرية تقريبًا، يعني هو من الرعيل الأول من الصوفية.

نشأته

ونشأ ببلدة اسمها (أبيورد)، وكما ذكرنا قبل ذلك لا بد أن تجد عند كل وليّ من أولياء الله بيئة صالحة نشأ فيها هذا الولي، وهي التي غذته ونمته ورعرعته، فكان أبوه رجلًا معروفًا بخشية الله والخوف من الله ﷻ.

وبشرى أخرى نأخذها في هذا المقام بشَّرنا بها إمامنا أبو العزائم ﷺ وأرضاه، فقال لنا: (أولاد الرجل الصالح حتى ولو تاهوا في الدنيا قليلًا، لا بد أن يرجعوا إلى صلاحهم وإيمانهم قبل الموت، ليتوفاهم الله مؤمنين ويُلحقهم بالصالحين).

فهذا الرجل ينطبق عليه هذا المثال، أبوه كان رجلًا صالحًا والدليل على الصلاح والتقى خشية الله والخوف من الله، وهذا الدليل العملي الواضح، إلا أن الفُضيل رغم نشأته في هذه البيئة لعبت به نفسه، وضحكت عليه الدنيا، وربما قرناء السوء لأن كل قرين بالمقارن يقتدي.

وكان في أيامهم ينتشر بكثرة قُطَّاع الطريق بين طرق العباد المختلفة في كل أصقاع الأرض، فكل الطرق كانت معرضة لقطاع الطريق، لأن الناس كانوا يسيرون إما على إبل وإما على حمير، وكل هذه الركائب لا تحمي راكبها ولا تحصنه من معاداة هؤلاء القطاع.

فكانت كل الطرق تقريبًا عليها قطاع طريق، وهذا أمر يدرُّ عليهم مكاسب كثيرة، والناس لعلمهم بذلك كانوا لا يسيرون من بلد إلى بلد إلا في قافلة كبيرة، يعلنون أن هناك قافلة ستسير من بلدة كذا إلى بلدة كذا يوم كذا، فيتجمع الناس ويمشون مع بعضهم ليحموا بعضهم، ولكن لا يستطيعون حماية أنفسهم من هؤلاء الذين لا حياء لهم ولا دين لهم في هذا الحال وفي هذا العمل الذي يقومون به.

فكان الفُضيل قد اندمج في طائفة من هؤلاء إلى أن أصبح زعيم العصابة، والعصابة أو العصبة يعني الجماعة، ونحن نطلقها في اللغة العامية يعني الجماعة الذين يعملون في أعمال الشر، هذه العصبة وقفت على الطريق بين مدينة أبيورد ومدينة الكوفة – وهو طريق طويل – تقطع الطريق على الذاهبين والراجعين، إلى أن نشر الرعب في قلوب الناس، فكل من يسافر يخاف منهم، فهل رأيتم البداية؟!

وهل هي بداية مفرحة؟!

فهذه بداية الرجل الذي سوف نرى نهايته.

توبته

سبب توبته أنه عشق امرأة وذهب لبيتها يريد أن يصعد على جدار السطح وينزل لها، وجاءت العناية الإلهية، وإذا جاءت العناية الإلهية فتحت الآذان القلبية لكلمات رب البرية، فترتجُّ كل أرجاء الإنسان، ويعود صاغرًا إلى الحنان المنان ﷻ.

وهو لا يزال على الجدار قبل أن ينزل سمع قارئًا يقرأ: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ (١٦الحديد) من الذي قرأ؟ البعض يقول: هاتف، والبعض يقول: مَلك من الملائكة، والبعض يقول: رجل صالح كان يقرأ، المهم دخل الصوت إلى قلبه، فقال: آن يا رب، ونزل ووعد الله ﷻ أن يتوب وأنه تكفيرًا لخطيئته سيذهب إلى البيت الحرام ويديم الإقامة هناك تائبًا إلى مولاه ﷻ.

وهذا كما قال بعض الصالحين:

(من لمحة تقع الصُلحة)

فيكون الإنسان في قمة المعاصي ولمحة من العناية الإلهية تجعله يرجع إلى الله ﷻ، وينال ما حصَّله الصالحون بسبب عناية الله ﷻ بهم.

وطبعًا التوبة يكون معها في البداية تأنيب ضمير، وتوبيخ الإنسان لنفسه، فتبدأ النفس اللوامة تلوم الإنسان، ولذلك أقسم بها الله وقال في قرآنه: ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾ (القيامة) فأخذ يلوم نفسه ويقول: لماذا أنا أقطع الطريق على هؤلاء الناس المساكين وأستولي على بضاعتهم وتجارتهم؟! وأخذ يؤنب نفسه.

ومشى في الطريق إلى أن دخل مغارة، وهي جزء داخل الجبل كان الناس يختبئون فيه في الضرورات، فدخل مغارة مظلمة فوجد فيها أناس يتحدثون مع بعضهم، قال أحدهم: هيا بنا نرتحل، فقال آخر: كيف نمشي والفُضيل وجماعته على الطريق؟! لا نستطيع أن نمشي حتى الصباح، فقال لهم: يا قوم أنا الفُضيل وامشوا ولا تخشوا، وأنا إن شاء الله أعدكم أن لا أعصى الله أبدًا، فقالوا له: ركائبنا لم تأكل منذ فترة ولم يعد معنا طعام لهم، فقال لهم: أنا آتي لكم بالطعام، فكانت بدايته بعد توبته أن ذهب وأحضر لهم طعامًا

لدوابهم ليكملوا مسيرتهم.

بعد ذلك فكَّر وهداه الله إلى الطريقة الصحيحة لتحقيق التوبة – وهذه هداية الله التي تحتاج لرعاية الله – كيف يتوب؟ قال:

لا بد أن أبدأ بالعلم، فلا يصح شيء إلا إذا كانت البداية علمية.

وهذه نصيحة أنا وجهتها لكم مرارًا كثيرة وأكررها:

إذا جاءكم إنسان ويريد أن يصحبكم، فقولوا له: أولًا تعرف شريعة الله على قدرك، فابحث عن كتاب في الفقه الميسر واقرأه، أو اجعل أحد يشرحه لك ويفسره لتعرف أحكام الحلال والحرام، فهذا أمر لا بد منه وهذا علينا كلنا.

لا بد من الأساس في أي طريق أو في أي حياة إيمانية أن تبدأ بمعرفة أحكام الحلال والحرام، وعمر بن الخطاب ﷺ كان يذهب إلى السوق ويختبر التجار في أحكام البيع والشراء، وكان يقول: **(من لم يتفقه في أحكام ديننا أكل الربا وهو لا يدري).**

إلى الكوفة

الدليل على عناية الله أن الإنسان يبدأ البداية الصحيحة، فذهب الفضيل بن عياض إلى الكوفة وكانت بلدته في الأصل، وأقبل بكله على مجالس العلماء يدرس أحكام القرآن، وبعد أن حصَّل أحكام القرآن تفرغ لدراسة أحاديث النبي العدنان ﷺ، يجمع الأحاديث ويسمعها من هنا ومن هنا حتى صار من كبار المحدثين في زمانه، وانتشر صيته في المشارق والمغارب، وكان الناس يأتونه من أقصى البلاد ليستمعوا إلى أحاديث رسول الله بسنده، لأنه كان قريب عهد من النبوة، وكانت الأحاديث بالسند فلان عن فلان عن فلان، وهذه كانت لها أهمية بالغة في ذلك الوقت في علم الحديث.

براعته في علم الحديث

كانت الدولة الإسلامية في زمانه مع اتساعها إلا أن العلماء الأفذاذ فيها كانوا قليل، ومعظم العلماء الأفذاذ في علم الحديث تخرجوا على يد هذا الرجل الذي كان قاطع طريق، كسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك ويحي القطان وبشر الحافي والسري السقطي، حتى البخاري ومسلم تلقيا الحديث منه، حتى نعرف مكانته في الحديث، وهذا علم تخصصي.

وعلم الحديث تخصص فيه رجال في تمحيص مرويات الأحاديث فلان عن فلان عن فلان عن فلان، فيراجعوا هذه المرويات كالمخابرات الجنائية بالضبط، إذا كان راوي من الرواة ثبت عنه أنه كذب مرة واحدة في حياته فلا يؤخذ بالحديث، وكان نظامهم شديد ليحفظوا أحاديث رسول الله ﷺ.

الإمام البخاري تجشم السفر لأنه سمع أن هناك حديث يرويه رجل في حضرموت الآن، وذهب إلى هناك، فرأى الرجل وكان له جمل قد مشى بعيدًا عنه وأراد أن يمسكه، فطوى حجره ليوهمه أن فيه طعام وأخذ ينادي على الجمل، فقال الإمام البخاري:

تكذب على هذه الدابة وتروي حديث رسول الله، لا أسمع منك وعاد على الفور.

فكانت عندهم مقاييس دقيقة في الرجال الذين يسمعون منهم رواياتهم من أحاديث رسول الله، ومن هؤلاء الأفذاذ الذين لم يثبت عليهم أي نقيصة ولم يجرحهم أحد الإمام الفُضيل بن عياض رضي الله عنه وأرضاه.

نظرته إلى العلم

مع دراسة الحديث، ماذا كان منهجه في دراسة العلم؟

منهجه لخَّصه هو في ثلاث نقاط حيوية:

١- كان يرى أن العلم يتطلب العبادة حتى يزكي النفس البشرية:

يعني يحتاج للعمل، لكن عالم ولم أعمل بما علمت فمتى تزكو النفس؟! ومتى يصفو القلب؟! ولمن يكون العلم؟ لله خالصًا فلا يبغي من وراء العمل جاهًا ولا سمعة ولا شُهرة ولا شيئًا من ذلك.

٢- كان يرى أن العلم والعمل متلازمين معًا:

لا نستطيع فصل العلم عن العمل، لأنه لو عمل أحد بغير علم فعمله في ضلال، لأنه جاهل لا يعرف الصواب، ولو علم ولم يعمل يكون كما قال ﷺ في الحديث الصحيح:

{ أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَى لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ }[٨٣] وذكر منهم:

{ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا،

---

٨٣ صحيح مسلم والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه

قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ، لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ }[٨٤]

وفي رواية أخرى قال ﷺ:

{ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[٨٥]

ولذلك يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه:

وعالِم بعلمه لا يعملن مُعذَّب بالنار قبل عُبَّاد الوثن

فينبغي عليه أن ينشر هذا العلم ويعمل به لأنه أصبح أمانة.

وهذا ما عمله الإمام الفضيل:

يعني لا ينشر العلم إلا إذا عمل به، وكان يخاطب العلماء الذين تعلموا ولم يعملوا ويقول لهم:

(ويحكم إن بني إسرائيل كان العالم منهم لا يتعرض لنشر العلم إلا إذا عبد الله سبعين سنة على الأقل).

يدخل في دورة عبادة أولًا، وبعد هذه الدورة يبدأ يعلم الناس بما علَّمه الله سبحانه وتعالى.

٣- يرى أن العلم يجب أن يُنشر ويُعمل به .. حتى لا يعتري حامله الندامة، ويقول:

(لن يعمل عبد حتى يُؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه) ويقول أيضًا: (كان يقال: لا يزال العبد بخير ما إذا قال، قال لله، وإذا عمل، عمل لله).

فبعد أن علم وعمل بدأ في عمل حلقات لتدريس العلم.

وكان أبرزها تدريس الأحاديث لأنه العلم الذي برع فيه ... لكن مع تدريس الأحاديث كان يتكلم في الزهد ويتكلم في الورع ويتكلم في العبادة، وغير ذلك.

---

٨٤ صحيح مسلم والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه

٨٥ جامع الترمذي وابن خزيمة عن أبي هريرة رضي الله عنه

في مكة

اكتملت مؤهلاته.

فماذا كان وعده الذي وعد به الله؟

أن يذهب إلى مكة، فذهب إلى مكة ونوى أن يعتكف في مكة ليتفرغ لطاعة الله، وعبادة الله، ونشر العلم ابتغاء وجه الله ﷻ.

حياته

هذا الرجل الذي اشتغل بالعلم والعمل وذهب لمكة، هل ترك حياتنا هذه؟

لا، كيف؟

فهو يريد أن يكون عالمًا عاملًا كاملًا، فتزوج وكان له أبناء علي ومحمد وأبو عبيدة، وكان له خادم اسمه إبراهيم بن الأشعث وهو الذي حكى معظم حياته وأخذها عنه الرواة والمؤرخين، وكان له جارية تخدم أهل البيت.

وماذا عنه؟

كان يأكل من عمل يده، فكان يعمل سقاء، حيث كانت المياه لا توجد في البيوت، فكان معه حمار يضع عليه قربتين أو ثلاثة ويملأهم مياه ويوزع المياه على البيوت، فكانت هذه مهنته.

هذا العالم الذي بلغ في العلم هذا المدى، وعلَّم هؤلاء الأفاضل كان يعمل بيده لأنه كان يحض ويحث على أكل الحلال لأنه رأس مال أي إنسان يريد الوصول إلى رضا حضرة الرحمن ﷻ.

ولم يكن يأخذ شيئًا من الملوك ولا من الأغنياء، إلا بعض الصالحين الذين يتوسم فيهم الخير كالإمام عبد الله بن المبارك رضي الله عنه ..

لكن الملوك عرضوا عليه العطايا بالآلاف فكان يرفضها جميعًا، ولا يأكل إلا من عمل يده رضي الله عنه وأرضاه، وكان يقول:

أصلح ما أكون أفقر ما أكون،
وإني لأعصى الله فأعرف ذلك في خُلُق حماري وخادمي.

زهده وورعه

كانت حياته تمشي على نمط القرآن والسُنَّة، يعني يتتبع سيدنا رسول الله في كل حركاته وسكناته ويحاول أن يكيف حياته وفق ما عرفه عن رسول الله ﷺ:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب).

ولذلك نأخذ بعض أقواله في هذا الميدان، فيقول:

(جُعل الشر كله في بيت وجُعل مفتاحه الرغبة في الدنيا،
وجُعل الخير كله في بيت وجُعل مفتاحه الزهد في الدنيا)

فلماذا تزهد؟ قال:

(علمت أن الدنيا تفارقني اضطرارًا ففارقتها اختيارًا)

يعني لأنها ستتركني لا محالة، فتتركني برغبتي أفضل.

أفلا تطمع في شيء؟ يقول:

(لو أن الدنيا بحذافيرها عُرضت عليَّ ولا أحاسب بها،
لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه).

وكان دعاؤه الذي يدعوه باستمرار:

(اللهم زهدنا في الدنيا
فإنه صلاح قلوبنا وأعمالنا وجميع طلباتنا ونجاح حاجياتنا)

فأساس الطريق الزهد في الدنيا.

سأله بعض المريدين:

لِمَ لا نجد حلاوة الإيمان أو حلاوة الخشوع أو حلاوة المناجاة؟ فيقول لهم:

(حرام على قلوبكم أن تصيب حلاوة الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا)

ما دام القلب منشغل بالدنيا فكيف تذوق حلاوة الإيمان؟! يجب أن تبعد الدنيا حتى تذوق حلاوة الإيمان.

قيل له: ما الزهد في الدنيا؟ قال:

(القناعة وهي الغنى).

ولما سُئل عن أصل الزهد؟ قال:

(أصل الزهد الرضا عن الله تعالى بما قسم لنا وما حجب عنا).

وقال: (زهادة العبد في الدنيا على قدر رغبته في الآخرة).

وارتقى من الزهد إلى الورع.

والورع أن الإنسان يجتنب الشبهات، يعني كل شيء فيه شبهة يبعد عنه خوفًا من ذي الجلال والإكرام.

وعن ورع الفضيل قال عبد الله بن المبارك: أورع ما رأيت فضيل بن عياض، وناهيك بشهادة الخليفة هارون الرشيد فقال: ما رأيت أورع منه.

وقيل للفضيل: ما الورع؟ قال:

(اجتناب المحارم، وبعد ذلك سكت ثم قال لهم:
أشد الورع في اللسان لأن التعبير كله باللسان لا بالعمل)

وهذا أصعب شيء في جهاد السالكين. فسهل أن أتجنب الشبهات في الطعام والشراب، لكن صعب أن أتجنب الكلمات التي فيها شبهات، إن كان شبهة غيبة أو شبهة نميمة أو شبهة تعريض على فلان أو شبهة تحريض على فلان.

فالورع الحقيقي هو ورع اللسان، وهو الورع الأعظم المفروض أن ينتبه إليه السالك حتى لا يخرج من اللسان إلا ما يحب أن يراه ويفرح به عند لقاء حضرة الرحمن ﷻ.

ولذلك كان يقول للمريدين:

(من عرف ما يدخل جوفه، كان عند الله صديقًا،
فانظر من أين يكون مطعمك يا مسكين؟!)

من يحرص أن يعرف أن لا يدخل جوفه إلا لقمة حلال فهذا صدِّيق ودعاؤه مجاب، وإذا طلب من الله أمرًا لا يرده !!!

لأن هذا هو الأساس الأول، قال ﷺ:

{ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا }[٨٦]

وهذا من لقمة واحدة.

فلا بد للإنسان أن يتجنب هذه اللقمة !!!

وقد شرحنا قبل ذلك كيف كان الصديق يفعل في نفسه عندما أكل لقمة فيها شبهة وغيره من الصحابة الأجلاء والصالحين الأتقياء الأولياء رضوان الله عليهم أجمعين.

ويقول رضي الله عنه:

(لم يتزين الناس بشيء أفضل من الصدق وطلب الحلال،
فقال له ابنه علي: يا أبت إن الحلال عزيز،
قال: يا بني وإن قليله عند الله كثير)

يعني لو قليل ولكن ستنزل فيه البركة ستجعله كثير.

عبادته

١- كان أهم عبادة يجاهد نفسه بها التجمل بالصمت عند عدم النطق، والتجمل بالحكمة عند النطق:

يعني لا ينطق إلا إذا كان النطق فيه كلام فيه حكمة، غير ذلك كان لا يشغل وقته بقيل وقال ولا بكثرة الكلام، وهذا جهاد الصالحين الأعظم، قال ﷺ:

{ قَالَ لُقْمَانُ: الصَّمْتُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ }[٨٧]

من الذي يستطيع أن يُعوِّد نفسه على الصمت؟! فهذا الذي يأخذ الحكمة، وقال ﷺ:

{ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا فِي الدُّنْيَا، وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ، فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الْحِكْمَةَ }[٨٨]

---

٨٦ المعجم الأوسط الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما
٨٧ الحاكم في المستدرك عن أنس رضي الله عنه
٨٨ الرسالة القشيرية وحلية الأولياء لأبي نعيم، وسنن ابن ماجة برواية "يلقى الحكمة" عن عبد الرحمن بن زهير

في البداية يُلقَّن الحكمة وفي النهاية يُلقِن غيره الحكمة، ومن أين تأتي الحكمة؟

من الصمت:

والصـــمت معراج وجوعك طُهرة والصـــمت رفرف حضـــرة التواب

ما الذي يصيب الإنسان عندما يُكثر الكلام؟ يكثر خطأه، وإذا قل كلامه قل خطأه، لكن لو تكلم فلا بد أن يخطأ سواء درى أو لم يدري، وإذا أخطأ سيندم ويكثر ندمه، وربما يكون الكلام في حق غيره سيكثر خجله، لأنه كيف قال هذه الكلمة في حق هذا الرجل.

فما الذي يحفظنا من هذا كله؟ الصمت، وهذا حال الصالحين في كل زمان ومكان.

ولذلك كان يقول:

(المؤمن قليل الكلام كثير العمل، والمنافق كثير الكلام قليل العمل،
كلام المؤمن حكمة وصمته تفكر ونظره عبرة وعمله بر،
وإذا كنت كذا لم تزل في عبادة)

من كان في هذه الحالة فكل وقته عبادة على الدوام، وقال:

(العلماء كثير والحكماء قليل،
وإنما يراد من العلم الحكمة فمن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا).

قيل له: العلماء ورثة الأنبياء، قال:

(العلماء الحكماء ورثة الأنبياء).

وقال له رجل: العلماء كثير، فقال الفضيل: **(الحكماء قليل)** فكان يجاهد أولًا في الصمت حتى ينال الحكمة.

٢- كان جهاده ثانية في اتباع رسول الله ﷺ اتباعًا دقيقًا، ويقول:

(لن يتقرب العباد إلى الله بشيء أفضل من الفرائض،
الفرائض رؤوس الأموال والنوافل الأرباح)

فالتزم في حياته الشريعة التزامًا كاملًا.

واقتدى برسول الله ﷺ اقتداءًا تامًا بقدر استطاعته.

على الرغم من عزلته كان يحرص على صلاة الجماعةن وكان يأمر المريدين والأتباع المحبين ويقول لهم:

(إذا اعتزلتم الخلق فلا تتركوا صلاة الجماعة) ويقول: **(أنا في عزلة، فِروا إلى صلاة الجماعة) . ويقول لأمثاله: (فر من الناس غير تارك للجماعة.)**

لأنها سُنَّة رسول الله ﷺ، وينبغي دائمًا وأبدًا أن نكون منفذين لسُنَّة رسول الله ﷺ.

٣- كان ﷺ شديد الجهاد على أصحاب البدع .. لأن هذا بلاء يعم مجتمع المسلمين ويفرق جمعهم ويشتت شملهم ويبلبل أفكارهم، فكان شديد المراس على هؤلاء، والبدعة هي العمل المخالف لما ورد في الشريعة المطهرة في القرآن والسُنَّة عن رسول الله ﷺ.

فكان يحمل على أصحاب البدع في دروسه حملات متكررة، وينصح الباقين ويقول:

(من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه).

ويقول: (نظر المؤمن إلى المؤمن جِلاء للقلب، ونظر الرجل إلى صاحب البدعة يورث العمى) يعني عمى القلوب والعياذ بالله.

ويقول: **(من أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام).**

ويقول عن المبتدع: **(لا يرتفع لصاحب بدعة إلى الله عمل).**

ويقول: **(إذا رأيت مبتدعًا في طريق فخذ في طريق آخر).**

ويقول: **(عمل قليل في سَنَة، خير من عمل صاحب بدعة)**

ويقول: **(صاحب بدعة لا تأمنه على دينك ولا تشاوره في أمرك ولا تجلس إليه، فمن جلس إليه ورَّثه الله ﷻ العمى).**

فلا بد لنا من ذلك، لأن بعض المسلمين في الزمن الذي نحن فيه يحاول أن يدافع عن أصحاب البدع، ويقول: هم مسلمين أو هم أناس طيبين أو ربما يكون حسن الظن، لكن أنا لا أدافع عن صاحب بدعة أبدًا، لكن أقومه أو أحاول أن أنصحه، لأن واجبي أن أنصح كل مسلم.

٤- كان كثير الصلاة والصوم، وكان يعتبر قيامه بذلك من نعم الله عليه، ولهذا يقول:

(إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار؛
فاعلم أنك محروم مكبل كبلتك خطيئتك).

وكان يحب قيام الليل، ويدعو إلى قيام الليل ويقول: **(من أخلاق الأنبياء الحلم والأناة وقيام الليل).**

فكان إذا جنَّ الليل فرش الحصير في مصلاه في بيته.

وكان أُجهد من زهده وورعه ودأبه في الجهاد وقلة أكله، فكان يصلي جالسًا حتى يغلبه النوم، فينام على الحصير فإذا استيقظ توضأ وصلى حتى يغلبه النوم ..

وهكذا حتى مطلع الفجر، ويقول: هكذا تكون العبادة.

العبادة تحتاج إلى جهاد فيجاهد النوم ولا يستسلم للنوم ويقوم على هذا في الصباح ويقول: أشد العبادة ما يكون هكذا، ومع ذلك مع هذه العبادة كان في الصباح يقول لهم: **(إني منصرف من صلاتي وأنا مستحييًا من الله أكبر من استحيائي إذا شربت خمرًا).**

لماذا؟

لأنني لم أوفِّ الله ﷻ بما يليق بجلاله وكماله من العبادة، يعني يرى نفسه مقصرًا في طاعة الله وعبادة الله ويقول:

وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تدر في أي المحلين تنزلُ

٥- بعد ذلك لا تراه في طريق أو تراه في مجلس أو تراه حتى في أي زمان أو مكان إلا ولسانه يذكر الله ﷻ على الدوام، لا يكف عن ذكر الله طرفة عين ولا أقل، ويقول:

(الذاكر سالم من الإثم غانم من الأجر)

يعني كيف يرتكب إثم باللسان ما دام يذكر الله ... فأنت إن لم تشغل اللسان بذكر الله سيشغلك بالحديث عن خلق الله، فقد حولك من دائرة الأجر إلى دائرة الوزر والعياذ بالله ﷻ، فكان حريصًا على أن يكون في ذلك على الدوام.

عنايته بالقرآن الكريم

كان له اهتمام شديد بالقرآن الكريم.

وكان من شدة ورعه وخوفه من الله يقرأ القرآن كأنه يخاطب شخصًا أمامه.

ويقرأه بكله وليس بلسانه فقط.

وكانت قراءته حزينة وبطيئة ومسترسلة ...

فإذا مر بآية فيها ذكر الجنة يرددها مرارًا ويسأل الله فيها الجنة !!

وإذا مر بآية فيها ذكر النار هامت الدموع من عينيه واستعاذ بالله من النار !!!

وهكذا، حتى أن ابنه علي كان عداه حاله فأصبح شديد الخوف من الله ﷻ.

فكان إذا صلى ابنه خلفه يخشى عليه من تلاوته للقرآن فيسرع في القراءة ويتجوَّز، وذات مرة كان يصلي ولم ينتبه أن ابنه علي يصلي خلفه، فقرأ: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (المؤمنون) فخرَّ علي مغشيًا عليه، فتجوَّز الفضيل ونادى على أمه، فجاءت ورشَّت عليه بعض الماء فأفاق.

ومرة ثانية كان يصلي ولم ينتبه أن ابنه علي خلفه، فقرأ: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الزمر) فسقط ابنه وخر ميتًا.

مات الابن من قراءة الأب، فكيف كانت هذه القراءة؟! قراءة يقول فيها رضي الله عنه:

(قراء الرحمن أهل ذبول وخشوع، وقراء الأمراء أهل كِبر وازدراء للناس).

ويقول: **(الذي يمن الله عليه بنعمة القرآن يستحوز على علم السلف والخلف، ومن أُعطي فهم القرآن أُعطي علم الأولين والآخرين).**

ويقول:

(حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي له أن يلغو مع من يلغوا، ولا أن يلهو مع من يلهوا، ولا أن يسهو مع أن يسهوا، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون له حاجة عند أحد من الأمراء والأغنياء، إنما ينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه هو)

لأن حامل القرآن ليس شيئًا هينا، وإنما شيئًا عظيمًا عند الله ﷻ.

النصح للخلفاء

تظهر عظمة هذا الرجل في نصحه للخلفاء العباسيين ..

كان في زمن الخليفة هارون الرشيد الخليفة العباسي، وهارون الرشيد كان من أعظم الملوك في الدولة العباسية، وكانت مملكته من الهند إلى بلاد المغرب الآن.

حتى كان وهو جالس في بهو قصره تمر السحابة فيقول لها: أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك، يعني زكاتك ستأتيني لأنها في أرض من مملكته الواسعة.

لكنه مع ذلك كان رجلًا تقيًا نقيًا يحب مجالس العلماء وخاصة الصالحين منهم، فيذهب متخفيًا ويضع على وجهه لثام حتى لا يعرفه أحد، ويجلس بين المستمعين في مجالس العلماء في مملكته ﷺ، ويبحث عنهم ويذهب إليهم ويطلب منهم الوصية ويلح عليهم، وكان عندما يوصونه يبكي بكاءًا حارًا لشدة خوفه وورعه من الله ﷻ.

فذات يوم كان هارون جالسًا في مجلس أحد العلماء الأفذاذ في بغداد وكان اسمه (ابن السماك) فسمع بعض أهل المجلس يذكر الفضيل بن عياض ويصف فضله وعبادته وعلمه وورعه، فاشتهى النظر إليه وتاقت نفسه إلى رؤيته ومحادثته، فسأل أين الفضيل: فقالوا له في مكة.

يقول ابن الربيع وزير هارون الرشيد: حج أمير المؤمنين هارون الرشيد، وقال لي ذات ليلة: انظر لي رجلًا أسأله، فقلت: هاهنا سفيان بن عيينة، فقال: امض بنا إليه، فأتيناه، فقرعت الباب، فقال: من ذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعًا، فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليَّ لأتيتك، فقال له: خذ لما جئناك له – رحمك الله – فحدثه ساعة، ثم قال له: أعليك دَين؟ قال: نعم، قال: اقض دَينه.

فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئًا، انظر لي رجلًا أسأله.

فقلت: هاهنا عبد الرزاق بن همام، فقال: امض بنا إليه، فأتيناه، فقرعت عليه الباب، فقال: من هذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعًا، فقال: يا أمير المؤمنين! لو أرسلت إليَّ لأتيتك، قال: خذ لما جئناك له – رحمك الله – فحادثه ساعة ثم قال: أعليك دَين؟ قال: نعم، قال: يا عباسي اقض دَينه.

ثم انصرفنا فقال لي: ما أغنى عني صاحبك شيئًا، انظر لي رجلًا.

قلت: هاهنا الفضيل بن عياض، فقال: امض بنا إليه.

فأتيناه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها، قال: اقرع الباب، فقرعته، فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين، فقال: ما لي ولأمير المؤمنين، فقلت: سبحان الله! أما عليك طاعته، فنزل ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت.

فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا، فسبقت كف هارون قبلي إليه، فقال: يا لها من كف ما ألينها إن نجت غدًا من عذاب الله! ..

فقلت في نفسي: ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي.

فقال له: خذ لما جئناك – رحمك الله – فقال: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب القرظي، ورجاء بن حيوة فقال لهم: قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا عليَّ– فعد الخلافة بلاءًا وعددتها أنت وأصحابك نعمة– فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الله فصم الدنيا وليكن إفطارك منها الموت وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبًا، وأوسطهم عندك أخًا، وأصغرهم عندك ولدًا، فوقِّر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك، وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت إذا شئت.

وإني لأقول لك هذا.

وإن لأخاف عليك أشد الخوف في يوم تزل فيه الأقدام، فهل معك – رحمك الله – مثل هؤلاء من يشير عليك أو يأمرك بمثل هذا.

فبكى هارون بكاءًا شديدًا حتى غشي عليه، فقلت له: أرفق بأمير المؤمنين، قال:

يا ابن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا!.

ثم أفاق، فقال: زدني – رحمك الله – فقال:

بلغني يا أمير المؤمنين أن عاملًا لعمر بن عبد العزيز شُكي إليه، قال: فكتب إليه عمر: يا أخي! اذكر طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، فإن ذلك يطرد بك إلى باب الرب نائمًا ويقظان، وإياك أن يُنصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد ومنقطع

الرجاء، قال: فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر، فقال له: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، لا وليت لك ولاة حتى ألقى الله، فبكى هارون بكاءًا شديدًا.

ثم قال له:زدني – رحمك الله – فقال:

يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال له:

أمّرني، فقال له النبي ﷺ:

{ يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛
نَفْسٌ تُنَجِّيهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا }[٨٩] وفي رواية أخرى:

{ إِنَّ الْإِمَارَةَ حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَكُونَ أَمِيرًا فَافْعَلْ }[٩٠]

قال: فبكى هارون بكاءًا شديدًا. ثم قال له: زدني – رحمك الله – قال:

يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي ﷺ قال:

{ مَنْ أَصْبَحَ لَهُمْ غَاشًّا لَمْ يَرُحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ }[٩١]

فبكى هارون بكاءًا شديدًا، ثم قال: عليك دين؟

قال: (نعم، دَين لربي لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن ساءلني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم أُلهم حجتي، قال: فقال: إنما أعني من دَين العباد، قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، إن ربي أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره، فقال ﷻ:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ (الذاريات)

---

٨٩ مصنف ابن أبي شيبة
٩٠ سير أعلام النبلاء
٩١ سير أعلام النبلاء

فقال له: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقوَّ بها على عبادة ربك.

فقال: سبحان الله! أنا أدلك على طريق النجاة، وأنت تكافئني بمثل هذا! سلمك الله ووفقك، ثم صمت فلم يكلمنا ، فخرجنا من عنده، فلما أن صرنا على الباب قال لي هارون :يا عباسي إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين اليوم.

قال غير أبي عمر: فبينا نحن كذلك إذ دخلت عليه امرأة من نسائه فقالت: يا هذا قد ترى سوء ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال تفرجنا به، قال : إنما مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه، فلما سمع هارون هذا الكلام قال: نرجع فعسى أن يقبل المال، قال: فدخل، فلما علم الفضيل خرج فجلس على تراب في السطح على باب الغرفة، فجاء هارون فجلس إلى جنبه، فجعل يكلمه فلا يجيبه، فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء، فقالت:

يا هذا، قد آذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف – رحمك الله – فانصرفنا.

وبعد ذلك ما الدور العظيم الذي قام به؟

نصح هارون الرشيد فقال له:

يا أمير المؤمنين إني أخشى أن يكون العلم قد ضاع قبلك كما ضاع عندنا، فقال الرشيد: أجل إنه ما قلت، فأخذ الرشيد مقولة الفضيل فبادر فور عودته إلى بغداد بأخذ الأمور بجدية، فعمد إلى النهوض بالعلم وأهله، وبالتالي تشجيع الطلاب على الإحاطة بعلوم عصرهم بعد أن شملهم بعطفه ووزع عليهم المنح والهبات المالية.

أرسل هارون الرشيد رسائل لكل الولاة في كل أنحاء البلاد، من يحفظ جزء (عم) يكون له كذا من المال، ومن يحفظ القرآن يكون له كذا من المال، ومن يحفظ الأحاديث يكون له كذا من المال، ويستعين بالعلماء على تحقيق ذلك.

وهذه كانت نهضة علمية ليس لها مثيل لأنه أعطى للناس الحافز على طلب العلم.

وكان بعد ذلك يذهب الفضيل بنفسه إلى هارون الرشيد إذا جاء، لماذا؟

ليوجهه وينصحه.

لأنه يرى أنه من أوجب الواجبات على العلماء النصيحة للأئمة وللحكام.

وذات يوم قال له هارون: يا فضيل ما رأيت أزهد منك.

قال: يا أمير المؤمنين أنت أزهد مني.

فقال له: كيف؟ قال:

أنا زهدت في الدنيا وهي لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وأنت زهدت في الآخرة، الدنيا فانية والآخرة باقية.

وفي مرة أخرى قال له الفضيل:

إن الله لم يجعل أحدًا من هؤلاء فوقك في الدنيا فاجهد نفسك ألا يكون أحد منهم فوقك في الآخرة، فاكدح لنفسك وأعملها في طاعة ربك.

خاتمة

يقول رجل من الصالحين عن الفضيل: الفضيل أخذ الفقه عن أبي حنيفة وروى عنه الإمام الشافعي، فقد أخذ عن إمام عظيم، وأخذ عنه إمام عظيم، وهو إمام عظيم.

وقال عنه هارون الرشيد: هذا سيد المسلمين.

هذا الرجل كان لا يهمه الكرامات، ولكن الكرامات تأتي للصالحين عفويًا، فكان واقفًا على جبل أبي قبيس، وهو الجبل المواجه للكعبة ومعه جماعة فقالوا له: الصدق، فقال: لو أن الرجل صدق في التوكل على الله وقال لهذا الجبل اهتز لاهتز، وفوجئوا بأن الجبل يهتز، فقال: إني لم أعنك رحمك الله، فسكت.

وكان مجاب الدعاء فلا يدعو بدعوة إلا استجاب الله ﷻ له، قال الهباري: اعتل الفضيل بن عياض فاحتبس عليه البول فقال: بحبي إياك لما أطلقته، قال: فبال.

وقيل: كان الفضيل جالسًا وعنده رجل فقال له الرجل: يا أبا على أسمع منك همهمة فمن تُكلم؟ قال: عمار دارنا يسألون عن مسألة في أمر دينهم.

الدكتور عبد الحليم محمود ﷺ وأرضاه:

وهو الذي أظهر علوم التصوف في عصرنا يتكلم عن الفضيل بكلام عظيم ... يرد عن الصوفية في كل المسالب والمساوئ التي يحاول أن يشينهم بها المستشرقين وغير المتصوفين، فيقول:

لقد كان الفضيل من أوائل الصوفية، لقد عاش في القرن الثاني الهجري وكان عربيًا من قبيلة تميم، وكان عالمًا من كبار علماء المسلمين، وكان يعيش من كسب يده، إن حياته تُكذِّب هؤلاء الذي يحاولون في تعسف وفي زيف أن يجعلوا مصدر التصوف يونانيًا لأن الأفلاطونية لم تكن قد ظهرت في العصر الذي عاش فيه، وحياة الفضيل تكذب هؤلاء الذين يقولون: إن مصدر التصوف المسيحية، فقد كان الفضيل غارقًا في التراث الإسلامي في الحديث وفي القرآن وفي آثار الرسول ﷺ وفي الوحي، وحياة الفضيل تكذب هؤلاء الذين يقولون: إن نشأة التصوف إنما هي نشأة فارسية وأن التصوف لا يتناسب مع الفطرة العربية، والذي يقول ذلك هم المستشرقون، فقد كان الفضيل عربيًا خالصًا وكان من أئمة التصوف، وحياة الفضيل تكذب هؤلاء الذي يريدون أن يُقرنوا بين التصوف والجهل، فقد كان الفضيل قمة في العلم، وهي تُكذب أيضًا هؤلاء الذين يزعمون أن بين التصوف والشريعة سوء تفاهم، بل إن حياة الفضيل هي عبارة عن سلوك ملتزم للشريعة، إن حياته إنما هي تحقيق واتِّباع لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب).

وفاته

هذا الرجل مات سنة ١٨٧ هجرية في مكة في يوم عاشوراء.

ودفن في مكة رضي الله عنه وأرضاه.

وكالعادة كان الناس وإلى وقت قريب عندما يموت واحد كان أحبابه يحبون أن يطمئنوا عليه، فيريهم الله ما يطمئنهم على حاله، ابنه يقول: رأيت أبي في المنام، فقلت: ما صنع الله بك في العمر الذي كنت فيه؟ قال: **لم أر للعبد خيرًا من ربه.**

وأحد أصحابه يقول: رأيت الفضيل في المنام فقلت له: أوصني، فقال لي:

(عليك بأداء الفرائض فإني لم أر شيئًا قط مثلها)

نسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بالصالحين، وأن يسلك بنا طريقهم أجمعين، وأن يوفقنا للعمل الصالح وصالح العمل.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

١٤ ٠ الإمام أبو عبد الرحمن السُلمي النيسابوري

١٤- الإمام أبو عبد الرحمن السُلَمي النيسابوري ﷺ ٢١٨
اسمه ونسبه ٢١٨
نشأته ٢١٩
أهمية اللغة العربية ٢١٩
مولده وتربيته ٢٢٠
علم الحديث ٢٢٠
تفرغه للعلم ٢٢١
مكانته ٢٢١
تصوفه ٢٢١
مذهبه في التصوف ٢٢٢
- أولًا: ٢٢٢
- ثانيًا: ٢٢٢
- ثالثًا: ٢٢٢
- رابعًا: ٢٢٢
- خامسًا: ٢٢٣
حجه بيت الله الحرام ٢٢٣
مؤلفاته ٢٢٤
وفاته ٢٢٤
وصاياه ٢٢٥

قال الإمام أبو عبد الرحمن السلمى ﷺ فى أول وصاياه:

(انظر ألا يشغلك عن الله تعالى؛
أهل، ولا مال، ولا ولد؛ فتخسر عمرك)

١٤- الإمام أبو عبد الرحمن السُّلَمي النيسابوري رضي الله عنه [٩٢]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أكرمنا بكتاب الله ومعرفة حبيب الله ومصطفاه، والصلاة والسلام على إمام الأولياء وسيد الأصفياء وحامل لواء السعادة يوم العرض واللقاء؛ سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من مشى على دربه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

نتناول في كل مرة شخصية من الشخصيات الصوفية التي جاهدت في الله حق الجهاد، وآتاها الله ﷻ تقواها، وفتح عليها من فتوحاته الإلهية ما جعلها نبراسًا وقدوة للمتقين والسالكين الصادقين.

اسمه ونسبه

نتناول في درسنا هذا الإمام أبو عبد الرحمن السُلَمي النيسابوري، ونحيط ولو إحاطة بسيطة لشخصية هذا الإمام ودوره في خدمة الإسلام.

اسمه محمد بن الحسين، وكانت العادة عند العرب – ولا زالت – أنهم يكنون كل شخص باسم ابنه الأكبر كما علَّمنا حضرة النبي، فقد كان ﷺ يُكنِّي أصحابه بأبي فلان، والذي ليس له ولد كان يبشره ويقول له: (يا أبا يحيى) تيمُنًا بأن الله سيهبه الولد كما وهب سيدنا زكريا بيحيى.

وكان يفعل ذلك حتى مع النساء، والتي ليس عندها ولد كزوجته التقية السيدة عائشة كان يقول لها: يا أم عبد الله، تبشيرًا لها بأن الله ﷻ وإن لم يهب لها غلامًا اسمه عبد الله سيهب لها ثوابًا كما لو رزقها الله بغلام أنجبته وربَّته وصار من رجالات الإسلام، لأن هذا الأمر ليس للإنسان المسلم ولا غير المسلم دخل فيه، لأنه خصوصية من الله ﷻ، والله ﷻ لا يحرم أحدًا.

فكان اسمه أبو عبد الرحمن، والسُلَمي من جهة أمه، والأزدي من جهة أبيه، فكانت أمه من بني سُلَمة، وهؤلاء كان لهم شأن ووجاهة في مدينة نيسابور.

---

٩٢ المقطم – مجمع الفائزين ٧ من صفر ١٤٤٥هـ ٢٠٢٣/٨/٢٣م

ولما كان جده لأمه لم يكن له ولد إلا أم أبو عبد الرحمن، فقد تبنَّى هذا الغلام لأن أباه مات وهو صغير، وقام بتربيته والإشراف عليه، فنُسب إلى عائلته، مع أن أباه من عائلة طيبة وهي الأزد، وكلتا العائلتين عربيتين هاجرتا إلى نيسابور في بلاد فارس لنشر دعوة الإسلام عندما فُتحت هذه البلاد للإسلام.

نشأته

النشأة لها شأن كبير في حياة الصالحين، فأبوه كان رجلًا من الصالحين، وكان دائمًا وأبدًا يراقب الله ﷻ في كل تصرفاته في كل وقت وحين، وأمه كذلك، ومن العجب في هذا الزمن البعيد كانت أمه من الصالحات ولا غرو لأن أبوها كان شيخًا للطريق في زمانه، وله تلاميذ كثيرون منتشرون في كل أنحاء هذه النواحي، فكان جده صوفيًا وأبوه صوفيًا وأمه صوفية، ولذلك ربوه على التربية الإسلامية التقية النقية.

وكان أحرص ما يحرص عليه – ولا يزال الصوفية – الحرص على الرزق الحلال، فإن صلاح الأبناء والبنات أساسه الأول الرزق الحلال، ما دام الإنسان يطعمهم من حلال فإن الله ﷻ يكرمهم بمحاسن الصفات والخلال، فكانوا حريصين على ذلك حرصًا بالغًا.

أهمية اللغة العربية

والإنسان الآن يجد في نفسه غُصَّة لما وصل إليه حال المسلمين في هذه البلاد الآن، فهذه البلاد من العراق إلى أفغانستان إلى باكستان إلى الهند إلى جنوب روسيا، كانت كلها تتحدث بالعربية وتركت اللغات القومية، وكانوا كلهم يحرصون على تحفيظ أولادهم وبناتهم القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

فجاءت العصبية الجاهلية نتيجة الأفكار التي تسربت إليهم من الدول الأوربية فتعصبوا للغات القومية، فهذا يتعصب للغة الفارسية وهذا يتعصب للتركية على حساب اللغة العربية، مع أن المسلم في أي بقعة من بقاع الأرض ينبغي أن يكون أول تعصبه للغة العربية لأنها لغة القرآن، ولا يستطيع إنسان فهم القرآن فهمًا صحيحًا إلا إذا أتقن اللغة العربية، فهم يقرأون باللغة العربية الآيات التي يتلونها في الصلاة لكن ربما بدون فهم، وعناية الله ﷻ تلحقهم فيتمسكون بذلك، لكن الأرقى والأنقى والأتقى إذا قرأوا القرآن باللغة العربية وهم يفهمون ويفقهون العربية.

فكان في هذا الزمان كل هؤلاء القوم رجالًا ونساءًا وأولادًا لا يتحدثون إلا العربية، والكل يحرص تمام الحرص على تعليم أولاده اللغة العربية والقرآن الكريم والأحاديث النبوية.

ولذلك ذكرنا عددًا كبيرًا من العلماء الأفذاذ الذين خدموا اللغة العربية وخدموا الإسلام في هذه البلاد، يكفي أن نعلم أن حفاظ الأحاديث الذين كتبوا كتب الأحاديث المعتمدة كالبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة، كلهم من هذه البلاد الفاضلة، وخدموا الإسلام خدمة بالغة في جمعهم لأحاديث رسول الله ﷺ.

مولده وتربيته

وُلد أبو عبد الرحمن في نيسابور في العاشر من جمادى الآخرة سنة ٣٢٥ هجرية، الموافق ١٦ من إبريل ٩٣٦ ميلادية، والنشأة التي كانت في هذه البقاع في هذه الفترة نشأ عليها، رعاه أبوه ومن بعده جده على تعليم اللغة العربية وآدابها وحفظ القرآن وعلوم القرآن وحديث النبي العدنان ﷺ، وكانت هذه هي الدراسة المعتمدة في هذا الزمان.

علم الحديث

وركَّز هو بفطرته وسجيته على دراسة الأحاديث ودراسة التصوف، ورحل في سبيل ذلك إلى البلاد الزاخرة بالعلم والعلماء، لأن الرحلة كانت ضرورية في هذه الآنات، فرحل إلى العراق وإلى الري وهمدان من بلاد فارس، وإلى الحجاز، كل ذلك في طلب الحديث، حتى صار محدثًا ليس له نظير، واشتغل أستاذ كرسي في علم الحديث يدرس الحديث لمدة تزيد على الأربعين عامًا.

وكان علم الحديث يعتمد على الذاكرة القوية، والذاكرة القوية تأتي من تقوى الله ﷻ، لأنهم كانوا يركزون في حفظ الحديث على السند، والسند يعني فلان عن فلان عن فلان إلى رسول الله ﷺ، فكانوا يحفظون الأحاديث بهذه الكيفية، وأظن هذا صعب في زماننا الآن، لكنهم كانوا يجيدون ذلك.

حتى أنه عندما دخل الإمام البخاري بغداد أجرى له علماء بغداد امتحانًا، فجاءوه بعشرة أحاديث وذكروا له رواة هذه الأحاديث بعد أن غيروهم، فقالوا له: ما رأيك في هذا الذي سمعته؟ فكان العجب من أمره والذي تعجبوا له أنه سرد الأحاديث واحدًا تلو واحد ويقول: الحديث الذي ذكرتم أنه رواه فلان عن فلان عن فلان ليسوا هم الرواة وإنما رواه فلان عن فلان عن فلان، وذكر العشرة أحاديث بهذه الكيفية، فتعجبوا له وكان موضع العجب كيف حفظ أسماء الوضَّاعين مع أنه لم يسمعهم إلا مرة واحدة منهم، لكنه بالطبع يسمع عنعنة الأحاديث الصحيحة ويحفظها، فكان هذا سبيلهم رضوان الله عليهم أجمعين.

وحتى نعلم مكانته في الحديث، فكان له أساتذة كثيرين أبرزهم الإمام الدارقطني، وكان يُنسب العالم إلى بلده، والدارقطني نسبة إلى بلدة تُسمى (قُطُن) في بلاد فارس، ومن أبرز تلاميذه الإمام البيهقي وهو إمام مشهور في علم السِيَر وفي علم الحديث.

تفرغه للعلم

أبو عبد الرحمن – كما ذكرنا – مات أبوه صغيرًا وتولى جده لأمه الإنفاق عليه وتربيته، وكان جده شيخ للطريق، وكان بجانب مشيخة الطريق رجل من الأثرياء له ثروة كبيرة، له ثروة كبيرة من العلم والفقه، وثروة كبيرة من الأشياء الدنيوية التي تعينه على دين الله ودعوة الله.

فورث عبد الرحمن هذا المال، وكان يميل إلى الزهد فجعله هذا لا يبحث عن وسيلة للرزق لأن الله كفاه، وتفرغ لطلب العلم وجمع الكتب، فكان يجمع الكتب من القاصي والداني، وكانت الكتب جمعها صعبًا لأنها كانت تُكتب بخط اليد، ولم يكن هناك مطابع، حتى كوَّن مكتبة كبيرة في بلدته نيسابور، وأتاح لجميع طلاب العلم والعلماء الاطلاع على ما يشاؤون من هذه الكتب ابتغاء وجه الله ﷻ.

وتفرغ بعد ذلك لعبادة الله ونشر دعوة الله، وكما ذكرنا كان يملي الأحاديث التي وثقها واستوثق من سندها لطلاب العلم في أي زمان ومكان.

مكانته

ولذلك كان ﷺ وأرضاه له مكانة كبيرة في دنيا الناس، ومكانة كبيرة أيضًا عند حكام هذا الزمان، لأنه في هذه الفترة كثُر الصالحون وكثُر الصادقون من العلماء العاملين، فانسحب ذلك على أهل هذا الزمان، فكانوا يحبون العلماء وخاصة الصالحين منهم، حتى الحكام كانوا يتقربون إلى العلماء والصلحاء، لأنهم يعلمون محبة الشعب والناس لهم، فكانوا يحبونهم ويسارعون في تقريبهم وخدمتهم، لأنهم يعلمون أنهم يسعون لإرضاء الله ﷻ.

تصوفه

رُزق أبو عبد الرحمن قبولًا عامًا لأنه نشأ من مدرسة صوفية أسسها الإمام الجنيد البغدادي، والإمام الجنيد أسس مدرسته الصوفية على القرآن والسُنَّة والتمسك بالشريعة الغراء والبعد عن الخرافات والضلالات والأشياء التي لا توافق شرع الله ﷻ.

وحازت هذه المدرسة القبول عند الناس، فنشأت مدرسة شبيهة لها في بلدنا مصر، ونشأت مدرسة شبيهة لها في نيسابور، هذه المدارس مشت على هذا النهج.

من جملة هذه المدارس المدرسة التي ينتسب إليها أبو عبد الرحمن السُلَمي ﷺ وأرضاه، فكان شيخه الذي تربى على يديه يُسمى أبو النصر السرَّاج، وهو صاحب أول كتاب يُعد أول مرجع في التصوف يُسمى (اللُمع)، وهذا الكتاب – والحمد لله – حققه ونشره الدكتور عبد الحليم محمود رضوان الله ﷻ عليه.

وهذا أول مرجع كُتب في التصوف، وكان هذا الرجل شيخ لأبي عبد الرحمن، ويكفي أن نعلم أن هذه المدرسة امتدت لأنه تتلمذ على يدي أبي عبد الرحمن إمام كبير هو الإمام أبو القاسم القشيري، وهو صاحب مرجع أساسي في التصوف وهو كتاب (الرسالة القشيرية).

مذهبه في التصوف

هذا المذهب خلاصته هو متابعة الرسول فيما شرَّع وبلغ وأشار إليه وصدع، ثم الاقتداء بالمتحققين من علماء التصوف ورواة الآثار.

ويلخص هذا المذهب في أمور:

أولًا:

ملازمة الكتاب الكريم وتلاوته وتفقهه والعمل به.

ثانيًا:

ترك الأهواء جميعها والبدع التي انتشرت نتيجة الجهل بدين الله ﷻ، فلا بد من العلم.

ثالثًا:

تعظيم العلم والعلماء، فلا يقبحون عالمًا ولا يخوضون في شأنه، وإنما يبجلونه لأجل ما يحمله من العلم، لأن العلم يدل على الله ﷻ.

رابعًا:

يرون أن الخلق معذورون، فيلتمسون للخلق جميعًا الأعذار، فلا ينتقدون أحدًا من البشر ولو كان مذنبًا أو ذا زلل.

لأن الانتقاد يؤدي إلى الامتعاض، وإلى أن الإنسان يترك الذي يريد نصحه ولا يستمع للناصحين، فكانوا يغلقون باب النقد بالكلية عن عيوب الناس !!

ويذكرون محاسنهم، ويحاولون بعد ذكر محاسنهم أن يوجهونهم بالتوجيه الصحيح الذي علَّمه لنا رسول الله ﷺ.

خامسًا:

الدوام على القربات والنوافل الواردة عن رسول الله ﷺ، فمن أراد أن يكون مع الحبيب فليحافظ على منهجه الطيب المصيب ﷺ، فكانوا يداومون على العمل بهذه الأوراد، لأن العمل هو الذي يحقق للإنسان الأمل.

حجه بيت الله الحرام

أكرمه الله ﷻ بعد ذلك وكان يريد أن يحج بيت الله الحرام.

فاستأذن أمه وذهب ليحج إلى بيت الله الحرام.

وهنا نقف تعظيمًا لهذه الأم المبجلة، هذه الأم نصحته بنصيحة غالية أعجب من سماعها، قالت له:

(توجهت إلى بيت الله فلا يكتبنَّ عليك حافظاك شيئًا تستحي منه غدًا).

ما هذه الوصايا العظيمة؟

يعني حافظ على ألا يُكتب في صحائفك إلا الحسنات والخيرات والعبادات والقربات الخالصات لله ﷻ، وأظن أن هذه النصيحة تبين مكانة هذه المرأة وخشيتها من الله وقربها من الله ﷻ.

ومشى هذا الرجل ومعه وفد كبير ..

وكانوا كلما مروا بقرية سأل عن العلماء الموجودين بها وذهب إليهم ليستمع إلى مجالس العلم، فكان همه تحصيل العلم طوال مسيرته في الطريق ..

حتى أدَّى الحج إلى بيت الله الحرام.

وتفرغ بعد ذلك لتأليف الكتب الصوفية والفقهية التي ترقى بحال المبتدئين والسالكين، وكتبها بأسلوب سلس سهل يقبله الجميع.

مؤلفاته

له أكثر من مائة كتاب .

منها:

كتاب (طبقات الصوفية)، وكتاب (آداب الصوفية)

وكتاب (آداب الصُحبة وحُسن العشرة)، وكتاب (تاريخ الصوفية)

وكتاب (حقائق التفسير)، وكتاب (سلوك العارفين)، وكتاب (الزهد)

وكتاب (عيوب النفس)، وكتاب (سنن الصوفية)، وكتاب (الفتوة)

حوالي مائة كتاب معظمها لم يُطبع إلى الآن.

ولكن ما ذكرناه هي الكتب المطبوعة والمتداولة والموجودة في دور النشر الآن.

ويستطيع أي إنسان أن يحصل عليها ويقرأها ويتمتع بهذا الأسلوب البليغ في مخاطبة الناس الذي ينطبق عليه قول رسول الله ﷺ:

{ أُمِرْتُ أَنْ أُخَاطِبِ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِم }[٩٣]

وفاته

ظل على هذه الوتيرة إلى أن وصل سِنَّه إلى سبع وثمانين عامًا.

وتُوفي بنيسابور يوم الأحد ٣ من شعبان ٤١٢ هجرية.

وكان قد أسس في بيته مكانًا للصوفية.

ومكان الصوفية في بلاد فارس يسمونه باللغة الفارسية (خانقاه) يعني مكان للإنفراد والعزلة والتوجه إلى الله.

وكان يُدرِّس فيها ويعقد حلقات الأذكار فيها.

وفيها دُفن.

وما زال ضريحه موجود إلى الآن رحمة الله ﷻ عليه.

---

٩٣ رواه الديلمي من طريق أبي عبد الرحمن السلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما

وصاياه

نذكر قبسًا من وصاياه التي نحن في أمسّ الحاجة إليها أجمعين في سيرنا إلى الله.

الوصية الأولى: يقول ﷺ:

(انظر ألا يشغلك عن الله تعالى أهل ولا مال ولا ولد فتخسر عمرك)

وأظن هذا ما يبينه الله في قوله تعالى:

﴿ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩ ﴾ (المنافقون)

بمعنى أن الإنسان أغلى شيء هو عمره الذي يقضيه في هذه الحياة، فإذا قضى عمره خادمًا لأولاده وزوجه وترك نفسه وقصَّر في حق ربه ﷻ، فهل ينفعه ذلك يوم لقاء الله؟ كلا.

إذًا ماذا ينبغي علينا؟ أن نجمع الحسنيين، فنقوم بما علينا لأولادنا وبناتنا وزوجاتنا، ولا ننس مع ذلك أن نقوم بما علينا نحو أنفسنا بما طلبه منا ربنا ﷻ، قال ﷺ:

{ إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ }[٩٤]

إذا انشغلت عن حق من هذه الحقوق سأندم على ذلك ولا شك، ولا يحدث الندم إلا عند مفارقة الدنيا وفي الدار الآخرة، ويقول الإنسان كما قال الله:

﴿ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ۝٢٤ ﴾ (الفجر)

ولا ينفع الإنسان إلا ما قدَّمه لنفسه وقدمه لله ﷻ.

الوصية الثانية: يقول:

(يقربك إلى الله تعالى قراءة كتابه والتدبر والفهم والتفكر فيما خاطبك به من أوامره ونواهيه فتمتثل لأوامره وتنزجر عن نواهيه)

ما معنى ذلك؟ علمونا فقالوا: إذا قرأت كتاب الله فاقرأه على أن الذي يخاطبك

---

٩٤ جامع الترمذي عن وهب بن وهب ﷺ

هو الله، وأن هذا الخطاب لك، فتنظر إلى الأوامر على أنها أوامر لك، وهذا حق فتسارع إلى تنفيذها، وتنظر إلى النواهي على أنها تحذير لك، فتسارع إلى اجتنابها.

وهذه قراءة الصالحين لكتاب الله ﷻ، فمثلًا إذا قرأ الإنسان قول الله:

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ ﴾ (لقمان)

هذه وصية لقمان لابنه في القرآن، ولكن لِمَ ذكرها الرحمن؟ ليوصينا بها وبالعمل بها، فأنا آخذ هذا الكلام على أنه وصية من الرحمن لي، فأُنفذ هذه الأوامر فورًا لأنال رضاء الله ﷻ.

وكذلك قول الله تعالى:

﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ ﴾ (لقمان)

أيضًا آخذ هذا الكلام على أنه لي أنا، وهكذا في كل القرآن يقرأ المؤمن القرآن على أن الله ﷻ هو الذي يقرأ عليه القرآن، لأنه هو الذي يفرض الفرائض، وهو الذي يأمر بهذه الأوامر، وهو الذي ينهى عن هذه النواهي.

وكل هذه الفرائض وكل هذه الأوامر وكل هذه النواهي لكل مسلم آمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبسيدنا محمد ﷺ نبيًا ورسولًا.

لا يجوز أن أقول عن آية من القرآن أنها ليست لي، لأن القرآن خطاب من الله لكل المؤمنين من عصر رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة، وكل مؤمن مُخاطب بهذا القرآن الكريم، ويقرأ القرآن وهو يستحضر أنه يسمعه من حضرة الرحمن ﷻ.

الوصية الثالثة: يقول:

(اتبع سُنَّة النبي ﷺ في كل أفعالك وأقوالك وجميع أسبابك وأحوالك، وإياك ومخالفة السُنَّة فيما دق وجل) أي فيما صغُر وكبُر.

ولذلك قالوا: (حافظ على السُنَّة، ولو بُشرت بالجنة) لا يترك الإنسان سُنَّة النبي ﷺ طرفة عين، سُنته في الصلاة، وسُنته في الصيام، وسُنته في المشي، وسُنته في الجلوس، وسُنته في تناول الطعام، وسُنته في النوم، فالنبي ﷺ له في كل شأن من شؤون حياتنا سُنَّة علينا أن نتبعها، لأن فيها السعادة لنا في الدنيا والآخرة، نسأل الله ﷻ أن ييُسر لنا ذلك أجمعين.

الوصية الرابعة: يقول:

(عوِّد نفسك صحبة الأخيار والتباعد عن صحبة الأشرار).

وأظن أن هذه وصية الناصح الأمين، فإن الذي يحفظ الإنسان من المعاصي والفتن ما ظهر منها وما بطن هو مصاحبته للأخيار، يسمع منهم الكلم الطيب، ويسمع منهم النصائح الغالية، ويسمع منهم الحكايات الطيبة عن النبي والصحابة والصالحين.

ولكنه لو جال في الظالمين فإن الله حذرنا من ذلك أجمعين، وقال ﷻ:

﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الأنعام)

لأن الإنسان لو جلس معهم سيعديه حالهم رويدًا رويدًا، حتى يتحلل من طيبات أعماله ويمشي معهم، ويحاول أن يقلدهم ويتخلق بأخلاقهم، وهذا بُعدٌ عن الله ﷻ.

الوصية الخامسة: يقول:

(اترك ما لا يعني من الأفعال والأقوال والحركات والسعي).

وأظن لا ينال الإنسان راحة البال إلا إذا عمل بهذه الوصية البارزة في قول رسول الله ﷺ: { مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ }[٩٥]

شيء لا يعنيني لا أتدخل فيه، ولا أشغل نفسي به، لأنه لا ينال الإنسان راحة البال إلا إذا تخلق بهذا الخُلُق الطيب الذي كان عليه نبينا وصحابته المباركين، ومن بعدهم من الصالحين أجمعين.

الوصية السادسة: يقول:

(قلل من الدنيا ما أمكنك إلا مقدار الكفاية منها فإنها تشغلك عن طاعه ربك ﷻ).

لا يطالبك بأن تترك الدنيا، ولكن تأخذ منها ما يعينك على رضاء الحق وسلوك الطريق القويم المستقيم ما به لا تمد يدك لأجل نفسك أو أولادك، وإنما يغنيك عن سؤال الناس ما به تعيش حياة كريمة.

لكن لو أردت زيادة عن ذلك كما يريد طلاب الدنيا، فإنها تجرهم رويدًا رويدًا، فينشغلوا بها حتى ينشغلوا عن طاعة الله، وربما يقلل من أداء فرائض الله، وربما ينسى ذكر الله على لسانه على الدوام، وهذه خسارة الأبد، والصالحون حريصون دائمًا وأبدًا على

---

٩٥ جامع الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

قول الصحابة المباركين: (اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا) وقولهم رضوان الله عليهم: (اللهم اجعلها في أيدينا، ولا تجعلها في قلوبنا).

فإذا كانت في أيدينا سهُل البذل في طريق الله، وفي الأعمال التي يحبها الله ويرضاه، وكانت وسيلة للدار الآخرة ورضا الله ﷻ.

الوصية السابعة: يقول:

(شاور في أمورك الذين يخشون ربهم بالغيب ومن يتق الله بدينه وأمانته)

وهذه قال فيها سيدنا عمر ﷺ:

(لا تشاور إلا من يخشى الله، لأنه لن يشير عليك إلا بما يحبه الله ويرضاه)

حتى لو رأيت عالمًا لكنه غير عامل فإنه ربما يحاول أن يوسع لك باب الحيل حتى تخرج مما يحب الله ويرضاه إلى ما تحبه نفسك، وهذا به ضرر كبير على المرء.

أما من يخشى الله ﷻ فلا يشير على المرء إلا بما فيه رضا الله، وفيه تقوى الله وفيه خشية الله ﷻ.

الوصية الثامنة: يقول:

(اقتدوا بسير السلف الصالح من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وابدأ في ذلك بنفسك).

الوصية التاسعة: يقول:

(الزم الإخلاص في جميع أفعالك وطاعاتك وتصرفاتك).

الوصية العاشرة: يقول:

(داوم التفكر فيما سبق منك من المخالفات وخذ بالتذكر ندمًا وتوبه واستغفارًا).

أسأل الله ﷻ أن يفقهنا في ديننا، وأن يلهمنا رشدنا، وأن يعلمنا ما لم نكن نعلم وأن يعيننا على العمل بما علَّمنا.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

١٥. سلطان العاشقين: عمر بن الفارض

١٥- سلطان العاشقين عمر بن الفارض ﷺ ٢٣٠
اسمه وكنيته ٢٣٠
نسبه وأسرته ٢٣١
نشأته ٢٣٣
سياحته في وادي المستضعفين ٢٣٣
سر الفتح ٢٣٥
مجاهداته ٢٣٧
العودة إلى القاهرة ٢٣٩
أيام المنن ٢٣٩
ديوان ابن الفارض ٢٣٩
وفاته ٢٤٠
أبيات من قصيدة نظم السلوك..... ٢٤٣

قال سيدى عمر بن الفارض ﷺ فى قصيدة نظم السلوك:

ولا تتّبعْ منْ سَــوّلَتْ نفسُــهُ لَهُ فصــارَتْ لَه أمّارَةً واســتمرّتِ

وَدَعْ ما عداها واعدُ نفسَك فهي من عِداها وعُذْ منها بأحصَــنِ جُنّةِ

فنَفْــــــسى كانَتْ قبلُ لَوّامَةً متى أطعْها عصَت أو أعصِ عنها مُطيعتي

فأوْرَدْتُهَا ما المَوْتُ أيْسَــــرُ بَعْضِـهِ وأتْعَبْتُهـا كيَمـا تكونَ مُريحتي

١٥- سلطان العاشقين
عمر بن الفارض رضي الله عنه [٩٦]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي عمَّ الوجود بجماله، وعمَّ الآخرة بجلاله، وعمَّ الكونين بجلاله وجماله وكماله، والصلاة والسلام على إمام أهل الهدى والشفيع لجميع الخلائق يوم الردى، سيدنا محمد النبي المهتدى وآله وصحبه وأزواجه ومن اقتدى.

حديثنا يحتاج إلى روحانية خاصة، لأننا نتكلم عن أناس يعيشون الحياة الروحانية التي ربما لا يستطيع كثير من الناس أن يستوعبوها عند سماعها، ولكنها حياة حقَّة يحيا فيها الصالحون ويعيش فيها المتقون، وما يُذكر منها قليل من كثير مما يحدث لهؤلاء القوم، فلا تستغربوا ولا تتعجبوا وأحسنوا الظن فيما تسمعون، فإنما هي أخبار عن أسرار لا يطلع عليها إلا الأبرار، وحَظرٌ على المجرمين والفجار أن يحظوا ولو بنَفَس من هذه الأسرار.

هذه مقدمة لا بد منها قبل الحديث عن شخصيتنا وهو الإمام عمر بن الفارض رضي الله عنه وأرضاه، والذي أُطلق عليه (سلطان العاشقين).

اسمه وكنيته

هو عمر بن أبي علي بن المرشد بن علي، الحموي الأصل، يعني أصل العائلة من حماة في سوريا، المصري المولد والوفاة لأنه وُلد في مصر وعاش في مصر وتوفى في مصر.

وكانوا في هذا الزمان يعطون لكل رجل من المشاهير لقبًا، فكان لقبه (شرف الدين) وكنيته أبو حفص، والكنية أن يُطلق عليه باسم ابن من أبنائه، ويقال أبو القاسم، ولماذا سموه سلطان العاشقين أو سلطان المحبين؟ لأنه قال في إحدى قصائده الغُر:

كل من في حماك يهواك ولكن أنا وحدي بكل من في حماك
في جمعنا حلاك في عين عقلي وبه ناظري معنى عُلاك
فقت أهل الجمال حسنًا وحُسنى فبهم فاقةٌ إلى مغناك
يُحشر العاشقون تحت لوائي وجميع المُلاح تحت لواك

وهو في شعره الذي اشتهر به كان حاله كحال الورثة الكاملين .. ... مثل الإمام أبو العزائم رضي الله عنه، فكان يغيب ويُملي وبعدأن يرجع يسترجع ما أملاه.

---

٩٦ المقطم – مجمع الفائزين ٨ من جمادى الأولى ١٤٤٥هـ ٢٠٢٣/١١/٢٢م

ولذلك له قصيدة مشهورة اسمها القصيدة التائية أملاها على عدة مرات، وهي من حوالي ٧٦١ بيت، كل فترة يغيب ويملي جزء، مما يعلمنا أن هذا إلهام من الله ﷻ وليس تأليف شعر.

لماذا سمي بابن الفارض، أبوه كان رجلًا من كبار العلماء، وعيَّنه حاكم مصر فارضًا، والفارض هو الذي يقوم بتوزيع الأنصبة في الميراث، وعلم الميراث نسميه علم الفرائض، فكان ﷺ يقول لأصحابه:

{ وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ }[٩٧]

يعني في علم الميراث، فهذا الرجل كانت وظيفته توريث من يحتاج إلى الميراث، والميراث بالذات من الأبواب الشاقة في الفقه، فيحتاج إلى ذهنية حاضرة وإلى ذكاء وقاد، وإلى إجادة في علم الحساب حتى يحسن توزيع الفرائض، ولذلك ليس كل علماء الشريعة أو الأئمة يحسن توزيع الأنصبة والفرائض، فهؤلاء أناس مختصين عندهم هبة من الله وتجويد منهم بعد ذلك وتحسين.

أبوه كان في منصب الفارض الذي يفرض للناس، ولذلك لحق به هذا الاسم فسُمي بابن الفارض الذي يقوم بإثبات الميراث للناس جميعًا.

وحتى نعرف أثر النشأة، فأبوه كان رجلًا من العلماء الأجلاء، وهو في منصبه هذا عُرض عليه أن يترقَّى إلى منصب قاضي قضاة مصر، فلما عُرض عليه هذا المنصب ترك المناصب بالكلية، وتفرغ في قاعة الخطابة بالجامع الأزهر لعبادة الله ﷻ، ورفض الدنيا والمناصب وكل ما فيها، حتى نعلم أن هذا الشبل من ذاك الأسد.

فلا بد أن تكون التربية لها دور أساسي في تكوين الصالحين وفي توجيههم التوجيه السديد إلى طريق رب العالمين ﷻ.

نسبه وأسرته

ما نسبه؟ يحكي لنا أمرًا ﷺ يجعل جميع المسلمين يستبشرون ويُسرون، قال ﷺ:

(رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وقال: يا عمر لمن تنتسب؟

فقلت: يا رسول الله أنتسب إلى بني سعد قبيلة حليمة السعيدية

---

٩٧ جامع الترمذي وابن ماجة عن أنس ﷺ

مرضعتك، فقال: لا - مادًا بها صوته - بل أنت مني ونسبك متصل بي، فقلت: يا رسول الله إني أحفظ نسبي عن أبي وجدي إلى بني سعد، فقال: لا - مادًا بها صوته بل أنت مني ونسبك متصل بي، فقلت: صدقت يا رسول الله، مكررًا لذلك مشيرًا بأصبعه كما رأيت وسمعت).

وهذا يعني أن المحبة لرسول الله وحسن المتابعة لحبيب الله ومصطفاه تعطي الإنسان النسب الروحاني لحبيب الله ومصطفاه ﷺ، وهذا أمر متاح لكل الأمة المحمدية، يقول فيه ﷺ:

نســـبٌ أقرب في شرع الهوى بيننـا من نســـبي من أبويَّ

النسب في شرع الهوى أقرب لي من نسب الأبوين ...

وهذا أمر يحرص على إثباته المحققون، حتى يوقفوا من يقولون بأنه لا يكون وليًا لله إلا إذا كان منتسبًا لآل بيت النبي، يعني من ذرية الحسن أو من ذرية الحسين، وهم في هذه القضية مخطؤون من البداية إلى النهاية.

فكأن كل المسلمين في عصر النبي الأمين من الصحابة الصادقين والتابعين خارج هذا النسب، وأولهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وغيرهما، وهذا لا يكون أبدًا، فهؤلاء إن لم يكونوا أولياء لله حقًا، فمن الذي يكون وليًا لله غير هؤلاء؟!.

وإذا نظرنا نجد أن كبار الأولياء بعد ذلك لم يكونوا ينتسبوا النسب الطيني الجسماني إلى آل بيت النبي، ... لكن ينتسبون النسب الروحاني النوراني إلى حضرة النبي، ... وإمامهم سيدنا أبو العباس المرسي، وكان من الخزرج من الأنصار، وغيره لا نستطيع أن نحصي عدد الأولياء بعد ذلك الذين كانوا في الأُمَّة، ويكفيهم قول سيد الأُمَّة ﷺ عندما سُئِل عَنْ آلِ مُحَمَّدٍ، فقَالَ:

{ كُلُّ تَقِيٍّ }[٩٨]

وفي الأثر: **(أنا جد كل تقي)** وفي الأثر: **(أخرج الكفر أبا لهبٍ من نسبي، وأدخل الإسلام بلالًا في نسبي)** وقوله ﷺ:

{ سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ }[٩٩]

---

٩٨ سنن البيهقي والطبراني عن انس رضي الله عنه

٩٩ الحاكم في المستدرك وابن سعد في الطبقات

فماذا بعد ذلك؟!

قضية واضحة، لكنها العصبية الجاهلية، لعن الله من يُظهرها ويحاول أن يحييها، فإنها منتنة وقد نهى عنها ﷺ، ونهى عن العصبية في الإسلام لأي شأن من الشؤون غير دين الله وكتاب الله وحبيب الله ومصطفاه.

نشأته

وُلد عمر بن الفارض في مصر في الرابع من ذي القعدة عام ٥٧٦ هجرية الموافق الثاني والعشرين من مارس ١١٨١ ميلادية.

ورباه أبوه تربية حسنة، وقلنا أنه كان عالمًا فاضلًا وهو من بيت علم، وكان جده لأبيه شيخًا للطريق في زمانه، يعني كان في بيت صوفي، فوجَّهه أبوه كتوجيه الصالحين في كل زمان ومكان إلى دراسة الفقه أولًا.

فدرس الفقه على مذهب الإمام الشافعي أولًا، والصوفية بصفة خاصة لهم عناية بعلم الحديث، لأنه الأثر الوارد عن رسول الله الذي يعينهم على حسن اتباع حضرته، فدرس الحديث على المُحدث المشهور الإمام ابن عساكر، والإمام الحافظ المنذري، والإثنين كانا من كبار الأئمة في علم الحديث.

وكان أبوه مجالسه دائمًا مع العلماء، حتى في ديوان وظيفته له جلسات محببة مع العلم والعلماء، فكان يصحبه دائمًا في جلساته ليستزيد من العلم ويستزيد من الأدب الذي يأخذه من هؤلاء العلماء، ولذلك نجد أن أول معلم له وأول شيخ له وأول مُربّ له هو أبيه، فهو الذي تولى تربيته في البداية بهذه البداية المحببة.

فنشأ عمر بن الفارض وفطرته تقية نقية يحب العلم والعلماء، ويستزيد دائمًا من الطاعات والقربات التي تقربه إلى مولاه.

سياحته في وادي المستضعفين

يروي الإمام السيوطي رضي الله عنه أنه دخل المسجد يومًا لصلاة الجمعة، وأثناء ماكان الإمام يخطب رأى رجلًا يغني في داخل المسجد، ولا يدري أن هذا الرجل صاحب حال، فعوَّل في نفسه أنه بعد انتهاء الصلاة يحاول أن يعظ هذا الرجل حتى لا يعود لهذا الصنيع، فلما ذهب إلى هذا الشخص ليحدثه إذا به يقول له:

قسَـــم الإلـه الأمر بين عبـاده فالصـبُّ يُنشـد والخليُّ يسـبحُ
ولعمريَ التســبيح خير عبـادة للناســكين وذا لقومٍ يصــلحوا

هؤلاء أناس كانوا يتكلمون على الخواطر، يعرف ما في سرك فيكلمك بما في سرك وليس بما يبديه لسانك.

فكان هذا سببًا في زهده، حُبب إليه الخلاء وسلك الطرق الصوفية فتزهد.

وكان يخرج من المكان الذي فيه مقامه الآن، وكان لا يزال واديًا تابعًا لجبل المقطم قبل أن يعمر، وكان اسمه وادي المستضعفين، وكان المقطم هو موضع خلوات الصالحين في هذا الزمان ...

فكانوا يذهبون إلى أماكن في هذا الجبل مُعدَّة كخلوات، ويسكن داخل الخلوة أيام أو شهور أو سنين، ويتفرغون لذكر الله وعبادة الله حتى يأتيهم فتح الله ﷻ، وهذه الخلوات موجودة حتى الآن ولكن في الجزء العلوي في المقطم.

فكان يذهب لهذا الوادي، والمكان غير مسكون وفيه وحوش وحيوانات مخيفة.

وأحيانًا يذهب إلى المساجد المهجورة التي لم يعد يصلي فيها أحد، وأحيانًا يذهب إلى القرافة، ومكان المقابر الموجودة في القاهرة، يعني يذهب للأماكن التي ليس فيها بشر، يذكر الله ويسبح الله ويعبد الله ويُكثر في هذه الأوقات من الإقبال على الله، عسى أن يأتيه فتح الله ﷻ.

إلى أن ألفته الوحوش في هذا الجبل، يعني تعودت عليه، فأصبحت تأتيه الوحوش وتطوف حوله وتجلس بجواره مستأنسة به ولا تخاف منه ولا يخاف منها ...

وهذا مقام عال في الأنس بالله ﷻ ..

ولكنه لأنه لم يتخذ شيخًا له لم يأته الفتح رغم كل ما فعله !!

وهو يريد الفتح فلا يأتيه.

فكان كل فترة يرجع لأجل بر الوالدين، فيرجع لأبيه ويمكث معه فترة ليسترضيه ويرضيه وينال بره، ثم يستأذنه ويذهب إلى المقطم مرة أخرى، وظل على ذلك فترة من الزمن ولم يأته الفتح.

سر الفتح

ذات يوم من الأيام دخل مدرسة في القاهرة، وكان قد بناها السلطان صلاح الدين الأيوبي اسمها المدرسة السيوفية، فوجد رجلًا على باب المدرسة اسمه الشيخ البقال.

هذا الرجل كان يتوضأ فغسل يديه وبعد ذلك رجليه وبعد ذلك وجهه وبعد ذلك فمه، وربما فعل ذلك ليلفت نظر ابن الفارض، فهذه أحوال الصالحين وهي أحوال غريبة وعجيبة، فقال له ابن الفارض: يا رجل أنت في هذه السن وعلى باب المدرسة بين فقهاء المسلمين وتتوضأ وضوءًا خارجًا عن الترتيب الشرعي – وشرط الوضوء لكي يكون وضوءًا صحيحًا لا بد من الترتيب والتوالي ولو خالفت ذلك فيصبح الوضوء باطلًا – فنظر الرجل إليه وقال:

يا عمر أنت لن يُفتح عليك في مصر، إنما يُفتح عليك في الحجاز في مكة شرَّفها الله تعالى، فاقصدها فقد آن لك وقت الفتح.

قال ابن الفارض: يا سيدي بيني وبين مكة أمد بعيد ولا يذهب إليها أحد إلا في وقت الحج ليكون معه رفيق، فقال: هذه مكة أمامك، قال: فنظرتُ فوجدتُ مكة فمشيت حتى وصلت إلى هناك!، وهذه أحوال روحانية لا تحتاج إلى العقل بل تحتاج إلى أن تفقهها بالقلب – يعني طوى الله له الأرض وإذا به يصل إلى مكة شرَّفها الله ﷻ.

قال: فجاءني الفتح إذ دخلتها، كما قال الرجل: هذا أوان فتحك، ما هذا؟ هذا الخبير الذي لا بد منه: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ۝٥٩ ﴾ (الفرقان) يرى أحوالي كلها ويختصر لي الطريق، فهو كان في الطاعات والعبادات فماذا وصل بها؟

لا شيء، ولا يوجد فتح .. لكن الخبير قال له: هذا هو الفتح، فكيف أذهب؟ طوى له الأرض حتى وصل إلى هناك.

قال ابن الفارض: فلم تبرح أمامي إلى أن دخلتها في ذلك الوقت، وجاءني الفتح حين دخلتها، فترادف عليَّ ولم ينقطع أبدًا، ثم شرعت في السياحة في أودية مكة وجبالها ووديانها .. واختار وادي بينه وبين مكة عشرة أيام للراكب المجد، قال: وكنت آتي منه كل يوم وليلة أُصلي في الحرم الشريف الصلوات الخمس، بِمَ تكيف ذلك بعقلك؟ (العقل لا يعقل أُخيَّ حالاتي) يعني لا يعقل هذه الحالات لأنه بينه وبين مكة عشرة أيام، لكنه يُصلي الصلوات الخمس في مكة في وقتهن، ما هذا؟

هذا نوع من أنواع الإكرامات والتي هي طي الأرض، والله ﷻ لا يطوي الأرض إلا لمن طوى نفسه لله.

مكث في هذه الجبال خمس عشرة سنة، حتى استأنست به الوحوش، فكان الأسد يتقدم إليه ليركبه إلى مكة فيرفض لأن الأُنس بالله أغناه عما سواه ﷻ.

فكيف كانت حياته هناك في هذا الوادي؟ كانت عبارة عن إفراد الله ﷻ بالقصد، وهذه العبادة القلبية التي ليس للأجسام منها شيء يظهر عليها، وأساس الوصول وبدايته ذكر القلب لله ﷻ.

وفي أثناء هذه الفترة ذهب الإمام عمر السهروردي للحج، وهو إمام من أئمة الصوفية المعتدلين وله كتاب عظيم مرجع من مراجع الصوفية العظيمة اسمه (عوارف المعارف) وكان هذا العام الذي ذهب ليحج فيه يوافق فيه يوم عرفات يوم الجمعة، ودائمًا إذا وافق عرفات يوم الجمعة يزدحم الحجيج في بيت الله الحرام، لأنهم يظنون أن الحج في يوم الجمعة يساوي سبعين حجة ولا يوجد أصل في هذا الباب، ولكن الناس تعودوا على هذا الأمر.

فلما أعلن السهروردي أنه ذاهب للحج في هذا العام تقاتل الناس ليلحقوا بركبه ويذهبوا معه إلى البيت الحرام.

لكن هنا نُظهر أحوال العارفين الصادقين، فالسهروردي يحكي بنفسه فيقول: كنت عند الطواف فوجدتُ ألوفًا مؤلفة تحيط بي فقلت في نفسي: هل أنا عند الله كما يظن هؤلاء القوم فيَّ؟! وهذه أحوال العارفين، فلم يغتر ولم يُعجب بنفسه، لكن قال في نفسه: هل أنا عند الله كما يظن هؤلاء القوم فيَّ؟ ويا تُرى هل ذُكرتُ في حضرة المحبوب في هذا اليوم؟ هذا الذي يهمه أنه يُذكر في حضرة المحبوب في هذا اليوم وفي كل يوم.

فظهر له الشيخ عمر بن الفارض وقال له:

(يا سهروردي لك البشارة، فاخلع ما عليك فقد ذُكرتَ ثَمَّ على ما فيك من عِوج)

يعني أيضًا كلام العارفين معه الحفظ للمريدين، يعني لا تعتقد أنك وصلت إلى هذا الكمال لكنك لا زلت معوجًّا، ولكنهم قبلوك على ما فيك من عوج، كما نقول: المنسوب محسوب ولو معيوب، فنقولها للمريدين لينتبهوا.

فصرخ السهروردي، وكان عادة الناس الصالحين عندما يُبشر ببشارة يخلع ما عليه من ملابس ويهبها لمن حوله فرحًا بهذه البشارة، ما هذا؟

تأسيًا بالحبيب عندما سمع إلى كعب بن زُهير عندما كان يمدحه:

إن الرســـول لنورٌ يُســـتضـــاء به مُهنـدٌ من ســـيوف الله مســـلولُ

فخلع بردته وهي العباءة وألبسها له، فمشى الصالحون على هذا النهج يستنون بسُنَّة حضرة النبي ﷺ.

وبحث بعد ذلك عن ابن الفارض فلم يجده.

لكنه قابله بعد ذلك وجلسا معًا سويًا واعتنقا في بيت الله الحرام، وتحدثا سرًا زمانًا.

مجاهداته

كانت فترة الخمسة عشر عامًا تطهير كامل للقلب ومرآته.

لكي نعرف أن الطهارة ليست هينة ولا سهلة، فكثير منا يريد أن ينال الطهارة بدون جهاد، كيف؟

فهؤلاء الصالحون وهذا جهادهم حتى الوصول إلى هذا المقام الأمين:

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦٓ ﴾ (٧٨الحج).

وكان إلى ذلك تغلب عليه أخلاق الصالحين.

فكان دائمًا وأبدًا كريم في كل أحواله، يُكثر من الصدقات، ويُنفق على من ورد إليه من الضيوف نفقة واسعة، أي يفرح بالضيوف ويهتم بهم.

وكان أَبيُّ النفس، يرفض أن يأخذ شيئًا من الأكابر أو الملوك لو عُرضت عليه، بعث إليه الملك الكامل بألف دينار فردها إليه، وسأله أن يجهز له ضريحا عند قبر أمه بتربة الإمام الشافعي فلم ينعم له بذلك، ثم استأذنه الملك الكامل مرة أخرى أن يبني له مزارًا مختصًا به فلم يأذن له بذلك أيضًا.

وكان أهم ما في طريقه إلى الله ليصل إلى بُغيته هي المحاسبة والمراقبة، فكان دائمًا يحاسب نفسه، فالبعض يحاسب نفسه على الصغائر، والبعض يحاسب نفسه على الكبائر، والبعض يحاسب نفسه عن الهفوات، والبعض يحاسب نفسه عن الزلات، والبعض يحاسب نفسه على الخواطر التي تخطر على الفؤاد، يقول رضي الله عنه:

وإن خطرت لي في ســـواك إرادة على خاطري يومًا قضـيت برِدَّتي

يعني إذا جاء خاطر واحد فقط غيرك على خاطري سأرجع للوراء، فكان يحاسب نفسه على الخواطر التي تمر في دائرة القلب.

وكان يستعين على ذلك بالأربعينيات، وهذه فيها تجارة الصالحين، عندما يريد أحد الفتح يقولون له: اجعل لنفسك أربعين يوم ..

لماذا؟ قال ﷺ:

{ مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا؛
إِلَّا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ}[١٠٠]

فهذه بداية الخلوة.

يقولون له: تمكث أربعين يومًا لا تأنس بالخلق، وأنسك فقط بالحق ﷻ.

فتكون في شغل شاغل بالله لا يلتفت قلبك أو بالك أو عقلك إلى سواه.

وتستعين على ذلك بالصيام وتقليل الطعام وتقليل الكلام وتقليل المنام والقيام بالليل والناس نيام، وذكر الله ﷻ بالقلب على الدوام.

فكان يعمل لنفسه أربعينية !!!

فإذا انتهت الأربعينية ويرى أنها لم تؤدِ الغاية يزيدها أربعينية أخرى، وهكذا.

ومنهجه هذا ذكره في قصيدته الكبيرة التائية التي تسمى (نظم السلوك).

وهو لم يترك مؤلفات غير الشعر.

هذه القصيدة نظمها في ٧٦١ بيتًا.

وكما وصفنا أنه كان ينطق بها على مراحل، بعد أن أنهاها سماها أنفاس الجنان أو أنفاس الجنان ونفائس الجنان.

فرأى رسول الله ﷺ، فسأله: ماذا سميتها؟

قال: كذا، قال: سمِّها (نظم السلوك) ..

فهذا الاسم الذي سماه سيدنا رسول الله ﷺ.

---

١٠٠ مصنف ابن أبي شيبة عن أبي موسى الأشعري ﷺ

العودة إلى القاهرة

ظل هناك في بلاد الحجاز إلى أن سمع ذات يوم شيخه الشيخ البقال يقول له مع أنه في مصر:.... يا عمر تعال لتحضر وفاتي وتصلي عليَّ صلاة الجنازة!.

هل ركب طائرة ووصل أم وصل أسرع من الطائرة؟ حضر على الفور، وذهب للشيخ فأعطاه بعض الدنانير الذهب، وقال له: هذه الدنانير تجهز بهم غُسلي وكفني، وتعطي لكل واحد ممن يحملني دينارًا، يعني مع أنه من يراه يقول أنه رجل مجذوب وغائب، لكنه يعمل بالشريعة المطهرة، لأنه أولى للإنسان أن يُكفَّن من ماله لا من مال غيره حتى ولو كان ابنه، فالرجل جهَّز تجهيزته كلها حتى أجر الحملة الذين سيحملوه.

فقال له: وأين أدفنك؟ قال له: ادفني في هذه البقعة، وأشار بيده، قال: فلم تبرح أمامي أنظر إليها وهي بالقرافة بسفح جبل المقطم عند مسجد العارض حتى وصلت إليها، ودفن شيخه، ودُفن ابن الفارض بعد ذلك تحت قدمي شيخه، وهو المكان الذي فيه الآن.

أيام المنن

قضى ابن الفارض السنوات الأربع الأخيرة من حياته بالقاهرة حيث أقام بقاعة الخطابة في الجامع الازهر، وعكف عليه الأئمة، وقصد إلى زيارته الخاص والعام، حتى أن الملك الكامل كان ينزل لزيارته وسأل أن يعمل له ضريحا عند قبره بالقبة التي بناها على ضريح الإمام الشافعي فأبى، وقد عكف بالقاهرة في ذلك الحين على جمع شعره، سواء ما نظمه من هذا الشعر بالحجاز أو بمصر، وكان من ذلك ديوان ابن الفارض.

ديوان ابن الفارض

اتخذ ابن الفارض من الشعر أداة للتعبير عما يتعاقب عليه من رياضات ومجاهدات، وما عرض له من أذواق ومواجيد، وما انتهى إليه من مكاشفات ومشاهدات ..

ومن هنا لم يخلف ابن الفارض أثارًا مكتوبة غير ديوانه الشعري.

ولذلك هذا الديوان ترجمة ذاتية لتطوره وسلوكه في طريق الله ﷻ، وهذه القصيدة لها كثير من الشُراح، منهم من شرحها شرحًا لغويًا، ومنهم من شرحها شرحًا بلاغيًا، ومنهم من شرحها شرحًا إشاريًا، ومنهم من شرحها شرحًا صوفيًا، وكلٌ على حسب شرحه.

لما تقابل عمر بن الفارض مع محي الدين بن العربي رضي الله عنهما قال له محي

الدين: نريد أن تكتب شرحًا لقصيدتك نظم السلوك.

فقال له ﷺ: كتابك (الفتوحات المكية) شرح لها.

وفاته

حدَّث رجل من أهل العراق اسمه الشيخ برهان الدين إبراهيم الجعبري، وكان من الصوفية المعاصرين لابن الفارض، فيقول: كنت سائحًا في منطقة اسمها جعبر بالفرات، وأنا أخاطب روحي وأناجيها بتلذذي بالفناء والمحبة، فمر بي رجل كالبرق وهو يقول:

فلم تهونى مـا لم تكن فىَّ فـانيًـا ولم تفنى ما لم تُجتلى فيك صورتى

هذا بيت من أساسيات السلوك إلى الله ﷻ، متى يكون الإنسان محبًا صادقًا؟

إذا كان فانيًا في هذا الحب.

ومتى يفنى في هذا الحب؟

إذا ظهرت صورة المحبوب وانطبعت في مرآة قلبه، لا تغيب عنه نَفَسًا ولا أقل ..

فهذا الذي يجعله يستزيد من الرغبة في جمال المحبوب.

قال فعلمت أن هذا نَفَس محب.

فوصلت إلى الرجل وتعلقت به وقلت له: من أين لك هذا النَفَس، قال:

هذا نَفَس أخي الشيخ شرف الدين بن الفارض، فقلت له: وأين هذا الرجل؟

قال: كنت أجد نَفَسه من جانب الحجاز، والآن أجد نَفَسه من جانب مصر، وهو محتضر وقد أُمرت بالتوجه إليه لانتقاله إلى الله تعالى وأُصلي عليه، وأنا ذاهب إليه!.

أنا أعطيكم صورة لأحوال الصالحين، فإياكم أن أحدكم يقول أن هذه الحالات ليست موجودة، بل موجودة ومشهودة إلى يوم الدين، هؤلاء الناس يتعاملون بالأنفاس:

﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ (يوسف)

وما كان بينه وبين يوسف؟ كان يعقوب في القدس ويوسف في مصر ويشم رائحته.

فهؤلاء القوم يصلون إلى مقام في الشم الإلهي، فيشمون رائحة الصالحين في كل بقاع الدنيا، لكي يعرف أن رجل صالح موجود في هذا المكان، وهم ليس عندهم طائرات ولا مواصلات ولا غيره، فعلى الفور:

الـكـون شرقًـا وغـربًـا إن مـال عـني يـمـيـل
أديـره حـيـث شـئـتُ بـهـمـة لا تـحـول

الكون كله تحت أمرهم، ولو جاء أحدهم أمر من القيادة العليا كالحضرة النبوية أن فلان سيموت وتعالى حتى تحضر جنازته يحضر على الفور، لنعرف أن جنازات الصالحين لا يحضرها ما نشاهده بالعينين فقط، فهناك أناس أعلى وأغلى وأرقى حاضرين ونحن لا نراهم، ولذلك ينبغي أن نكون مؤدبين في هذه المجالات.

قال برهان الدين الجعبري: فلما التفت الرجل إلى جانب مصر، التفتُّ معه فشممت أثر الرجل، فتتبعت أثر الرائحة إلى أن دخلت على ابن الفارض في ذلك الوقت وهو يحتضر!، فقلت له: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليك السلام يا إبراهيم، اجلس وأبشر فأنت من أولياء الله تعالى، فقلت له: ياسيدي هذه البشرى جاءتني من الله على لسانك، وأريد أن أسمع منك دليلًا ليطمئن به قلبي، فإن اسمي إبراهيم ولي من سر مقام هذا الاسم الإبراهيمي نصيب حين قال:

﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ ﴾ (﴿٢٦٠﴾البقرة).

قال: نعم يا إبراهيم، سألت الله تعالى أن يحضر وفاتي وانتقالي إليه جماعة من أولياء الله، وقد أتى الله بك فأنت أولهم، وأنت منهم.

وبعد ذلك يقول: كنت قد سألت جماعة من الأولياء عن مسألة فلم يجيبني أحد عنها، فسألته عنها فقلت له: يا سيدي هل أحاط أحد بالله علمًا؟

قال: فنظر إليَّ نظر معظم وقال لي: نعم إذا حيَّطهم يُحيطون يا إبراهيم وأنت منهم، يعني ما دام هو من يحيطهم فلا مانع، قال: ثم رأيت الجنة مثلت له، فلما رآها قال: آه وصرخ صرخة عظيمة وقال:

إن كان منزلتي في الحب عندكمُ ما قد رأيتُ فقد ضـيعت أيامي
أمنيـةٌ ظفرت روحي بهـا زمنًـا واليوم أحسـبها أضـغاث أحلامِ

قال: فقلت له: يا سيدي هذا مقام كريم.

قال: يا إبراهيم رابعة العدوية وهي امرأة تقول:

(وعزتك ما عبدتك خوفًا من نارك، ولا طمعًا في جنتك، وإنما عبدتك كرامةً لوجهك الكريم) وأنا قضيت عمري كله في النُسك والعبادة وبعد ذلك أرضى بهذا المقام؟!

وهذا لنعرف همة الرجال:

وهمتهم فوق الجبال إذا بدت تُدَك لها من رهبة بل ورغبة
وجنة الخلد لو ظهرت بطلعتها لفارقت حسنها بالزهد همتهم
لا كفء لله يحجبهم أحدٌ تعالى تعلمه بصيرتهم

قال: ثم بعد ذلك سكن قلقه وتبسَّم وسلَّم عليَّ وودعني وقال لي:

احضر وفاتي وتجهيزي مع الجماعة وصل عليَّ معهم، واجلس عند قبري ثلاثة أيام بلياليهن، ثم بعد ذلك توجه إلى بلادك.

قال: ثم اشتغل بالمخاطبة والمناجاة، فسمعتُ قائلًا بين السماء والأرض أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول: يا عمر فما تروم؟ قال:

أروم وقد طال المدى منك نظرة وكم من دماء دون مرماي طلَّت

ثم بعد ذلك تهلل وجهه وتبسم وقضى نحبه فرحًا مسرورًا، فعلمت أنه قد أُعطي مرامه، وكنا عنده جماعة كثيرة.

وكانت وفاته يوم الثلاثاء الثاني من جمادى الأولى ٦٣٢ هجرية، الثالث والعشرين من يناير ١٢٣٤ ميلادية، قال: ورأيت طيورًا بيضًا خضرًا ترفرف عليه، وصلينا عليه عند قبره ودفناه.

هذه حياة الإمام عمر بن الفارض رضي الله عنه وأرضاه، وتبين لنا قبس من حياة الصالحين الروحانية، نسأل الله عز وجل أن يجعلنا منهم أجمعين.

وقد رُؤي في المنام بعد وفاته من أحد أحبابه، فقال: يا سيدي لِمَ لم تمدح رسول الله ﷺ في قصائدك؟ فأجابه:

أرى كل مدح في النبي مقصرًا وإن بالغ المُثني عليه وأكثرا
إذا الله أثنى بالذي هو أهله عليه فما مقدار ما يمدح الورى

أبيات من قصيدة نظم السلوك

ولا تتّبعْ منْ سَــوّلَتْ نفسُــهُ لَهُ ... فصــارَتْ لَه أمّارَةً واســتمرّتِ
وَدَعْ ما عداها واعدُ نفسَك فهي من ... عِداها وعُذْ منها بأحصَــنِ جُنّةِ
فنَفْــــــسى كانَتْ قبلُ لَوّامَةً متى ... أطعْها عصَت أو أعصِ عنها مُطيعتي
فأوْرَدْتُهَا ما المَوْتُ أيْسَــــرُ بَعْضِـهِ ... وأتْعَبْتُهـا كيَمـا تكونَ مُريحتي
فعادتْ ومهما حُمِّلَتْهُ تحَمّلَتْـــــ ... ـــهُ مِنّي وإنْ خفّفْتُ عنها تأذَّتِ
وكَلّفْتُهـا لا بـل كَفَلْـتُ قيـامَهـا ... بتكليفِهـا حتى كَلِفْـتُ بِكُلَفتي
وأذْهَبْـتُ في تهـذيبِهـا كُـلّ لَـذّةٍ ... بإبْعادِها عن عادِها فاطمأنّتِ
ولم يَبْقَ هوْلٌ دونَهـا مـا ركِبْتُـهُ ... وأشـهَدُ نفســـــي فيه غيرَ زَكيّةِ
وكـلّ مقـام عن سُــلوكٍ قطَعتُـهُ ... عُـبـودِيّـةً حَـقّـقْـتُـهـا بـعُـبـودةِ

رَجَعْـتُ لأعمـال العبـادةِ عـادَةً ... واعـدَدْتُ أحْـوَالَ الإرادةِ عُـدتي
وعُدتُ بنُسكي بعد هتكي وعُدتُ من ... خَلاعَـةِ بَسْــطي لانْقباضٍ بعفَّة
وصُــمْتُ نَهارِي رغبةً في مَثوبَـةٍ ... واحْيَيْتُ لَيلي رَهبـةً مِن عُقوبَـةِ
وعَــمّــرْتُ أَوْقَــاتي بِــوِرْدٍ لِــوَارِدٍ ... وَصمْتٍ لسَمْت واعتكاف لحرمة
وبِنتُ عنِ الأوطـانِ هِجران قـاطعٍ ... مُواصَــلَةَ الإخوانِ واخترتُ عُزْلتي
وَدَقَّقْـتُ فِكري في الحلالِ تَوَرُّعًـا ... وراعَيـتُ في إصْــلاحِ قُوتيَ قوَّتي
وانفَقْتُ من سُــثْر القَنَاعَةِ راضــيًا ... منَ العيْشِ في الدنيا بأيســرِ بُلغة
وهَذَّبتُ نفــسي بالرياضــة ذاهبًا ... إلى كشفِ ما حُجبُ العوائدِ غطَّت
وجَرَّدتُ في التجريـد عزْمي تزَهُّـدًا ... وآثَرْتُ في نُسكي إستِجابةَ دَعوتي

.....

وقُـلْ ليَ مَن ألقى إليـكَ عُلُومَـهُ وقد ركدتْ منكَ الحواسُ بغَفْوَة
وما كنتَ تدري قبل يومكَ ما جرَى بأمسِكَ أو ما سوفَ يجري بغُدوة
فأصبحتَ ذا عِلْمٍ بأخبار مَن مَضى وأسرارِ مـن يـأتي مُـدِلًا بـخِـبْرَة
أتحسبُ من جاراكَ في سِنةِ الكَرَى سِـــواكَ بـأنواعِ العُلُومِ الجليلـة
وما هِيَ إلاّ النّفسُ عند اشـــتِغالها بعالَمِها عن مَظهَرِ البَشـــَـــرِيّة
تَجَلّتْ لها بالغَيبِ في شـــكلِ عالِمٍ هَـداهـا إلى فَهْمِ المَعـاني الغريبـة
وقد طُبِعَتْ فيها العُلُومُ وأُعْلِنَتْ بـأســـمـائهـا قِـدْمَـاً بوَحْيِ الأُبُوّة
وبالعِلْمِ مِنْ فوقِ السِّوَى ما تنعّمَتْ ولكنْ بمـا أملَـتْ عليهـا تَمَلَّـتِ
ولـو أَنَّهـا قـبـلَ المَنـامِ تَجَـرّدَتْ لشَـاهَدْتَها مِثْلي بِعَيْنٍ صـحيحةِ
وتـجـريـدُهـا الـعـاديُّ أثبَـتَ أوَّلًا تجَرُّدَهـا الثّاني المَعـادي فـأثْبِتِ
ولا تـكُ مِمّنْ طَيَّشَـــتْهُ دُروسُـــهُ بحيثُ اسـتَقَلّتْ عقلَهُ واسـتقرّتِ
فثَمّ وراء النّقـلِ عِلْمٌ يَـدِقُّ عن مَدارِكِ غاياتِ العقولِ الســليمَة
تَـلَـقّـيْـتُـهُ مـنّي وعـني أَخَـذْتُـهُ ونفســيَ كانت من عَطائي مُمِدَّتي

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

تمَّ بحمد الله تعالى

وإلى اللقاء قريبا إن شاء الله

مع الجزء الثالث من

أولياء الله

نبذة عن المؤلف: العارف بالله فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد

ولد الشيخ ﷺ في ١٩٤٨/١٠/١٨م، ١٣٦٧/١١/١٥هـ الجميزة، مركز السنطة، محافظة غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م.

ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

النشاط:

يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على الشبكة العنكبوتية www.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية وجارى إضافة المواد المترجمة.

دعوته:

١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم. ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

هدفه:

إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

المساهمات الدعوية للشيخ بالإذاعة والتليفزيون:

مساهمات فضيلته أكثر من أن تحصى بالإذاعات كلها وبقنوات التلفزيون المصرى، علماً بأن الشيخ يرفض البرامج التى تهدف للبلبلة والإثارة وتأليب الرأى واستغلال الحوادث أو تأجيج الفتن، والشيخ يرحب ببرامج وبقنوات التليفزيون المصرى أو غيرها من التى تعمل جادة على نشر الدعوة الإسلامية الوسطية والعصرية وتهدف إلى رأب الصدع، وجمع الشمل، وتوصيل الدعوة الهادفة بالأسلوب الجذاب والراقى.

ونذكر من تلك المساهمات على سبيل المثال لا الحصر:

١- خطبة وصلاة الجمعة: بعض الخطب منقولة على الهواء مباشرة منها: جمع من مسجد النور بحدائق المعادى بالقاهرة[١٠١]، جمع من مسجد الزاوية الحمراء بالقاهرة، والمسجد الكبير بمدينة بورفؤاد ببورسعيد، ومسجد الأنوار القدسية بالمهندسين وغيرها.

٢- البرنامج العام: *برنامج :دعاء الصباح. *برنامج: المجلة الدينية.

٣- إذاعة القرآن الكريم: أمسيات دينية كثيرة، خطبة وصلاة الجمعة على الهواء من مساجد متعددة، خطبة وصلاة الجمعة بمسجد التليفزيون عدة مرات باذاعة القرآن الكريم و*برنامج "المجلة الإسلامية.

٤- إذاعة وسط الدلتا: * حديث الصباح * الأمسية الدينية.

٥- إذاعة الشباب والرياضة: * برنامج: عصافير الجنة.

٦- إذاعة القاهرة الكبرى: "أمسيات دينية " من مساجد مختلفة و* برنامج "صفحات من نور" و*برنامج "النورانيات و الإسلاميات".

٧- القناة الأولى بالتليفزيون: * برنامج "من بيوت الله"و * برنامج "فى زمرة الرسول ﷺ" و*برنامج "أحسن القصص".

٨- **القناة الثالثة (قناة القاهرة بالتليفزيون):** حلقات من *برنامج "واحة القلوب" و حلقات *"برنامج المحبين" و حلقات من *برنامج "فقه المرأة" و*برنامج جدد حياتك" ولا يزالا مستمران إلى تاريخه، وفى شهر رمضان ٢٠١٨ *برنامج "من آيات القرآن"، وكذلك "الدعاء" بعد آذان المغرب طوال الشهر الكريم، وفى شهر رمضان عام ٢٠١٩ *برنامج "الصائمون يتسائلون".

٩- القناة السادسة (قناة الدلتا التليفزيونية): حلقات من *برنامج "السيرة العطرة". و*برنامج "آيات محكمات". *برنامج "جدد حياتك".

١٠-القناة الثامنة: سلسلة حلقات من *برنامج "لقاءات إيمانية".

١١-القناة الثقافية: *برنامج "فتاوى على الهواء" و*برنامج "أهل الذكر".

١٢-القناة التعليمية: حلقات *برنامج "أولياء الله الصالحون".

١٣-المساهمات الإعلامية والدعوية بكليات ومعاهد الجامعات ومراكز الشباب والأندية الثقافية والجمعيات الدينية والثقافية والعلمية: أحيى الشيخ عديد من المناسبات الدينية والإحتفالات بالكثير من الجامعات بالوجه البحرى والصعيد، وكذا بالنوادى الرياضية ومراكز الشباب والجمعيات الأهلية والمستشفيات، والمراكز الثقافية والرياضية بالوجهين البحرى والقبلى.

١٤-كما شارك الشيخ وأحيي العديد من المناسبات بدعوات من عديد من المؤسسات الإجتماعية بالقاهرة ومختلف المحافظات ودعى إلى عدد كبير من إحتفالات الصلح بالصعيد على مدارالسنين الطوال.

وصلى الله على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

---

١٠١ استمر الشيخ يخطب أول جمعة من كل شهر ميلادى بمسجد النور بالمعادى منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً، والآن يخطب آخر جمعة بالشهر الميلادى بمركز الفائزين الخيري بالمقطم.

قائمة مؤلفات ومحققات الشيخ فوزى محمد أبوزيد المطبوعة
فى ست عشرة سلسلة تحوي: ١٤٧كتابا حتى ٢٠٢٤/١/١٥م

م	الكتاب (ط: طبعة، ت: ترجمة)	ط	ت	م	الكتاب (ط: طبعة، ت: ترجمة)	ط	ت
السلسة رقم ١: التفسير الموضوعى للقرآن الكريم: ١٦ كتاباً							
٤	نفحات من نور القرآن - ج ١	١		١٤	نفحات من نور القرآن - ج ٢	١	
٤٨	أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام	٢		٩١	الآداب القرآنية مع خير البرية	١	
٩٣	أسرار خلة إبراهيم عليه السلام	١		٩٦	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ١)	١	
١٠٢	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج٢)	١		١٠٣	حكمة لقمان وبر الوالدين	١	
١٠٥	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج٣)	١		١٠٨	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ٤)	١	
١٠٩	تفسير آيات المناسبات	١		١١٢	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ٥)	١	
١٣١	إعجاز القرآن فى كلمة "نور" (عادى ومجلد)	١		١٣٧	الرسول فى القرآن الكريم	١	
١٣٨	تفسير وفوائد الفاتحة وآية الكرسى	١		١٤٦	الأنبياء فى القرآن الكريم ج١(هود وموسى وعيسى)	١	
السلسة رقم ٢: الفقـــــــــــــه: ١١ كتابًا							
٢	زاد الحاج والمعتمر	٣		٥	مائدة المسلم بين الدين والعلم	٢	
٥٢	كيف تكون داعياً على بصيرة	٢		٥٤	مختصر زاد الحاج والمعتمر	٢	
٧١	الصيام شريعة وحقيقة	١		٧٢	إكرام الله للأموات	١	
٩٥	صيام الأتقياء	١		١٠٠	دلائل الفرح بالرحمة المهداة	١	
١٠٤	سنن الهدى	١		١٢٦	دروس رمضان والتراويح	١	
١٣٠	الأحاديث النبوية فى الصيام	١					
السلسة رقم ٣: موسوعة الحقيقة المحمدية: ١٥ كتاباً							
٧	حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق	٤		١٣	إشراقات الإسراء ج ١	٢	
٢٢	الكمالات المحمدية	٢		٢٣	الرحمة المهداة	٢	
٣٣	واجب المسلمين المعاصرين نحو رسول الله ﷺ	٢		٣٥	إشراقات الإسراء ج٢	١	
٦١	السراج المنير	١		٧٠	ثانى اثنين	١	
٨٥	الجمال المحمدى ظاهره وباطنه	١		٨٧	تجليات المعراج	١	
٩٠	شرف شهر شعبان	١		١١٤	خصائص النبى الخاتم ﷺ	١	
١٣٤	الأفق المبين ﷺ	١		١٤٠	صاحب الجاه العظيم ﷺ	١	
١٤٥	الرسول ﷺ كما تحدث عن نفسه	١					
السلسة رقم ٤: من أعلام الصوفية: ١٠ كتب							
١	الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى	٢		٥٩	الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى	٢	
٣	الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة	١		٩٧	الإمام أبو العزائم، سيرة حياة	١	
٤١	المربى الربانى السيد أحمد البدوى	٢		١٠٧	الشيخ عبد الرحيم القنائى ومدرسته الروحية	١	
٤٥	شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى	٢		١٣٣	قطبا العراق عبد الرحيم الجيلانى والرفاعى	١	
١٣٥	أولياء الله (ج١)	١		١٤٧	أولياء الله (ج٢)		
السلسة رقم ٥: الدين والحياة: ٨ كتب							
٣٤	كيف يحبُّك الله	٤		٦٧	بنو إسرائيل ووعد الآخرة	١	
٢٦	إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام	٢		٧٥	أمراض الأمة وبصيرة النبوة	١	
٣٩	كونوا قرآنا يمشي بين الناس	٢		٩٢	فقه الجواب (الإجابة على أسئلة الموقع)	١	
٥٠	قضايا الشباب المعاصر	١		١٤٣	الحلول الإسلامية لمشاكلنا الإقتصادية	١	
السلسة٦: الخطب الإلهامية للمناسبات: ٧ كتب							
١٦	خطب المولد النبوى	١		١٧	خطب شهر رجب والإسراء والمعراج	١	
١٨	خطب شهر شعبان وليلة الغفران	١		١٩	خطب شهر رمضان وعيد الفطر	١	
٢٠	الحج وعيد الأضحى	١		٢١	خطب الهجرة ويوم عاشوراء	١	
٥٥	الخطب الإلهامية: مجلد مناسبات دينية	٢					
السلسة ٧: الخطب الإلهامية العصرية: ١ كتاب				٧٨	الأشفية النبوية للعصر	١	
السلسة رقم ٨: المرأة المسلمة: ٧ كتب							
٩	تربية القرآن لجيل الإيمان	٢		٤٣	المؤمنات القانتات	٢	
٤٤	فتاوى جامعة للنساء	٢		٧٤	الحب والجنس فى الإسلام	١	
١٠٦	المرأة المسلمة بين الإباحة والنهى	١		١٣٦	أمهات المؤمنين	١	
١٤٤	الحياة الأسرية الطيبة	١					

م	الكتاب (ط: طبعة، ت: ترجمة)	ط	ت	م	الكتاب (ط: طبعة، ت: ترجمة)	ط	ت
السلسلة رقم ٩: الطريق إلى الله: ١٣ كتاباً							
٦	طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين	٢		٢٥	طريق المحبوبين وأذواقهم	١	
٢٨	المجاهدة للصفاء والمشاهدة	٢		٣٠	علامات التوفيق لأهل التحقيق	١	
٣١	رسالة الصالحين	٢		٣٢	مراقي الصالحين	٢	
٦٠	نوافل المقربين	١		٦٤	أحسن القول	١	
٧٩	دعوة الشباب العصرية للإسلام	١		٨٨	مجالس تزكية النفوس ج١	١	
٨٩	مجالس تزكية النفوس ج٢	١		١٢٥	همة المريد الصادق	١	
١٤	خبايا القلب	١					
السلسة رقم ١٠: الأذكار والأوراد: ٧ كتب							
٨	مفاتح الفرج	٦		١٥	أذكار الأبرار	١	
٣٧	مختصر مفاتح الفرج	٥		٣٨	أذكار الأبرار صغير	٣	
٤٠	أوراد الأخيار تخريج وشرح	٢		٥٦	نيل التهاني بالورد القرآني	١	
٧٣	جامع الأذكار والأوراد	٢					
السلسلةرقم ١١: دراسات صوفية معاصرة: ١٨ كتاباً							
١٠	الصوفية والحياة المعاصرة	١		١١	الصفاء والأصفياء	١	
١٢	أبواب القرب ومنازل التقريب	١		٢٩	الصوفية في القرآن والسنة	٣	
٣٦	المنهج الصوفي والحياة العصرية	١		٤٢	الولاية والأولياء	١	
٤٩	موازين الصادقين	١		٥١	الفتح العرفاني	١	
٥٣	النفس وصفها وتزكيتها	٢		٥٨	سياحة العارفين	١	
٦٣	منهاج الواصلين	١		٦٥	نسمات القرب	١	
٦٨	العطايا الصمدانية للأصفياء	١		٧٧	شراب أهل الوصل	١	
٨٣	مقامات المقربين	١		٩٨	آداب المحبين لله	١	
١٢	معرفة الله عند أهل الفناء	١		١٣	آداب صحبة العارفين	١	
السلسة رقم ١٢: الفتاوى: ٧ كتب							
٢٤	فتاوى جامعة للشباب	١		٧٦	فتاوى فورية ج١	١	
٨٠	فتاوى فورية ج٢	١		٨٤	فتاوى فورية ج٣	١	
٨٦	فتاوى فورية ج٤	١		١٠١	يسألونك	١	
١٢	القول السديد	١					
السلسة رقم ١٣: أسئلة صوفية: ٦ كتب							
٢٧	نور الجواب على أسئلة الشباب	٢		٦٩	الأجوبة الربانية للأسئلة الصوفية	١	
٩٩	إشارات العارفين	١		١١١	بينات الصدور	١	
١٢	جواب العارفين على أسئلة الصادقين	١		١٤٢	الإلهام في أجوبة الكرام	١	
السلسة رقم ١٤: حوارات مع الآخر: ٣ كتب							
٨١	سؤالات غير المسلمين	١		٨٢	حوارات الإنسان المعاصر	١	
٩٤	أسئلة حرة عن الإسلام والمسلمين	١					
السلسلة رقم ١٥: شفاء الصدور: ٥ كتب							
٤٦	علاج الرزاق لعلل الأرزاق	٢		٤٧	بشائر المؤمن عند الموت	٣	
٦٢	بشريات المؤمن في الآخرة	١		٦٦	بشائر الفضل الإلهي	١	
١١	الدعاء المستجاب	١					
السلسلة رقم ١٦: تحقيق الشيخ فوزي محمد أبوزيد: ١٣ كتاباً							
٥٧	تحفة المحبين في فضائل عاشوراء للقاوقجي	١		١١٣	ورد الإستغفار اليومي للحسن البصري	١	
كتب محققة من سلسلة المطبوعات الكاملة للعارف بالله الشيخ محمد علي سلامه ﷺ							
١١	أنوار التحقيق في وصول أهل الطريق	٢		١١٦	الجواب الشافي على أسئلة الحكيم الترمذي	٢	
١١	الإمام أبو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين	٢		١١٨	التوحيد في القرآن والسنة	٢	
١١	علامات وقوع الساعة	٢		١٢٠	كيف يدعو الإسلام الناس إلى الله	٢	
١٢	شعب الإيمان	٢		١٢٢	قطرات من بحار المعرفة	٢	
١٢	عبادة المؤمن اليومية	٤		١٢٤	من منابع الدين الحنيف	٢	
١٣	شرح الفتوحات الربانية في الصلاة على خير البرية	٢					

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهـرة
المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ شارع جوهر القائد - الأزهر
التوفيقية	٠١١٥٤٤٤٥٩٦١	١أ طاهر شعلان بجوارمسجد الحسين
دار الرازى للنشر والتوزيع	٠١٠٠٢٠٨٤٢٧٣	٣ ش السيد الدواخلى بالجمالية - القاهرة
بازار أنوار الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين
العزيزية	٠١١١٣١٤١٨١٣	١١ ميدان حسن العدوى بالحسين
الحسينية	٢٥٩٠٢٥٤١	٢٢ شارع المشهد الحسينى بالحسين
دار التأليف	٠١٠٠١٤٦٨٤١٧	١١ ميدان حسن العدوى – الأزهر
الأزهرية للتراث	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر
أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر
صبَّاح الأزهرية	٠١٠٠٥٤٦٩٨٦٤	بجوار الجامع الأزهر - الأزهر
القلعة	٢٥١٠٨١٠٩	١ شارع محمد عبده خلف الأزهر
سنابل	٢٣٩٣٥٦٥٦	٥ ش صبرى أبو علم، باب اللوق
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ شارع الشيخ ريحان، عابدين
جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
أصول الدين	٠١٠١٠٦٦٥٩٠٠	أستاذ تامر أمام مستشفى الحسين
نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة.
مكتبة ليلى	٠١٠١٧٥٧٦١٥٩	٣٩ ش قصر النيل - وسط البلد
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب – وسط البلد
الأديب كامل كيلانى	٢٣٩٦١٤٥٩	٢٨ شارع البستان بباب اللوق
دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي
كشك أبو عبدالله	٠١٠١٠٧٧١٣٧٥	تحت كوبرى القبة - كوبرى القبة
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر
الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١ شارع د.أحمد أمين، مصر الجديدة
الإسكندرية		
كشك سونا	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
الكتاب الإسلامى الثقافى	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول

كشك محمد سعيد	٠١١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر
الكشك الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	محطة الرمل- أستاذ أحمد الأبيض
الأقاليم		
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا- أمام مسجد السيد البدوى
دار عبيد	٠١٠٠٣٣٢٢١٨١	طنطا – آخر تقاطع شارع الحلو مع الإستاد الشرقى، بجوار مسجد مكة
كشك التحرير	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كفر الشيخ، شارع السودان أمام السنترال، أ سامى أحمد عبد السلام
صحافة الجامعة	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	المنصورة، ش جيهان، مستشفى الطوارىء أستاذ عماد سليمان
الرحمة المهداة	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	المنصورة، عزبة عقل، شارع الهادى، أستاذ عاطف وفدى
صحافة الثانوية	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	المنصورة شارع الثانوية، أمام مدرسة ابن لقمان، الحاج كمال الدين أحمد
صحافة أخبار اليوم الحاج محمد الأتربى	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	المنصورة-طلخا، أمام مدرسة صلاح سالم التجارية، مقابل كوبرى طلخا
مكتبة الإيمان	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	فايد- أستاذ حماده غزالى بربرى
كشك الصحافة	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	السويس، شارع الشهداء، الحاج حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح السمان	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- شارع احمد عرابى، أمام التكوين المهنى بسوهاج
معرض قنا للكتاب (مكتبة الجهاد)	٠١٠٠٦٨٦٦١٦٨	قنا، حاج أسامة رمضان، بجوار مديرية الأمن بقنا
مكتبة القرايا- إسنا	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	القرايا، إسنا، ش السيدة زينب، حاج محمد الريس والأستاذ محمد رمضان النوبي
كشك حسنى بإسنا	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسنى عبد العاطى المنسى، أمام مستشفى الرمد بإسنا - الأقصر

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار والمكتبات الكبرى بجميع أنحاء الجمهورية، ويمكن أيضاً قراءة الكتب وتنزيل النسخ الرقمية كما طبعت مجانا من موقع الشيخ www.fawzyabuzeid.net

أوعلى موقع www.askzad.com موقع الكتاب العربى (بشروطه).

ويمكن أيضا طلبها من متاجر عديدة أون لاين على شبكة الإنترنت من أى مكان

فهرست

مُقَدِّمَة ٤
لينكات صفحات الشيخ ٦
١- سيدنا أويس القرني ﷺ ١٠
أهل الاصطفاء ١٠
أهل الجذب وأبو ذر الغفاري ١٢
أويس القرني ١٥
تنبيه ١٧
في الكوفة بالعراق ١٧
مع هرم بن حيان ١٨
زهده وورعه ٢٠
وفاته ٢٢
تنبيه ٢٢
٢- الإمام القُشيري ﷺ ٢٤
مولده ونشأته ٢٤
طلبه للعلم ٢٥
بين الأشعرية والمعتزلة ٢٦
الميل إلى التصوف ٢٦
نبوغه العلمي ٢٧
إشراقات الصالحين ٢٧
الأدب مع الشيخ المربي ٢٨
محنة القشيري ٢٩
مؤلفاته ٣٠
منهج القشيري الصوفي وأثره ٣١
- *الأمر الأول:* ٣١
- *الأمر الثاني:* ٣١
- *الأمر الثالث:* ٣١
منهج الإمام القشيري في التربية الصوفية ٣٢
- *الأمر الأول: ضرورة التأدب بشيخ* ٣٢
- *الأمر الثاني: واجبات المريدين نحو شيخهم* ٣٢
- *الأمر الثالث: الزهد* ٣٢
- *الأمر الرابع: آداب الصحبة* ٣٣
- *الأمر الخامس: آداب الفتوة* ٣٧
- *الأمر السادس: الخلوة* ٣٨
- *الأمر السابع: السياحة والسفر* ٣٨
- *الأمر الثامن: مداومة الذكر* ٣٨
٣- الإمام الغزالي ﷺ ٤٠
نشأته ٤٠
تربيته ٤١
في طوس ٤٢
في نيسابور ٤٣
مع إمام الحرمين ٤٤
الغزالي في بغداد ٤٥
العلوم في عصره ٤٥
اتجاهه للتصوف ٤٦
الخروج من بغداد ٤٧
في دمشق ٤٧

إلى بيت المقدس ٤٧
رجوعه إلى طوس ٤٨
النهاية ٤٩
حديثه عن التصوف ٤٩
برنامج الإمام الغزالي في السير إلى الله ٥٠
تجهيز القلب ٥٠
- يحتاج إلى ثلاث أشياء ٥٠
طهارة القلب ٥١
التخلي عن أوصاف المنافقين ٥٢
جلاء القلب ٥٣
جمع الهمة على الله ٥٥
التعرض لفضل الله ٥٦
٤- أبو مدين الغوث ﷺ ٥٨
سر دراسة سير الصالحين ٥٨
أركان الولاية ٥٩
مولده ونشأته ٦٠
هجرته ٦٠
في ساحل البحر ٦١
هجرته إلى طنجه ٦١
في مراكش ٦١
إلى فاس ٦٢
مع ابن حرزهم ٦٢
علومه وطريقة تحصيله للعلم ٦٣
مع أبو يعزي ٦٤
الحج إلى بيت الله الحرام ٦٥
دعوته إلى الله في بجاية ٦٦
ياقوت العرشي ٦٧
وفاته ٦٨
بعض حِكَمه ٦٩
شِعره الحكيم ٧٠
٥- الحلاج الشهيد ﷺ ٧٤
مولده ونشأته ٧٤
سبب تسميته بالحلاج ٧٥
في بغداد ٧٦
في مكة ٧٦
دعوته إلى الله ٧٧
محنته ٧٨
تبرءة الحلاج ٨٠
حرق كتبه ٨١
شبهات الاتحاد والحلول ٨٢
من أقوال الحلاج ٨٤
٦- سلطان العارفين: أبو يزيد البسطامي ﷺ ٨٦
البيئة الصالحة ٨٦
برّه بأمِّه ٨٨
طلبه للعلم ٨٨
جهاده لنفسه ٩٠
- الطريق الأول: ذكر الله ٩٠

- ❧ الطريق الثاني: التواضع ٩١
التزامه بالشريعة ٩٢
ورعه ٩٢
جهاده في سبيل الله ٩٣
محنته ٩٤
معرفته ٩٦
معراجه ٩٩
الشطح ١٠٠
وفاته ١٠٠
٧- أمير أهل الورع إبراهيم بن أدهم ﷺ ١٠٢
نشأته ١٠٣
بدايته ١٠٣
سياحته وأساس طريقه إلى الله ١٠٥
- ❧ الأساس الأول ١٠٥
- ❧ الأساس الثاني ١٠٦
ورعه ١٠٨
جهاده لنفسه ١٠٩
سخاؤه ١١١
عبادته ١١٢
خدمة الناس ١١٢
تركه ما لايعنيه ١١٣
طريق إبراهيم بن أدهم ١١٣
كراماته ١١٤
نور أقواله ١١٦
٨- سيدي محي الدين بن العربي ﷺ ١١٨
نسبه ١١٩
ولادته ١٢٠
تربيته ١٢١
باب التفكر ١٢١
خلوته في حب الله ١٢٢
أبو العباس العريني ١٢٣
صلته بالشيخ أبو مدين ١٢٤
أدبه مع مشايخه ١٢٥
ذهابه إلى تونس ١٢٦
الفتوحات المكية ١٢٧
في الرد على المعترضين ١٢٧
في بلاد العراق ١٢٩
زهده ١٢٩
سياحته ١٣٠
تمسكه بالشريعة ١٣٠
الطريق إلى الله ١٣١
موقف الناس منه ١٣٢
مؤلفاته ١٣٣
آداب المريدين ١٣٤
الأدب الأول: حسن الظن ١٣٤
الأدب الثاني: الصمت ١٣٦
الأدب الثالث: الصحبة ١٣٧

الأدب الرابع: الشيخ المرشد ١٣٨
الأدب الخامس: المطعم الحلال ١٣٨
الأدب السادس: رفع الكلفة ١٣٩
الأدب السابع: محاسبة النفس ١٣٩
الأدب الثامن: مكارم الأخاق ١٣٩
خاتمته ١٣٩
محي الدين ووحدة الوجود ١٤٠
من أقواله ١٤٢
٩- سيدي جلال الدين الرومي ﷺ ١٤٤
نسبه وموطنه ١٤٤
أبوه: بهاء الدين ولد ١٤٥
نجم الدين والمغول ١٤٦
في الأناضول ١٤٧
في قونية ١٤٧
مع برهان الدين محقق الترمذي ١٤٨
سياحته للتزود بالعلم ١٤٩
مع شمس الدين التبريزي ١٤٩
حالة الوله ١٥٠
مع شمس الدين مرة أخرى ١٥١
الرفيق في الطريق ١٥٣
مع حسام الدين جلبي والمثنوي ١٥٣
وفاته ١٥٤
جهاده لنفسه ١٥٥
ميله إلى السماع ١٥٦
منهجه ١٥٧
الطريقة المولوية ١٥٨
١٠- الإمام سهل التستري ﷺ ١٦٠
أهمية الحديث عن نوابغ الإسلام ١٦٠
مميزات نوابغنا ١٦٠
نشأته ووردة ١٦١
مجاهداته ١٦١
سجود القلب ١٦٢
سياحته ١٦٣
صفته ١٦٤
من كراماته ١٦٥
حاله مع الله ١٦٦
مؤلفاته ١٦٧
وفاته ١٦٧
من أقواله ١٦٨
١١- عبد الله بن المبارك ﷺ ملك العلماء ١٧٢
مولده ونشأته ١٧٢
تعليمه ١٧٢
سياحته ١٧٣
مكانته العلمية ١٧٤
منزلته ١٧٤
خلوته العلمية ١٧٥
نصائحه لطالب العلم ١٧٦

ورعه وزهده ١٧٩
التجارة الرابحة ١٧٩
سخاؤه ١٨٠
جهاده في سبيل الله ١٨١
وفاته ١٨٢
١٢- الإمام الحكيم التِّرمذي ﷺ ١٨٤
بيئته ١٨٤
الملامتية ١٨٥
مدينة ترمذ ١٨٥
نسبه ومولده ١٨٦
نشأته ١٨٧
طلبه للعلم ١٨٧
سياحته ١٨٨
الطريقة الحكيمية ١٨٩
نصر الله ١٩١
أثر الحكيم وآثاره ١٩١
أسرته ١٩٣
من أقواله ١٩٣
١٣- أمير أهل الحديث الفضيل بن عياض ﷺ ١٩٦
مولده ١٩٧
نشأته ١٩٨
توبته ١٩٩
إلى الكوفة ٢٠٠
براعته في علم الحديث ٢٠٠
نظرته إلى العلم ٢٠١
في مكة ٢٠٣
حياته ٢٠٣
زهده وورعه ٢٠٤
عبادته ٢٠٦
عنايته بالقرآن الكريم ٢١٠
النصح للخلفاء ٢١١
خاتمة ٢١٥
وفاته ٢١٦
١٤- الإمام أبو عبد الرحمن السُلَمي النيسابوري ﷺ ٢١٨
اسمه ونسبه ٢١٨
نشأته ٢١٩
أهمية اللغة العربية ٢١٩
مولده وتربيته ٢٢٠
علم الحديث ٢٢٠
تفرغه للعلم ٢٢١
مكانته ٢٢١
تصوفه ٢٢١
مذهبه في التصوف ٢٢٢
- أولًا: ٢٢٢
- ثانيًا: ٢٢٢
- ثالثًا: ٢٢٢
- رابعًا: ٢٢٢

- خامسًا: ٢٢٣
حجه بيت الله الحرام ٢٢٣
مؤلفاته ٢٢٤
وفاته ٢٢٤
وصاياه ٢٢٥
١٥- سلطان العاشقين عمر بن الفارض ﷺ ٢٣٠
اسمه وكنيته ٢٣٠
نسبه وأسرته ٢٣١
نشأته ٢٣٣
سياحته في وادي المستضعفين ٢٣٣
سر الفتح ٢٣٥
مجاهداته ٢٣٧
العودة إلى القاهرة ٢٣٩
أيام المنن ٢٣٩
ديوان ابن الفارض ٢٣٩
وفاته ٢٤٠
أبيات من قصيدة نظم السلوك..... ٢٤٣
نبذة عن المؤلف: العارف بالله فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد ٢٤٥
قائمة مؤلفات ومحققات الشيخ فوزى محمد أبوزيد المطبوعة ٢٤٧
أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد ٢٤٩
فهرست ٢٥١
آخر إصدارات الشيخ فوزى محمد أبوزيد ٢٥٦
تحت الطبع ٢٥٦

آخر إصدارات الشيخ فوزى محمد أبوزيد

الرسول كما تحدث عن نفسه

أنبياء الله هود وموسى وعيسى عليهم السلام

==========

تحت الطبع

١- أسرار الإسراء وأنوار المعراج ٢- رياض الصيام

٣- من المكنون ٤- الوصايا القرآنية ٥- ترياق المريدين

✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡✡

لحضور مجالس ودروس ومحاضرات العارف بالله الشيخ فوزى محمد أبوزيد، أون لاين على الهواء مباشرة: راجع روابط صفحات الفيسبوك واليوتيوب والموقع الرسمى للشيخ بصفحة (٦).

في هذا الكتاب
الشيخ فوزى محمد أبوزيد
يقدم للقارىء

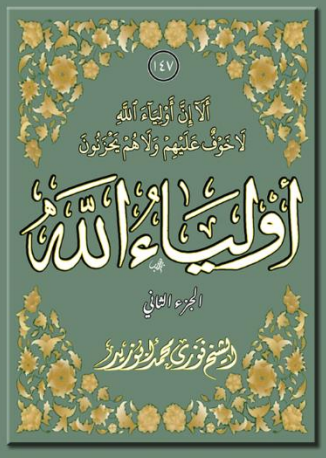

السيرة الزكية لأولياء الله

١. سيدنا أويس القرني ٢. الإمام القشيري ٣. الإمام الغزالي ٤. أبو مدين الغوث
٥. الحلاج الشهيد ٦. سلطان العارفين: أبو يزيد البسطامي
٧. أمير أهل الورع: إبراهيم بن أدهم ٨. سيدي محي الدين بن العربي
٩. سيدي جلال الدين الرومي ١٠. الإمام سهل التستري
١١. عبد الله بن المبارك ملك العلماء ١٢. الإمام الحكيم الترمذي
١٣. أمير أهل الحديث: الفضيل بن عياض ١٤. الإمام أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري
١٥. سلطان العاشقين: عمر بن الفارض

اقرأ للشيخ فوزى محمد أبوزيد فى سلسلة من أعلام الصوفية

الجزء الأول من أولياء الله يحتوى على سيرة كوكبة من آل بيت النبوة الأطهار وسيرة خمسة عشر من أولياء الله تعالى

زوروا موقع الشيخ WWW.Fawzyabuzeid.com

تطلب من المكتبات و دور النشر و القائمة بداخل الكتاب
مع قائمة المؤلفات الكاملة للشيخ فوزى محمد أبوزيد

9 789779 481630